نصر الدين لعياضي

اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية

ديوان المطبوعات الجامعية

اقترابات نظرية

من الأنواع الصحفية



د. نصر الدين لعياضي

اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية

الطبعة الثانية



ديوان المطبوعات الجامعية

الساحة المركزية - بن عكنون - الجزائر

رقم النشر : 4.04.4371
رقم ر.د.م.ك.(I.S.B.N.) : 978.9961.0.1054.9
رقم الايداع القانوني : 2007/561

مقــدمة الطبعــة الثانيــة

ارتأى الناشر إعادة طباعة هذا الكتاب بعد أن نفذت طبعته الأولى، التي صدرت في أواخر سنة 1999. إن مفهوم إعادة طباعة الكتب العربية قد ضاع على يد مجموعة من الناشرين في ديار العرب وسط جلبة القرصنة، وهضم أبسط حقوق المؤلف. وأصبحت تعني سحب المزيد من النسخ من الكتاب الذي سبق طبعه. لقد قرأت إحدى الروايات المصرية، الصادرة مؤخرا، والتي حطمت رقما قياسيا في عدد المبيعات، وأحدثت ضجة كبرى في الوسط الأدبي مما رشحها لتكون سيناريو فيلم سينمائي شارك في العديد من المهرجانات السينمائية. ولاحظت أن طبعتها الثامنة- نعم الثامنة - احتفظت بالأخطاء الإملائية، والنحوية والصرفية، وحتى المطبعية والإخراجية ذاتها، التي حفلت بها الطبعة الأولى!

إذا إسهاما في تمكين عملية "إعادة الطباعة" من استرجاع معناها في الثقافة العربية، حاول مؤلف هذا الكتاب أن يعدل فيه ما يرى ضرورة تعديله، ويضيف له ما يعتقد أنه ضروري ويتماشى والتطور الفكري والتكنولوجي المؤثران في حقل الكتابة الصحافة. ويلغي ما يظن أنه أصبح متجاوزا على الصعيد المعرفي.

تكاد جل الكتب المؤلفة حول الكتابة الصحفية أن تلتقي في مخاطبة القارئ (طالب الإعلام والاتصال، الصحافي المبتدئ...) مرددة المقولة التالية: (اتبع ما أقول، وافعل ما أفعل). وتحاول الكثير من كليات ومعاهد الإعلام ومراكز تأهيل الصحافيين في العديد من الدول أن تجسد هذه المقولة. ولعل موجة النقد الشديد الذي وجهت إلى العديد من مؤسسات تدريس الصحافة،

والمركز الفرنسي لتكوين الصحافيين وترقيتهم، على وجه التحديد، منذ السنوات القليلة الفائتة قد بلغت حد اتهامهم بالامتثال والتكلس نتيجة الاجترار العملي للمقولة المذكورة أعلاه.

يحاول هذا الكتاب أن ينأى عن هذه المقولة في مخاطبته القارئ ذاته قائلا: (فكر جيدا فيما أقول، وفكر ، بشكل أعمق، فيما تكتب). فلا يمكن الحديث عن الكتابة الصحفية بدون التوقف عند أشكالها. ويصعب التطرق لهذه الأشكال بدون التفكير، واستيعاب مكوناتها وخصائصها ووظائفها.

إذا، فلنبدأ الآن التفكير في أسباب إبعاد الأنواع الصحفية من ساحة التفكير العلمي والمهني في الفضاء الثقافي العربي، والتي ترتب عنه، في تقديرنا، وهن الكتابة الصحفية في الدول العربية التي تعرف قدرا من حرية التعبير والإعلام.

سنقدم من جانبنا بعض العناصر التي نعتقد أنها أساسية في إذكاء التفكير حول غياب أو تغييب التفكير في أشكال الكتابة الصحفية.

1- يعتقد البعض بأن المهنيين في بعض الدول الغربية كانوا، في القرن الماضي، يفكرون فيما يكتبون، بشكل أفضل وأعمق، مما يفعلون في مطلع هذا القرن[1]. ربما لأنهم لم يكونوا مستعجلين في حياتهم، ولم يعانو من ضيق الوقت الذي رفعت من وطأته المنافسة بين وسائل الإعلام. ولم توجد تعددية المصادر الإخبارية وغزارة المعلومات. ويستشهدون في ذلك بإعادة قراءتهم لما كتبه الصحافي والكاتب الفرنسي {جوزيف كيسيل (1898/ 1979)}. حيث يؤكدون على أن الإطلاع على الربورتاجات التي كان يكتبها في صحيفة (Journal des débats) يكشف أنه كان يفكر بعمق فيما يكتب[2].

نرى أن السبب الجوهري في غياب التفكير في أشكال ما يكتب في وسائل الإعلام العربية يعود إلى النظرة التبسيطية لوسائل الإعلام ونشاطها. فالظروف السياسية والتاريخية التي تشكلت فيها الصحافة العربية وتطورت فرضت معايرا لتقييم الكتابة الصحفية تستند لمحتواها السياسي والإيديولوجي. فهذا التقييم يعطي مشروعية لتقاليد البحوث الفرنسية في مجال الخطاب والتي تؤمن، بنوع من السذاجة، بأن تأثير المادة الإعلامية مرهون بالمواقف السياسية والإيديولوجية التي تطبعها. (3) إن هذا الإرث دفع الجمهور العريض لينساق نحو التعاطي مع وسائل الإعلام العربية، وخاصة القنوات التلفزيونية، على أساس أنها أحزاب سياسية. هذا الإيمان ينسى أو يتناسى بأن عملية تأثير المواد الإعلامية على المتلقي بلغت درجة من التعقد حيرت علماء النفس الاجتماعي.

لعل ما يؤكد هذه الحقيقة، أيضا، أن قاعات التحرير في وسائل الإعلام العربية لا تناقش في الغالب، الشكل الصحفي الذي يعالج به هذا الحدث أو تلك الواقعة أو ذاك الموضوع. فالكثير من المهنيين يقرون بأنه لم يحدث، إلا نادرا، أن جنحت الحياة العضوية في وسائل الإعلام العربية إلى مناقشة مسألة العلاقة بين شكل الكتابة الصحفية ومحتواها؛ بمعنى هل أن الشكل الذي قدمت به المادة الإعلامية يتناسب والمضمون الذي طرحته؟ ولماذا يختار هذا الشكل الصحفي للتعبير عن هذا الحدث بدل ذاك؟ وغيرها من الأسئلة.

2- لقد ظل الاعتقاد سائدا في أوساط المهنيين والباحثين ردحا من الزمن بأن المحتوى يتضمن المعنى. وأن هذا الأخير يتجه إلى العقل والمنطق، والعقلانية في الاتصال والإعلام، بينما ينصرف الشكل إلى العاطفة والأحاسيس؛ أي الجانب الوجداني في الإعلام والاتصال. (4) لعل هذا الاعتقاد

نبع من قناعات اكتسبت في بداية انطلاقة الإعلام السمعي-البصري لكنه لا يستطيع الصمود في وجه الحقائق المعاصرة في مجال الكتابة الصحفية. فالشكل الذي يرتبط بالأحاسيس أصبح ناقلا للمعنى، أو تحول إلى عنصر نشيط في إنتاج المعنى في عملية الاتصال والإعلام. وهذا ما تفصح عنه محاولات تصغير الحدث الإعلامي وتحجيمه من خلال تخصيص خبر بسيط له، أو تضخيمه عبر إبرازه في نوع صحفي ثقيل: مقال تحليلي، أو تحقيق صحفي.

إن فعل الإعلام هو، قبل شيء، اختيار: انتقاء المحتوى المطلوب، واللغة الملائمة أكثر، و الصورة والصوت الدالين. وهذا الاختيار يتوقف على شخصية الوسيلة الإعلامية، وتكوين الصحافي ومقدرته على تطويع خصائص النوع، وطبيعة الحدث والمواد التي " توضع" تحت تصرفه لبناء نوعه الصحفي. ففي المجال السمعي- البصري يستعين الصحافي، أكثر، بالصورة المتناسقة مع الصوت إذا كان النص اللفظي فقيرا أو مجترا، فترفعه، وتضفي عليه قيمة لا يملكها. أما إذا كان النص قويا وذا ثقل إخباري وهاما فيمكن للصحافي أن يستعين بالمواد السمعية- البصرية غير المكتملة.[5] هذا ما نلاحظه في بعض الأحداث المأسوية: مثل إعصار كاترينا الذي ضرب ساحل ولاية "نيو أورليتز" الأمريكية في نوفمبر 2005، أو إعصار "سونامي" الذي ضرب شواطئ دول جنوب أسيا. لقد استعانت وسائل الإعلام بالصورة الثابتة والمتحركة التي التقطها الهواة، والتي تعاني من عدم الوضوح، وضعف التأطير...

إذا، يصعب الفصل، بشكل تعسفي، بين المحتوى والشكل في المادة الصحفية. فالنوع الجيد هو ذاك الذي يستطيع التوفيق، وإحداث الانسجام بين المحتوى الثري والصياغة المتبلورة.

3- إن الظروف السياسية والتاريخية التي تشكلت فيها الصحافة العربية، والمهام التي طرحت على الدول الوطنية التي أنشأت الإذاعة والتلفزيون وبسطت يدها عليها، دفعت وسائل الإعلام للقيام بدور تجنيدي. هذه الحقيقة التاريخية التي يسلم بها الباحثون ودارسو وسائل الإعلام لم تطرح، مع الأسف، على صعيد البحث العلمي لقياس مدى تأثيرها على أشكال الكتابة الصحفية. لو ابتعدنا عن الخطاب الاحتجاجي الجاهز، الذي يرى بأن الخطاب السياسي والإيديولوجي قد حنط الخطاب الإعلامي في جملة من الشعارات. وذهبنا إلى ما هو أبعد لاصطدمنا ببعض الحقائق التي نوجزها فيما يلي:

أ- خلافا لما يعتقد البعض، فإن وسائل الإعلام التعبوية أو التجنيدية لم تهتم بالأنواع الفكرية والتأملية- التي نشرحها لاحقا- اهتماما مهنيا، لسبب بسيط أن هذه الأنواع ظلت تنقل الخطاب السياسي الرسمي سواء الصادر عن السلطة أو المعارضة. فلم تنقد أو تقوم انطلاقا من الخصائص والسمات التي تميزها عن بقية الأنواع الصحفية، بل نظر إليها من زاوية مدى قربها أو بعدها عن الخطاب السياسي والإيديولوجي الذي تنتمي إليه.

ب- إن وسائل الإعلام التجنيدية قد أهملت الأنواع الصحفية التعبيرية. لقد بدأ البورتري يشق طريقه باحتشام في وسائل الإعلام العربية، فبعد أكثر من عقد من دخوله في وسائل الإعلام الجزائرية[5] حيث لازال الكثير من المهنيين في العديد من الدول يتساءلون عن ماهية هذا النوع. أما الربورتاج الصحفي فما زال، لحد الآن، مجهولا في العديد من قاعات التحرير في وسائل الإعلام العربية. فالكثير من الصحافيين يستنكرون استخدام هذا المصطلح، ويعتقدون أن مستخدمه قد أخطأ في ترجمته إلى اللغة العربية، فيستبدلونه بالتقرير!

لعل إهمال الأنواع الصحفية التعبيرية في وسائل الإعلام العربية يعود في رأينا لاعتقاد واهم بأن عائدها السياسي والإيديولوجي ضعيف مقارنة بالأنواع التأملية.

إن صحيفة " Algérie-actualité " المرحومة قد بنت مجدها انطلاقا من نوعية كتاباتها التي كانت تقوم على الربورتاج، بدرجة أساسية، ثم " الملف"Dossier"[6] . ليست الصحيفة الجزائرية وحدها التي طعنت في الاعتقاد المذكور أعلاه، بل، أن البحوث الحديثة في علم اللسانيات تبين، أيضا، تفاوت مفعول الأنواع الصحفية السردية، وتلك القائمة على التعليق والتأويل. فالأنواع الصحفية الفكرية تحاول أن تفرض على المتلقي (القارئ): أفكار مسبقة، ونمطا من التحليل، وتصورا، وعدة للتفكير. فالمتلقي يأخذ حذره أو استعداده منذ البداية، فإما يتقبل ما تطرحه هذه الأنواع أو يرفضها. فإذا قبلها فإنه يستعمل طريقة التحليل ذاتها، والأمثلة عينها، بل يردد الصيغ التعبيرية ذاتها. وهذا خلافا للأنواع الصحفية السردية أو التعبيرية التي تملك مقدرة تأثيرية وتضليلية أكبر وأسلس، لأنها تأخذ القارئ أو المتلقي، على حين غرة. فلا تفرض عليه أي شيء مسبقا، بل تستفيد من الاعتقاد المكتسب بأنها لا تقوم سوى بحكاية الواقع أو نقله وإعطاء الإحساس بمعايشته. إن حكاية الواقع ليست أبدا محايدة، بل تعبر عن الجهة التي ينظر منها الحاكي (الصحافي) للحدث. لذا يرى أن هذه الأنواع أكثر " مكرا" في تضليل القارئ والتلاعب به مستفيدة من تعاطيه معها، بدون آليات الدفاع التي يستخدماها عندما يتعامل مع الأنواع الفكرية[7]

إن الاقتراب النظري من هذه الأنواع يسهم في رفع مستوى وعي طلاب الصحافة والصحافيين المبتدئين والدارسين برهانات الكتابة الصحفية،





وفهم آليات الإعلام. ويزود الجمهور بعناصر النقد للعمل الصحفي. كيف؟ الإجابة على هذا السؤال تأتي من العوامل التالية:

أ – إن الاستعداد لإعداد مادة إعلامية وفق قالب صحفي معين تقتضي وضع نصب العين جملة من الخصائص التي تتدخل في زوايا التصوير التلفزيوني وأنواع اللقطات، وتتالي المونتاج.وتحدد هامش اللغة اللفظية. وتقيم المادة الإعلامية التلفزيونية التي صيغت وفق قالب صحفي محدد بالنظر إلى العناصر المذكورة.

ب – يرسم كل نوع صحفي شكلا معينا من التعامل مع المصدر. إن العلاقة بالمصدر أو المصادر تكون أقوى في الأخبار والتحقيق الصحفي مقارنة بالتعليق الصحفي أو المقال الصحفي. إذا، الأنواع الصحفية تهيكل علاقة الجمهور بمصادر الأخبار. وتحدد، بالتالي، مستوى التعامل مع الواقع. و يرى كل دارس بأن الكتابة الصحفية لا تمارس تضليلها عبر اللغة المستخدمة، والمفردات، والصور فقط، بل من خلال العلاقة بالمصادر، أيضا، وآليات المصفاة التي تغربلها: انتقاء هذا المصدر بدل ذاك، وأخذ بعض العبارات أو كلها من هذا المصدر أو ذاك.

ج– إن الأنواع الصحفية تسهم في إنتاج **"العقد الإعلامي"(Contrat médiatique)**[8]

يختلف هذا العقد عن ما أصطلح السيميائيون على تسميته بـــــ " وضع الاتصال". إن وضع الاتصال يقتضى الاستعداد لعملية الاتصال وإعداد مكوناتها ودور كل طرف فيها . أما العقد المذكور فيقدم معنى إضافي للوضع إذا يدل على تعاقد ضمني بين الأطراف المتصلة واتفاقها على الاعتراف

بمحتوى ما يتم تبادله من ملفوظات وغاياتها. لتبسيط هذه الفكرة يمكن القول أننا نتقبل بعض العبارات والكلمات والحركات والإيماءات في الأفلام الكوميديا ونضحك. ويمكن أن نرفضها ونحتج عليها إذا أدرجت في فيلم درامي. إننا نتقبل، على سبيل المثال، محتوى مقال صحفي ليس انطلاقا من مدى صحة مضمونه، وقوة حجته ،وسلاسة تعبيره فقط، بل لأنه صادر عن مقال صحفي وليس ربورتاج. فإذا تبادلت الأنواع الصحفية المتعارف عليها المضامين والأدوار فإنها تربك الجمهور، وتقضى على " العقد الإعلامي" المذكور.

المراجع والإحالات:

1- Annik Dubied : *rencontre avec Patrick Charaudeau,* revue médiatique :récit et Société, n° 20 de la de juin 2000.

2 - Idem

3 - Jean-Paul ACHARD : *La vidéo comme outil de formation à l'information*, éd APTE, 1994

4 - Idem

5- لقد أدخلنا البورتري كنوع صحفي في برنامج تدريس فنيات التحرير الصحفي في برنامج الليسانس في معهد علوم الإعلام والاتصال في السنة الجامعية 1988-1989 وقد أخبرنا أحد خريجي المعهد الذي التحق للعمل بمحطة قسنطينة التابعة لمؤسسة التلفزيون الجزائري كيف أدخل هذا النوع الصحفي إلى الجريدة المصورة في سنة 1991.

6-عرف الملف بأنه النوع الصحفي الأكثر شمولا، إذ يجمع عدة نصوص صحفية تشترك في إنجازها عدة أنواع صحفية: المقال التحليلي، المقابلة أو الحديث الصحفي. إنه النوع الصحفي الذي يتناول الموضوع الواحدة من عدة زوايا، حيث يتكفل كل نوع بالولوج إليه من زاوية.

7 - Annik Dubied , op cité

8 - Idem



مقدمة الطبعة الأولى

هاهي بعض الصفحات عن الأنواع الصحفية، نضعها بين أيدي القارئ الكريم، أملينا أنها تصل إلى الصحفي المبتدئ، و إلى كل مسكون بهاجس الكتابة الصحفية وبالعمل الإعلامي. لها شذرات من المحاضرات التي ألقيت على طلبة معهد الإعلام و الاتصال، بجامعة الجزائر.

لماذا هذه الصفحات التي تبحث عن روافد نظرية للكشف عن تباين الكتابة الصحفية و تنوعها، في وقت يعتقد فيه الطلبة والمهتمون أنهم في أمس الحاجة للممارسة والتمرن، وليس للدروس النظرية؟ ولماذا تنشر في ظرف اشتدت فيه الريبة، والحذر من كل ما هو نظري، بعد أن تفككت الإيديولوجيات، وتزعزعت النظريات أمام استشراء الأزمات، واستفحال التوترات الاجتماعية و الثقافية؟

تتجلى عناصر الإجابة على هذا السؤال عبر القول أن هذه الصفحات تسعى للاقتراب من الأنواع الصحفية اقترابا نظريا، بكل ما يحمله مصطلح النظرية من حدود. وأن الممارسة الصحفية لا تستطيع أن تتجاوز ذاتها، وتتغلب على نقائصها في غياب النقد الذي يتكئ على رؤية نظرية متماسكة.

لقد ولى ذلك الزمان الذي كان الاعتقاد فيه سائدا بأن العمل الصحفي هو وليد إلهام، وموهبة، وفطرة، وليس حصيلة دراسة وتعليم. وتبدد هذا الاعتقاد أمام كثرة مدارس الصحافة، وتزايد عدد المعاهد الجامعية التي تسابقت في إعطاء تكوين أكاديمي لرجال الإعلام و الاتصال.

يعتقد البعض، عن عدم دراية، أن المنتج الصحافي هو ذاته، لا يختلف سوى باختلاف المواضيع والمضامين. ويرى أن محاولة التمييز بين الأنواع

الصحفية، وتصنيف الكتابة لوسائل الإعلام ترف لا طائل من ورائه، يمارسه الأساتذة الجامعيون المهمومون بالغوص في الشكليات بحثا عن لذة الاكتشاف. فمن الصعب أن نخفي أن هذه النظرة تتعاطى مع الإبداع الصحفي بالمنطق ذاته الذي تتعامل به مع الإبداع الأدبي. فترى ملتقى الصحافة (الجمهور) وكأنه ملتقى أدب. إن هذا الأخير هو سجين ما اسماه رولان بارت" Roland Barthes لذة النص" . فهذه اللذة ليست سوى شهوة اللغة و غوايتها، التي لا تحضر إلا في غياب الشرح، والحكم القيمي، والنقد و التعليق. وهكذا يتضح أن الغاية التي تبرر وجود الأدب هي غير تلك التي تتحكم في العمل الصحفي.

إن العمل الصحفي، في الدول العربية و الجزائر تحديدا، لا زال يجر وراءه ثقل سنوات الصحافة التعبوية. فيعكف على تقديم مادة صحفية رهينة الفهم السائد في القرن الماضي، الذي رسخ الاعتقاد بمقدرة وسائل الإعلام في تحويل العالم، بينما الانفجار الرهيب في تكنولوجية الاتصال، والتدفق الهائل في سيل المعلومات و الإعلام، و التنوع الكبير في استخدام الصورة، وميلاد مجتمع التمشهد، في أواخر هذا القرن، أدت كلها إلى الاقتناع بأن وسائل الإعلام تعمل على استظهار العالم أكثر من تغييره. وهو الاعتقاد الذي يحظى بتزايد مناصريه رغم إلحاح المدرسة النقدية التي لفتت الأنظار إلى المخاطر التي تحول هذه الوسائل إلى أدوات للحفاظ على الوضع الرمزي.

لم تصل التجربة الديمقراطية في الجزائر، بعد مخاضها العسير، إلى دفع وسائل الاتصال الجماهيري إلى تقديم منتج إعلامي متميز. فبغض النظر عن تشدد بعض الصحف في لهجتها النقدية لم تتمكن، بعد، من تحقيق النصوص الصحفية المأمولة. منتج تزدهر فيه الأنواع الصحفية، ويفجر طاقاتها الإخبارية

والتبليغية، ويستثمر إمكانياقما التحقيقية والاستقصائية، ويستفيد من محتواها الفكري التأملي و يوظف شفافيتها التعبيرية.

انصرفت وسائل الإعلام، خاصة الصحافة المكتوبة، إلى الإدمان على التعليق الصحفي الذي ينقد النوايا أكثر من الأفعال.إن هذا الانصراف يعجز عن إخفاء الكسل المهني الواضح الذي يهمش، مع الأسف، البعد الإخباري والإعلامي في المادة الصحفية.

من لم يسمع، ولو مرة، تبرم السلطات العمومية وناشري الصحف ومستهلكي المادة الإعلامية الوطنية من غياب الروح المهنية في المؤسسات الإعلامية العامة والخاصة؟ لقد انزلق الفكر، تدريجيا، من السعي لإيجاد تفسير لهذا الغياب إلى محاولة توظيفه لتبرير نقائص نشاط هذه المؤسسات ووهن منتجها، الذي يصعب حجبه.

يفسر الباحثون الاحتراف في العمل الصحفي عادة بعاملين أساسيين، وهما:

1- نضج العوامل السوسيو_مهنية التي تجعل من رجال الصحافة فئة ميزة وستقلة لذاقما تحكمها مراجع وقيم مهنية واضحة.

2- نضج المحيط السياسي والثقافي الذي يكرس الفصل الواضح بين الفعل السياسي و الفعل الصحفي.

لكن لا نعثر إلا نادرا على التفسير الذي يربط الاحتراف بالتكوين والدراية.

تخصص المؤسسات الإعلامية في الدول المتقدمة جزءا من مواردها للتكوين وإعادة التأهيل، بينما لا تهتم مؤسساتنا الإعلامية، مع الأسف، بهذا

الموضوع، لأسباب متعددة لا يسع المقام لذكرها.فالتجربة بينت أن الممارسة الصحفية غير المؤطرة مهنيا لا تفعل سوى إنتاج ذاتها بنفس الأخطاء والنقائص.

إن التكوين الصحفي الذي يجدد مقدرة الصحفي على السيطرة على أدوات التكنولوجية يضمن شيئين أساسيين يدعمان الاحتراف، و هما:

1- المعرفة المتميزة لخصوصية الوسيلة الإعلامية: يبدو أن المنتج الذي تقدمه وسائل إعلامنا لا يعكس هذه المعرفة بالقدر الكافي. فخصوصية وسيلة الإعلام لا تؤخذ بعين الاعتبار في إنتاج المادة الصحفية. فما يبثه التلفزيون الجزائري، على سبيل المثال، في برامجه الإخبارية، لا يعير أي اهتمام للصورة وينسى أو يتجاهل أن التلفزيون يميل لما هو حركي أكثر مما هو جامد.و. يهتم بالاستعراضي أكثر من التأملي و الفكري. ويفضل الملموس عن المجرد.

2- تمكن المعرفة الشاملة للأنواع الصحفية الصحافي، كما سنرى في هذه الصفحات، من السيطرة على موضوع الكتابة، و على بنيتها، لتحقيق أهداف ليست دائما واحدة. إنها تساعده على استجلاء الفروق الجوهرية بين الخبر والتعليق حتى يستطيع الفصل بينهما في الممارسة. و يدرى مثلا لماذا يستخدم الربورتاج الصحفي بدل التحقيق، والبور تري بدل الحديث الصحفي، والتعليق بدل المقال الصحفي.

لا يفهم مما تقدم إن هذه الصفحات تتضمن مرافعة عن الأنواع الصحفية، لأنها ليست سوى محاولة الاقتراب منها والارتقاء بالممارسة الصحفية إلى الفضاء النظري الرحب، و تقديم الإنارة النظرية الضرورية للممارسة الصحفية قصد الوصول بها إلى درجة الكمال.

بعد الإطلاع على محتوى هذه الصفحات، يمكن أن يشهد القارئ المالك لبعض الرصيد المعرفي في علم الإعلام، أن هناك محاولة لإرساء نظرة للكتابة الصحفية تخرجها من حقل الكلام الغائم و العام الذي يتغذى من البديهيات و الكليشهات. كما يمكن أن يلاحظ أننا تناولنا أنواعا صحفية تفتقر إليها المكتبة العربية: مثل الربورتاج و البورتري و معرض الصحافة. لقد أدخلناها، لأول مرة، في مقرر برنامج التدريس بمعهد علوم الإعلام والاتصال سنة 1991 ، وتجاوب معها الطلبة إيما تجاوب مما شجعنا على تقديمها بالصيغة التي هي عليها، لعلها تفيد في سد حاجة الطالب و الصحفي.

وأخيرا، نرجو أن نكون قد ساهمنا، و لو بقدر ضئيل، في توسيع أفق الدارس و إدراكه للأنواع الصحفية.

الدكتور: نصر الدين لعياضي
أستاذ محاضر بمعهد علوم الإعلام و الاتصال



الأنواع الصحفية: بين الشكل والمحتوى

إن الخطاب الصحفي هو اقتباس طويل (Citation) يتخلله السرد (الربورتاج)، والمقابلة (Interview)، ويمتزج بالصوت الآتي من خارج هيئة التحرير (Voix-off) (الآراء والمنابر الحرة). هذا دون أن نذكر التأثير الدرامي الذي يولده الإخراج الصحفي وعملية انتقاء مادة الصفحة الأولى في الجريدة).

Maurice Mouillar & Jean François tétu

Enseignants chercheurs en sciences de l'information

يطرح تحليل الخطاب الصحفي إشكالية أساسية تتمثل في ذاك التمفصل الكامن بين الإجابة على الأسئلة التالية: عن ماذا نكتب؟ (الموضوع)، وماذا نكتب؟ (المضمون)؟ ولمن نكتب؟ (الجمهور)؟ وبأي قالب نكتب (النوع الصحفي)، ولماذا نكتب؟ (وظيفة المكتوب ودوره العام والخاص).

إن الإجابة الممكنة والمحتملة على هذه الأسئلة تقودنا إلى البحث عن العلاقة الكامنة بين المجرد (القالب التعبيري) والملموس (الحاوي لمضامين محددة).

الاقتراب من تعريف الأنواع الصحفية:

تصطدم كل محاولة لتعريف الأنواع الصحفية بمجموعة من الصعوبات التي تواجه كل دارس أو باحث، لأنها تسعى إلى الاقتراب النظري من قضية في

غاية التعقيد. إنها صعوبات النظر في الأشكال الملموسة للكتابة الصحفية من زاوية ما يجمعها ويفرقها في آن واحد.

يمكن أن نكتفي بحصر أكبر الصعوبات فيما يلي:

1 - لقد خاض المختصون في الأدب غمار النقاش حول الأنواع الأدبية منذ أزيد من ألفي سنة. لكن مثل هذا النقاش لم يشغل بال العاملين في وسائل الإعلام ودارسيها إلا منذ سنوات قليلة. وعندما انخرط منظرو وسائل الإعلام في هذا النقاش اضطروا إلى الاستعانة بعتاد مفاهيمي مقتبسا من حقل الإبداع الأدبي والفني ودروب النقد. لذا يبدو الخلط واضحا في استخدام المفاهيم والمصطلحات التي تسعى إلى توصيف الإنتاج الصحفي، خاصة بين النوع: (Genre)، و(Type). فمن المعروف أن هذين المفهومين متميزان في مجال الأدب. فمفهوم النوع يغطى الإنتاج الأدبي المختلف شعرا ونثرا. بينما يغطي مفهوم الطراز في الأدب إنتاجا محددا ينتمي إلى نوع بعينه. فالقصة والرواية هي نماذج بالنسبة للنثر [1]

إن الخلط والغموض يكتنفان هذين المفهومين في مجال الصحافة ووسائل الإعلام عامة، يرتبط، إلى حد ما، بوضع قراء الصحف ومشاهدي التلفزيون ومستمعي الإذاعة، الذين يتعاطون مع المواد الإعلامية والترفيهية انطلاقا من سلم من المؤشرات المكتسبة، والمألوفة، التي نعمل على تصنيفها دون أن تثير، في الغالب، أي نقاش أو سؤال. ويرتبط، أيضا، بخصوصية العمل الصحفي والإعلامي الذي يرتهن بالنشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي المؤثر على ديناميكيته، والذي يتجلى في المصطلحات التي يتداولها المهنيون وهم يؤدون واجبهم المهني، إذ يستخدمون مصطلحين طاغين لنعت منتجاتها المختلفة، وهما: المادة (Article) والموضوع (Sujet). فهذان المصطلحان

يحملان تضمينات توحي بتوحيد المنتج الصحفي، ويمحوان، بالتالي، خصوصياته. إن استخدام هذين المصطلحين لا يساعد المجهود النظري الرامي إلى تصنيف الإنتاج الصحفي وتقويمه. فالكثير من قاعات التحرير في المؤسسات الإعلامية، التي تعرف حياة عضوية نشيطة، تكتفي بطرح مواضيع المادة الإعلامية فقط، ولا تتجاوزها إلى مناقشة أفضل القوالب أو الأشكال الصحفية لإبرازها أو التعبير عنها. فالمفروض أن اختيار الموضوع الصحفي يتطلب تحديد خطابه. فيمكن للموضوع الواحد أن يحظى بالعديد من المعالجات الصحفية أو الإعلامية التي تنتج خطبا تختلف في الشكل و المضمون.

– اعتبرت الصحافة نشاطا حرفيا يخضع لتراكمات الممارسة وحدس التجربة، ولا يستسلم للضوابط النظرية، خاصة وأنها استفادت من أشكال التعبير المكتوب، والأدبي تحديدا. فاللبنات الأولى في العمل الصحفي قد أسهم في وضعها الكُتاب ورجالات الأدب. كما أن مهنة الصحافة، ظلت إلى عهد قريب، تستوعب من يملك الاستعداد والمقدرة على الكتابة بصرف النظر عن خلفياته النظرية وعن أشكال الكتابة. وشرع المختصون في نقد الخطاب الثقافي، من جهتهم، في الاهتمام بمحتوى وسائل الإعلام على حساب أشكاله، بعد أن ظلوا لمدة طويلة متعالين عن كل ما تنشره الصحف. فـــــ(أوليفي بورجولان) (Olivier Burgelin)، أحد أبرز الباحثين في مجال الاتصال الجماهيري يؤكد هذه الحقيقة باعترافه أنه لم يسبق له أن نظر للإنتاج الصحفي على أساس أنه ينتمي إلى أنواع مثلما ينظر إلى المنتج الفيلمي.[(2)]

يشرح البعض التنوع في الكتابة الصحفية شكلا ومضمونا بالطهي. فبعض الأطباق تستخدم المواد الغذائية والخضر والتوابل ذاتها في الطهي، لكنها تختلف من ناحية المذاق، والسعرات الحرارية، والقيمة الغذائية والسبب يعود إلى

التباين في استخدام المقادير في مكونات الطبخ. فإذا زادت المكونات عن الحد المطلوب، فإن الطبق المزعوم يصبح مختلفا. و في مجال مقارنة الكتابة الصحفية بالطبخ،دائما، يرى أحدهم بأن الصحافة تشبه الطبخ الجيد، فيجب أن ننوع الأطباق والمأكولات حتى نقدر الأكل. [3]

3- رسخت الممارسة أشكال محددة من الكتابة الصحفية وعممتها، فأعطت لهذا النوع الصحفي هذه التسمية بدل تلك. ونعثر وراء كل تسمية على خصائص وسمات ومضامين تقر بالوجود المستقل للنوع الصحفي. فالخصوصية الاجتماعية والثقافية في المجتمعات تتدخل، بهذا القدر أو ذاك، في إضفاء هذه السمات أو تلك الخصائص على الأنواع الصحفية، بل تتدخل حتى في نشوء بعض الأشكال المتميزة من الكتابة، وفي استخدام بعض الأنواع. فيمكن أن نذكر، على سبيل المثال، أن (Le potion) والذي يمكن أن نترجمه بـــ " البقبقة" أو " الهذر" يعد من مكونات الأنواع الصحفية في الصحافة الفرنسية. و يعرف هذا النوع الصحفي بأنه الحدث الذي ينقل كما شوهد أو سمع، قصد الإخبار، أي بدون التحري والتدقيق في واقعيته، ودون إدراجه في السياق الذي يميز كل معالجة إخبارية للأحداث. ويمكن أن يأخذ هذا النوع الصحفي صيغة مزاعم أو شائعة تبث كما التقطت. إن هذا النوع الصحفي يمكن أن يبرز وقائع يحتمل أنها تتضمن عناصر ذات دلالة هامة لكن يصعب أو يستحيل التحري حول صحتها. قد يقوم هذا النوع الصحفي بدور هام لحث الصحافيين على تقديم الأخبار التامة والكاملة من جهة، ويسمح لهم، في الغالب، بالتقييم الدقيق لما تقدمه مصادر الأخبار لهم، فيميز بين الخبر الفعلي وذاك الذي يجانب الحقيقة.

بعض السياقات الثقافية والاجتماعية لا تتعاطى مع هذا " الهذر" كنوع صحفي، وتعتبره مادة للنميمة والوشاية التي تضلل القارئ.

كما أن الصحافة الفرنسية تعتمد على شكل من الكتابة الإخبارية يطلق عليه تسمية (L'écho) والذي يقصد به المعلومة الصغيرة ذات الطابع الساخر، والترفيهي، و يحرر بطريقة أصيلة وجذابة، ويكتب بأسلوب حاد متناولا ما يقع على هامش الحياة السياسية. فهذا الشكل من الكتابة الإخبارية لا وجود له في التقاليد الصحفية العربية لأنه يتطلب هامشا من الحرية ورحابة الصدر، وإن وجد في بعض الصحف فإنه ينظر إليه على أساس أنه نشاز، ودخيل، وغير جدير بالصحافة الرصينة!

يمكن الإشارة، في هذا السياق، إلى تلك الكتابات الصحفية القائمة على السجع والتي ظهرت في بعض الجرائد العربية في فترات متقطعة، ونخص بالذكر صحيفة الشعب اليومية الجزائرية في نهاية الثمانينات من القرن الماضي.

كما يمكن أن نعثر على جملة من المصطلحات والمفاهيم التي التصقت بالمهنة ومنتجاها ومنتجيها في بعض الدول دون غيرها. وتفتقر إلى ما يقابلها في بعض اللغات الأخرى، نذكر منها، على سبيل المثال: (Bonne feuille) (ويقصد به مقتطف من كتاب ينشر فور صدوره أو قبل الصدور ببضعة أيام فقط). و(séancier) أو (Couloiriste) ويقصد بهما الصحافيون المكلفون بالنقل المستمر للمناقشات العامة في مجلس النواب أو كل ما يجري في لجانه المختصة وكواليسه.و(Localistes) ويقصد بهم الصحافيون المكلفون بالتغطية المستمرة للأحداث التي تجري في مقاطعة سكانية معينة. ففي الدول التي لم تعش تجربة برلمانية، أو تملك نشاطا برلمانيا صوريا، لا توجد هذه المصطلحات مكانا لها في الإعراب. كما أن المجتمعات التي لم تشهد سوى الصحف المركزية

والقومية، ولا تهتم بالأخبار والأحداث المحلية، لا يمكن أن تستعين بهذه النوعية من الصحافيين المهتمين بالشأن المحلي الضيق.

إذا تعكس هذه المفاهيم والمصطلحات، في جوهرها، طرائق عمل صحفية. وتكشف عن مضامين إعلامية، ومهام ووظائف لا توجد، بالضرورة، في مختلف التجارب الإعلامية. لكنها تنبهنا إلى ضرورة التعامل الحذر والمرن مع الأنواع الصحفية، بمعنى الأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات التعبيرية والإبداعية التي امتلكت تدريجيا شكلها الثابت. فمفهوم الأنواع لا وجود له بدون إنتاجه، وإعادة إنتاجه لتكريس بعض القسمات والخصائص التي تميزه. (4)

إن الأنواع الصحفية شديدة الالتصاق بالتقاليد الثقافية والسياسية في هذا البلد أو ذاك، و تشكل بعدا من أبعاد خطب الممارسات الاجتماعية.وتعبر سيميائيا عنها حسبما ذهب إليه الباحث: Francois Rastier . إنها تندرج ضمن علاقات اجتماعية " مقننة" يمكن أن تتنوع في السياقات الاجتماعية والثقافية والتاريخية المختلفة.

4 - لا شك بأن المنتج الذي تقدمه وسائل الإعلام (تنتجه أو تبثه وتنشره) منمط (Standardisé) كأي إنتاج تفرزه الثقافة الجماهيرية. ويعتقد أن التنميط شرط أساسي للاتصال الجماهيري، إذ يسمح بصياغة الخطاب الإعلامي وفك رموزه وتفكيكها قصد استيعابها. وتتجلى تقاسيم هذا التنميط على مختلف المستويات: فالأشخاص الفاعلون أو المحوريون هم ذاتهم، وهم قلة على كل حال، يظهرون بتواتر مستمر، والنص الجديد المضاف ينمط بدوره ويدمج في الكل. (5) و لا يمكن أن يحجب هذا التنميط حقيقة أخرى، تنفلت عادة من حقل الملاحظة بحكم " الإدمان" على رؤيتها. وتتمثل في أن المنتج الإعلامي ليس واحدا، سواء على مستوى الموضوع، أو الأسلوب، أو

المضمون. ونقصد بهذا الأخير منظومة الأفكار والمشاعر والعواطف والانفعالات التي يتضمنها النص الصحفي. ولو سحبنا ما قاله الناقد الفرنسي Roland Barthes عن النص، وألصقناه بالمادة الصحفية، فيمكن القول بأنها جملة من نسيج الكلمات المستخدمة في وسائل الإعلام والمرتبة بشكل ينتج المعنى الثابت ويفرضه. فالمادة الصحفية نص يملك بنية ذهنية منطقية تتمثل في الأفكار والحجج والبراهين، والأدلة، وتملك بنية نفسية ووجدانية. وتتجسد هذه الأخيرة في المناخ العاطفي/ الانفعالي الذي يسود النص.[6]

توجد أنواع صحفية أقدر على حمل مضامين معينة أكثر من غيرها: تملك عتاد حجاجي أو سجالي أكثر من غيرها أو تقتصر على البعد الإخباري دون غيرها. هنا يتسنى فهم سر إلحاح بعض الباحثين وتأكيدهم على أن الأنواع الصحفية متفاوتة القدرات في الأخبار، والتبليغ، والتعبير، والتأثير، والتوجيه الفكري. وهذا رغم ما يظهر على المنتج الصحفي من تنميط بالصيغة التي ذكرناها آنفا.

إن أي خطاب يتم إنتاجه وعرضه يجري في سجل من الاتصال الذي تحدده جملة من العوامل، لعل أبرزها الغاية من وجوده التي تحدد نوع التأثير الذي تنشده الهيئة المنتجة للخطاب والموجه للمتلقي. فغائية النص تتدخل، بفاعلية، في تحديد بنيته ومضمونه. إن الغاية من إنتاج خبر صحفي ليست ذاتها المقصودة من إنتاج " تقرير صحفي" أو بورتري" Portrait

5 – يتساءل بعض الباحثين عن القواعد الخفية التي تخضع لها الكتابة الصحفية باحثين عن جوهر بعض الأنواع الصحفية التي يعرفها المتهنون أو ممارسوها. إن السعي لمعرفة هذه القواعد يحيلنا، بعيدا عن كل نزعة أكاديمية لتصنيف هذه الكتابة، إلى التساؤل عن وضع اللسان في المجتمع وآليات

تطوره. فهؤلاء الباحثيـــن يعتقدون بأن الكتابة الصحفيـــة، التي يعتبروها مـــدونات (Codes) وسائل الإعلام، لا تقوم سوى بنسج الأحداث في قالب (Patron) يتلون ويتغير حسب موضوع الكتابة وغايتها. فيمنحها الشكل المألوف. (7) ومن هذا المنطلق فإن الأنواع الصحفية ليست سوى أشكال تعاقدية وظواهر لسانية. فالنص الصحفي هو نتاج فعل الكلام الذي يتم في وضع من التبادل الاجتماعي وفق صيغة تعاقدية تحددها المنظومة الرمزية المتداولة.

تعكس الأنواع الصحفية وفرة عرض وسائل الإعلام، وتحاول أن تلبي انشغالات الجمهور وحاجاته، وتسهم في تشكيل شخصية الوسيلة الإعلامية وخطها التحريري، وعلاقة قاعة التحرير بمصادر الأخبار. لذا تعتبر أنواع الكتابة الصحفية جوهر العمل الصحفي.

تعرف الأنواع الصحفية بأنها طائفة من الإسهامات الهامة التي تملك شكلا قاعديا واحدا وثابتا نسبيا أو أنه مجال واسع جدا من الخطاب الذي يبرر، مبدئيا، بشكل واحد ومتماثل، ويترجم الظواهر والحقائق. (8)

إن الاعتراف بأن الأنواع الصحفية طائفة أو مجال لا يقربنا، كثيرا، من التحديد الدقيق لما هو النوع الصحفي، لأن مفهوم النوع يوحي بالجمع والتراكم، ولا يكشف بدقة عن الكيف ويفصح عن السمات العامة لهذه الطائفة، ومكوناتها البنيوية، والشكل النوع الصحفي وعلاقاته (9)

تعرف الأنواع الصحفية، أيضا، بأنها أشكال أو صيغ تعبيرية تملك بنية داخلية متماسكة، وتتميز بطابع الثبات والاستمرارية. وتعكس الواقع بشكل مباشر وواضح وسهل. وتسعى إلى تقديم وتحليل وتفسير الأحداث والظواهر

والتطورات، مستهدفة بذلك إيصال رسالة محددة للقارئ لتخاطب ذهنه ومشاعره قصد ترسيخ قناعة محددة لديه، ومن ثم تمكينه من أن يفهم الواقع على ضوء هذه القناعة، وبالتالي تدفعه لأن يسلك سلوكا في المجتمع يتوافق مع هذه القناعة. (10)

تفترض الأنواع الصحفية الاسترشاد بجملة من القواعد المنطقية وتجاوزها في الوقت ذاته. فهذه الحقيقة، التي تتضمن نوعا من التناقض، تزيد في صعوبة تناولها، خاصة وأن الجهد النظري والفكري المرتبط بظهور الأنواع الصحفية في الفضاء الثقافي العربي يشكو من الفقر في وقت تزايدت فيه الدراسات المسحية التي تسعى إلى تكميم الأنواع الصحفية في وسائل الإعلام العربية بدون التساؤل عن غايتها وأسسها.

إن العناصر التي تحدد الأنواع الصحفية يمكن أن تكون متنوعة ومتعدية، أي أن النوع الصحفي الواحد يمكن أن يتشكل من مختلف العناصر، والعنصر الواحد يمكن أن يوجد في مختلف الأنواع. ويمكن أن نميز بين الأنواع الصحفية حسب مبادئ التجانس التي تحدد مجال تطبيقها (11)

إن تصنيف الأنواع الصحفية يطرح إشكالية أساسية تتركب من عاملين أساسين، يتعلق أولهما بالغاية من هذا التصنيف، ويرتبط ثانيهما بالطريقة الإجرائية التي يتم بها، خاصة وأن الكثير من المهتمين بالكتابة الصحفية يعتقدون بأنها تتمايز حسب درجة ذاتيتها أو وفق مقدار موضوعيتها.

إن فكرة تصنيف الأنواع الصحفية لا تعتبر ترفا علميا يمارسه المثقفون والمنظرون بل تملك قيمتين متداخلتين: قيمة وظيفية، وأخرى معرفية. فوراء تصنيف الأنواع الصحفية تتجلى أنماط الكتابة الصحفية التي تتحول إلى نماذج

تصقل النشاط الصحفي، وترقيه، وتطوره. فالإبداع الصحفي ينطلق من استيعاب هذه النماذج ويتجاوزها، ولا يتم بتجاهلها. كما أن النوع يملك بعدا تعاقديا في عملية الاتصال يسهم في إدراك أبعاده وبلوغ مقاصده. ولتبسيط هذه الفكرة يمكن القول أن الأفلام الكوميدية، على سبيل المثال، يمكن أن ندفع الجمهور المتلقي (المشاهدين) إلى تقبل بعض المواقف والملفوظات والمبالغات التي يرفضها، ربما بقوة، لو طرحت في فيلم درامي.

إذا إن فكرة تصنيف الأنواع ضرورية لفهم الكثير من أشياء العالم، حيث يجب توفر المقدرة على معاينة الاختلافات والتشابه في الطريقة المؤدية إلى صياغة المعنى، والتي تقود إلى تأسيس النوع الذي يشكل أنموذجا لإقامة العلاقة بين إنتاج الخطاب وقراءته. (12)

توجد أكثر من طريقة لتصنيف الأنواع الصحفية، سنكتفي بعرض أبرزها.

الطريقة الأولى:

تصنف الأنواع الصحفية انطلاقا من الطرائق العملية التي تنجز بها. وتنقسم إلى ما يلي (13):

❖ الأنواع التي تعالج الأخبار الخام: وتضم مجمل الأنواع التي تنتج من خلال إعادة صياغة برقيات وكالات الأنباء التي تأخذ شكل خبر بسيط أو مركب أو تقدم عرضا موجزا عما كتبته الصحف:(Revue de presse)

❖ الأنواع الصحفية التي تقوم على السرد: أي الأنواع التي تحكي ما سُمِع أو شوهد، مثل: التقرير الصحفي، والأنباء العامة التي تدور حول الأحداث المتنوعة والخفيفة:(Les faits divers) أو تلك التي تسلط الضوء على شخصية أو

وضع: (La mise en scène d'un personnage ou d'une situation) كالبورتري (Le portrait) والمقال التاريخي والربورتاج.

❖ الأنواع الصحفية التي تقوم على الدراسة، والتي تكمل بعض الأنواع الصحفية المذكورة أعلاه، أي أنها تقوم بشرح وتفسير المواد التي تقدمها الأنواع الصحفية القائمة على الإعلام " الخام"، مثل: " المقال التحليلي، والتحقيق الصحفي.

❖ الكتابات الخارجية: ويقصد بها الأنواع الصحفية التي تأتي من خارج قاعة التحرير أوتلك التي يمحى فيها الصحافي ليترك الكلمة للآخرين، مثل البيان الصحفي(Communiqué de presse) ، وبريد القراء (Courrier de lecteurs) ومنبر الآراء الحرة (Libre tribune).

❖ الأنواع الصحفية التي تقوم على التعليق، مثل: الافتتاحية، والعمود الصحفي Le billet، والمقال النقدي.

الطريقة الثانية:

يصنف الباحث Patrick Charaudeau [14] المنتج الصحفي كالتالي:

1 - المنتج القائم على (الحدث المنقول)، أي ذاك المتعلق بنقل الأحداث والأقوال التي تسري في الفضاء العمومي، وذلك لأن ما ينتج في الفضاء العمومي يرتبط بسلوك الأفراد الذين يقومون بأفعال أو أحداث. أما الأقوال التي تصب في هذا الفضاء فإنها تتوقف، أيضا، على تصريحات الأشخاص. فالأفعال والأحداث والأقوال تملك نوعا من الأهمية جراء انتقائها وتوزيعها عبر وسائل الاتصال الجماهيري.

2 - المنتج القائم على التعليق على الحدث(L'événement commenté) . إنه النوع الذي يقترح تصورا مبنيا على تفسير ما جرى. ولا يكتفي بإظهار ما حدث أو تخيل طبيعته. فيسلط الأضواء على المتستر، ولا يُرى في الحدث الذي يعد محركا لحدثية العالم l'événementalité du (monde):(الأسباب، المقاصد، والأهداف). إنه يؤشكل (problematiser الأحداث والوقائع (أي يحولها إلى إشكاليات) ويطرح الفرضيات، ويحلل الأطروحات المتعلقة بها، ويقدم الحجج، ويفرض النتائج أو الخلاصة)

3 - النوع الصحفي القائم على إثارة الحدث: (provoqué l'événement). لا تكتفي وسائل الإعلام بنقل الحديث المتداول في الفضاء العمومي. بل تسهم، بفاعلية، في الحوار الاجتماعي وتأطيره: أي إعداد الآليات الضرورية لإبرازه وجعل الأحاديث المختلفة في أوضاع مواجهة.إن إبراز الأحاديث وإدراجها في الأوضاع المذكورة لا يتم بشكل عفوي أو رغم أنف الحوار الاجتماعي الذي يسود في الفضاء العمومي. إن هذا الإنجاز يتطلب شكلا من التنظيم والإخراج بحيث يصبح الحديث المتنوع والمتعارض في وسائل الاتصال الجماهيري حدثا بارزا.

الطريقة الثالثة:

تصنف الأنواع الصحفية وفق الطريقة التالية:

❖ الأنواع الإخبارية: تضم الأنواع التي تنطلق من أحداث ملموسة قصد إعلام الجمهور، وإبلاغهم بما جرى، مثل: الخبر الصحفي، التقرير الصحفي...)

❖ الأنواع الفكرية : تشمل المواد التي تسعى، أساسا، إلى تأطير الجمهور وتوجيهه، وغرس مجموعة من القناعات والمواقف في ذهنه، مثل المقال، والتعليق الصحفيين.

يطلق البعض على هذا الصنف من الكتابة الصحفية تسمية الأنواع التأويلية التي تستدعى كفاءة الصحافي لاستجلاء الحدث وجعله مفهوما أكثر. فالمقال التحليلي يغوص في أغوار الحدث مستخرجا أبعاده، ويسعى الصحافي، من خلاله، لقراءة الأحداث انطلاقا من فهمه لها، من جهة، ومن وجهة نظره المتحيزة لرؤية أو موقف محدد.

❖ الأنواع التعبيرية: تشمل المواد الصحفية التي تبرز حالات خاصة أو تقدم أشخاصا معينين، فتسلط عليهم الأضواء، وتصفهم في تفاعلهم مع الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه، مثل: الربورتاج الصحفي، Le reportage والبورتري.

❖ الأنواع الاستقصائية: تضم المواد الصحفية التي تقدم مادة دسمة ومعمقة للبحث والتحليل والتقصي قصد الوصول إلى حلول وإبراز التصورات لحل المشاكل والظواهر التي تتناولها، مثل: التحقيق الصحفي

نعتقد أن الطريقة الثالثة المعتمدة في تصنيف الأنواع الصحفية تشكو من بعض النقص، لأن بعض العطاء الصحفي، الذي يشهد على ثراء المنتج الصحفي، يصعب تصنيفه ضمن إحدى الخانات المذكورة. فالحديث الصحفـــي(L'interview)، على سبيل المثال، يمكن أن ينتمي إلى أكثر من خانة! حيث ينتمي إلى الأنواع الإخبارية إذا كان الهدف من القيام به تقديم مجموعة من المعلومات المستحدثة والأخبار. و يمكن أن يندرج في خانة الأنواع

الفكرية إذا كان يهدف إلى تبادل الآراء والمواقف والمحاججة. ويصنف أيضا ضمن الأنواع الاستقصائية إذا كان يستهدف الكشف عن مجموعة من الحقائق والوقائع ليحكها على وقائع ومعطيات أخرى.

كما أن هذه الطريقة تسقط بعض الأنواع الصحفية التي لا تجد موقعا لها في الفئات التي تقترحها، مثل: الملف الصحفي الذي يعرف بأنه نص أو مجموعة نصوص وربورتاجات مجتمعة ترمي إلى تقديم نظرة بنورامية لمشكل أو وضعية، والربط بين عناصرها. ويمكن للملف أن يستوعب العديد من المعالجات المتوازية، حيث يستعين بعناصر الربورتاج، والمقال، والحديث الصحفي، والبورتري (Le portrait)، الذي يركز على الشخصيات المحورية وبعض المجموعات النشيطة في مجال موضوع الملف.

إن الطريقة الثانية تجمع بين المتطلبات النظرية للأنواع: دور النوع الصحفي ووظيفته وعلاقته ببقية الأنواع الصحفية، وبين المستلزمات العملية والإجرائية لإنجازه والتي تمده بالشكل الحي والملموس الذي يظهر عبره في الوسيلة الإعلامية. كما أن الطريقة المذكورة تبرز بشكل أفضل الخصائص البنيوية لكل نوع صحفي، مثل: الحجم، والشرح، والتفسير، والتعليق، والحقائق والوقائع، والرأي والمواقف، والعواطف والبعد الذاتي.

لتمييز مختلف الأنواع الصحفية عن بعضها نستعين بالعوامل التالية:

- موضوع المادة الإعلامية (حدث، واقعة، قضية)
- طريقة الإنجاز والالتقاء بالواقع.
- حجم المادة الصحفية
- أسلوب الكتابة ومواد بنائها وحجمها: (المعطيات والحقائق، الرأي ووجهات النظر، والبراهين والحجج، والوصف، والسرد، والتحليل والدراسة)

- الهدف من الكتابة (وظيفة النوع): (التبليغ والإخبار، الإقناع، البحث والتحليل، التعبير، الجدل والسجال، وغيرها).
- السياسة التحريرية أو طبيعة الوسيلة
- وضع الصحافي (مستقل عن المؤسسة، تابع لتنظيم سياسي أو مدني)
- الاعتبارات الأخلاقية وشرف المهنة.
- موقع المادة الإعلامية في الصحيفة.

الأنواع الصحفية والتلفزيون

بعد الإطلاع على بعض التعاريف المقدمة للأنواع الصحفية، والاقتراب من الصعوبات التي تعترض محاولة حصرها على الصعيد النظري، يتبادر إلى الذهن محترفي الصحافة ومنظريها السؤال التالي: هل أن الأنواع الصحفية التي نجدها في الصحافة المكتوبة هي ذاتها التي نجدها في الوسائل السمعية- البصرية، خاصة التلفزيون، باعتبار أن هذا الأخير يؤدي، من جملة ما يؤدي، وظائف إخبارية كانت حكرا على الصحافة قبل أقل من قرن من الزمن فقط؟

إن الإجابة على هذا السؤال سهلة وممتنعة لمجموعة من الاعتبارات، نخص منها بالذكر ما يلي:

❖ إن المواد الإخبارية أو الجريدة المصورة لا تأخذ من شبكة البرامج حيزا كبيرا رغم تزايد أهميتها. فالحديث عن الأنواع في التلفزيون يبعث المرء للتفكير في الأنواع غير الإخبارية: المواد الدرامية والترفيهية، (أفلام، مسلسلات، برامج تلفزيونية، وغيرها)

❖ يؤكد جل المهتمين بالكتابة التلفزيونية أن مفهوم الأنواع الصحفية في التلفزيون مازالت بحاجة إلى المزيد من الجهد والتفكير قصد تحديدها وتوضيحها [15] والسبب

في ذلك لا يعود لقصر عمر التلفزيون، بل يرجع للترعة الكامنة في الفن: نزعة التجاوز. وجنوح التلفزيون عبر نشاطه إلى محو الحدود بين الأنواع مما أدى إلى ميلاد " أنواع هجينة". (16)

❖ خضع تطور التلفزيون في شقه الإعلامي إلى عاملين أساسيين، وهما:

أولا: ارتباط الإنتاج التلفزيوني الوثيق بالصحافة وبفروع الإنتاج الفني.

ثانيا: استفادة المنتج التلفزيوني من التسهيلات التقنية الجديدة ومن الابتكارات التكنولوجية. فالتكنولوجيا الجديدة تتحمل القسط الأوفر في تكاثر أنواع الإبداع التلفزيوني وتعددها. فالمتتبع لتاريخ التلفزيون لا يستطيع أن يخفي ما قدمته التحديدات التكنولوجية من خدمات للإنتاج، وللمدة الزمنية التي أصبح يستغرقها، وللعرض التلفزيوني وأساليبه، مثل: تطور أنواع كاميرات التصوير، والانتقال من المونتاج التماثلي إلى الرقمي.

للإجابة على السؤال المطروح أعلاه يمكن القول أن العديد من الأنواع التلفزيونية ما زالت تحتفظ بأسمائها الصحفية، خاصة تلك التي يقال عنها أنها أساسية، و هذا يدل، بشكل أو أخر، على أن مضمون النوع الواحد، والوظيفة هي ذاتها تقريبا. لكن الاختلاف يكمن في طرق العرض والتقديم الذي تفرضه طبيعة الوسيلة الإعلامية. فالأنواع الصحفية أصبحت تعتمد على أدوات إضافية خاصة بالتلفزيون تزيد في مقدرتها على إظهار الأشياء وتشخيصها، والتمشهد، والإيحاء. وبات من المؤكد أن بعض الأنواع الصحفية تتمتع بحيوية، أكثر، في التلفزيون. لقد اكتسبت هذه الأنواع مقدرة عالية في تحقيق الغرض من وجودها. وهذا تثبته، بقوة، الأنواع الصحفية التالية: المقابلة الصحفية، التقرير، الربورتاج.

يسعى الباحث " باتريك شرادو " (Patrick Charaudeau) الإجابة على السؤال المطروح أعلاه من خلال تفكيك بنية المادة التلفزيونية، واستخراج وظائف مكوناتها البارزة، خاصة: اللسان، والصورة وإعادة توليفها (17)

إن لسان وسائل الإعلام هو جملة من الملفوظات الخاضعة لشروط التعاقد الاتصالي الذي تفرضه عملية الاتصال. وتصنف هذه الملفوظات إلى الوحدات التالية: الوصف، الشرح، الشهادة، الإعلان، التعارض والتناقض. ويقصد بهذا الأخير جلب وجهة نظر مخالفة للآراء المعروضة. أما الوظائف المرجعية للصورة، فهي كالتالي:

التعيين: La désignation ويقصد به تقديم العالم في واقعيته المدركة، وإظهاره إلى جمهور وسائل الإعلام.

التمثيل: La figuration ويتلخص في إعادة صياغة العالم بتحويله من وضع غير مدرك في آنيته إلى شيء يشبهه وممكن أن يكون حقيقيا.

الرؤيوية: La visualisation وتتحقق من خلال المدونات، وتبرز وفق مقتضيات عقد الاتصال سواء بكشف الحقيقة في المادة الإخبارية أو إحداث الوقع الدرامي في التنوع الفيليمي.

الأنواع الصحفية والكتابة الإلكترونية:

تحدد الأنواع الصحفية، غالبا، بأنها فئات من النصوص أو الوثائق الإعلامية التي تملك خصائص ترتبط بالنية من الاتصال، وأسلوب كاتبه. وتخضع هذه النصوص إلى القواعد البنيوية ذات الصلة بالنوع الذي تنتمي إليه. فالنوع الصحفي يدل على بنية خاصة تظهر في سياق تواصلي، وتدمج في سياق

العرض أو النشر، وتعالج وفق الخصوصية السيوسيولوجية والتقنية لكل وسيلة إعلامية.

فهذا التعريف للأنواع يتجاوز إطار الصحافة المكتوبة، ويطرح على مستوى منتجات وسائل الإعلام المختلفة: إذاعة، وتلفزيون، وانترنيت. هذه الحقيقة تقودنا إلى البحث عن ملامح تأثير تكنولوجية الاتصال الحديثة على الأنواع الصحفية بصفة خاصة، والكتابة الإعلامية بصفة عامة.

يثار جدل فكري كبير، منذ أكثر من عشرية، حول تأثير الثورة الإلكترونية على الكتابة الصحفية، بصفة عامة، والأنواع الصحفية بشكل خاص. إن بعض الباحثين يعتقدون أن الكتابة الصحفية تظل محتفظة بجوهرها بصرف النظر عن الحامل الذي تتمظهر فيه[18]: (صحافة مكتوبة، إذاعة وتلفزيون أو الانترنيت). و يعتقد البعض الأخر أن التكنولوجية الرقمية قد أحدثت انقلابا كبيرا في وسائل الاتصال الجماهيري ومجالاته، حيث دكت الحدود الفاصلة بين الإخبار، والتجارة، والإعلان [19] وبهذا استدعت صياغة جديدة لأشكال التعبير الصحفي.

نعتقد أن الولوج لتفكيك سياق هذا الجدل ومنطلقاته ضروري لتشخيص مظاهر التغيير في الكتابة الصحفية الإلكترونية، لأن المنطلقات الخلافية لهذا الجدل تتجلى أكثر في المستويات الثلاثة التالية:

المستوى الأول: **الانترنيت وسيلة اتصال جديدة أم أداة تقنية للتوزيع والبث الإعلامي؟**

تباينت النظرة إلى وسيلة الاتصال الجديدة (الانترنيت) في أوساط المختصين والمهتمين. فالبعض ينفي أن تكون الانترنيت وسيلة اتصال جماهيرية

جديدة، ويرى بأنها رافد جديد لبث وتوزيع المضامين التي كانت تبثها وسائل الإعلام الكلاسيكية [20] وبهذا فهي تقوم بعملية جمع لوسائل الإعلام القديمة.
و أضطر البعض الأخر للاعتراف بأن الانترنيت وسيلة اتصال جديدة، لكونها تقدم جملة من الخدمات لم تستطع، في السابق، أن تقدمها وسيلة إعلامية أو اتصالية بمفردها: (الاستماع إلى الموسيقى، وقراءة الأخبار، ومشاهدة لقطات فيديو، وإرسال البريد وقراءته، والبحث عن المقالات والدراسات والبحوث، والمشاركة في الندوات وحجر الدردشة). لكنه لا يقر بامتلاكها لغة خاصة بها. فاللغة تعتبر المادة الأساسية التي تسهم، بفاعلية في إبراز الشخصية المستقلة لأي وسيلة إعلامية جديدة. فالباحث " برينو بتنو" يزعم بأن شبكة الانترنيت هي الوسيلة الوحيدة التي ولدت بدون أن تلد لغة جديدة. [21] بالفعل، إن هذه الشبكة قد بُنيت على " بروتوكلات معلوماتية خاصة" دفينة أو غير ظاهرة، وما يظهر من هذه اللغة في الشبكة هو ما ألفناه في وسائل الإعلام السابقة، في شكل مكتوب، بدرجة أساسية. إذ أن الخبراء يؤكدون بأن 85% من محتوى هذه اللغة مكتوب. تضاف له اللغة السمعية- البصرية. وما زاد في القناعة بهذا الرأي أن الصحافة الإلكترونية في شبكة الانترنيت بدأت سواء بتصوير الصحف الورقية، كما تجلى في الصحف الأولى التي ظهرت في صفحات الواب، أو في عملية مزج مكونات اللغة الخاصة بوسائل الإعلام الكلاسيكية: (الصورة الثابتة أو المتحركة، النص المكتوب، الصوت). وهذا ما حدا بالبعض للتأكيد على أن لغة " الوسائط المتعددة" لازالت في حالة وضع لتفرض نفسها في عالم الإعلام والاتصال، ولم يعروا اهتماما للتفاؤل المسرف ببرامج الكمبيوتر الحديثة، مثل: "فلاش" والتي يعتقد بأنها تقوم بدور حاسم في تطوير هذه اللغة. فالعامل التقني وحده غير قادر على تفسير ظاهرة في غاية التعقيد: ظهور لغة خاصة بوسيلة الإعلام وتطورها.

نعتقد أن تاريخ وسائل الإعلام وإسهامها في مجال الإعلام يؤكد الحقيقة التالية: إن ميلاد وسيلة إعلامية جديدة لا يؤدى، بشكل آلي وأني، إلى ميلاد لغة خاصة بها. بل تظل هذه اللغة رهينة جملة من العوامل الداخلية (المرتبطة بالجانب التقني للوسيلة وطريقة تنظيم عملها) والعوامل الخارجة عن الوسيلة الإعلامية. فالإذاعة استعانت، في انطلاقتها، بلغة " الصحافة المكتوبة" في نشراتها الإخبارية: حيث كانت تقرأ ما تكتبه الصحف، لكن سرعان ما فرضت لغتها الخاصة، البعيدة عن النمط المكتوب ، والمستلهمة من اللغة المحكية، المتميزة بتلقائية اللفظ. هذه الحقيقة ذاتها تنطبق، أيضا، على التلفزيون، الذي استعان في بداية بثه للأخبار بلغة الإذاعة إلى درجة أن البعض عرف التلفزيون في ذلك العهد بأنه إذاعة + سينما! لكن بالتدريج استقل التلفزيون بلغته ونأى عن السينما والإذاعة. لقد حصر الباحث الفرنسي " جون بول هاغ" (22) العوامل التي أسمت، بهذا القدر أو ذاك، في تكوين لغة التلفزيون فيما يلي:

1- العامل التكنولوجي الذي جعل البث التلفزيوني المباشر ممكنا، والنقل الحي للأحداث متاحا وهي في عنفوان حدوثها.

2- تزايد جماهيرية مشاهدي التلفزيون التي تركت بصماتها في توجهات المواد التي تعرضها على الجمهور، والقوالب التي تقدمها بها.

3- اهتمام السلطات العمومية بهذا الجهاز ومحاولة تسخيره خدمة لأهدافها وغايتها.

إن استرجاع تاريخ وسائل الإعلام يكشف لنا المسار الذي سلكته كل وسيلة إعلامية في فرض ذاتها في البيئة الاجتماعية والثقافية، وفي بسط لغتها الخاصة كمدونة اتفاقية للتعامل الداخلي (بين المهنيين) أو في علاقاتها مع

الجمهور. ولعل قاموس المصطلحات التقنية والفكرية المرتبطة بهذه الوسيلة الإعلامية أو تلك خير دليل على وجود اللغة الإعلامية الخاصة بها.

إن مقارنة بسيطة بين أول موقع إلكتروني لأول صحيفة ظهرت في شبكة الانترنيت (Chicago Tribune سنة 1992، والصحيفة الكاليفورنية San Jose Mercury News التي تلتها في الظهور في شبكة الانترنيت بعد سنة فقط من التاريخ المذكور يدرك حجم التغيير في هذه اللغة. فالصحيفة الأولى كانت عبارة عن صورة مصورة للطبعة الورقية ، بينما حاولت الصحيفة الثانية أن تتعدى الحدود التي رسمت للصحافة المكتوبة، حيث تضمنت ملتقى للنقاش، ووثائق لا تتحملها الصحف الورقية، وعناوين إلكترونية للصحافيين، ووصلات تجر القارئ إلى فضاءات علمية وثقافية، ومستجدات الأحداث. ومن يتصفح " Webzine" الحديثة يدرك مظاهر التطور في الصحافة الإلكترونية التي تعتبر القارئ طرفا في إنتاجها- كما نبين ذلك لاحقا.

إن ما سبق عرضه يؤكد بأن وسائل الإعلام لم تلد مكتملة البناء، بل تنمو وتتطور في شكلها ومضمونها ضمن مسار معقد من التأثير والتأثر. فالصحافة المكتوبة، التي تملك تراثا ثريا يمتد على مدار حوالي أربعة قرون، ظلت تتأثر بوسائل الإعلام التي ظهرت بعدها، على مستوى المحتوى والشكل. فبعد سنوات قلائل من الوجود أصبحت صفحات الواب هي التي تؤثر على إخراج الصحف الورقية حيث يمكن أن نلاحظ وجود عدة " نوافذ" بألوان مغايرة داخل المقال الواحد، من أجل توجيه النظر، ومحاكاة فعل القراءة على شاشة الكمبيوتر. أي تجزئة محتوى في المتن وتوزيعه على " نوافذ" مسدودة.(23)

المستوى الثاني: الأنواع الصحفية قوالب مجردة أم أشكال لمحتويات ملموسة تعكس طبيعة وسيلة الإعلام؟

يعتقد البعض أن الأنواع الصحفية تظل ذاتها بصرف النظر عن الوسيلة التي تنقلها. وبهذا يُستنتج بأن الصحف والمجلات الإلكترونية لا تؤثر بتاتا على الأنواع الصحفية التي استمرت في الوجود عدة قرون. إننا نعتقد بأن هذا الاستنتاج متسرعا وينطلق من اعتبارات غير صحيحة، أولها أن الأنواع الصحفية هي قوالب تعبيرية مجردة صالحة لكل زمان ومكان، بمعنى أن الأنواع الصحفية أشكال تعبيرية حيادية تنقل خطب الممارسات الاجتماعية. إن أنثروبولوجية الأنواع الصحفية تؤكد بأنها حاويات لمضامين ملموسة، وتشكل بعدا من أبعاد خطب الممارسات الاجتماعية. وبهذا يمكن اعتبارها بمثابة المستوى السيميائي للممارسة الاجتماعية، على حد قول الباحث: Francois Rastier

للتأكيد على أهمية الأنواع الصحفية في تطوير أدوار وسائل الإعلام يمكن الإشارة إلى الأسئلة الراهنة التي يثيرها علماء اللسانيات، والمهتمون بالكتابة الصحفية [24] ، والتي يمكن أن نختصرها فيما يلي: ما مدى تأثير العامل الاقتصادي على الأنواع الصحفية؟ وكيف تتدخل المنافسة الشرسة بين مختلف وسائل الإعلام في تشكيل الأنواع الصحفية وتطورها؟ وكيف يؤثر العامل الأخلاقي والأدبي في تطور الأنواع الصحفية؟ وما مدى التنظيم الداخلي للعمل الصحفي في قاعة التحرير وأساليب اتخاذ القرار في مجال التحرير على توجيه الوسيلة الإعلامية على استعمال هذا النوع الصحفي بدل ذاك، أو التركيز على هذه الأنواع الصحفية أكثر من تلك؟

تتدخل عادة عدة عوامل لتملي على وسائل الإعلام استخدام هذا النوع الصحفي بدل ذاك للتعبير على هذا الحدث أو ذاك. وهذا ما أدى بالبعض بإقرار المعادلة التالية، في العمل الصحفي: " النوع الصحفي المناسب، للحدث أو الموضوع المناسب."

من جملة العوامل التي تؤثر على الأنواع الصحفية العادات والتقاليد الثقافية والسياسية التي أشرنا إليها آنفا.

إن الأنواع الصحفية لم تظهر دفعة واحدة في حالة مكتملة البناء. فالربورتاج، على سبيل المثال، أزدهر بشكل ملفت للنظر في القرنين الأخريين: 19 و20 ، وعلى يد مجموعة من الكتاب والأدباء أمثال: أميل زولا الفرنسي، وابتن سنكلر، وجون ريد الأمريكيين، ثم انتقل إلى مجال الصحافة على يد نخبة من الصحافيين نذكر منهم على وجه الخصوص الصحافي الفرنسي " ألبار لندن" الذي اشتغل مراسلا حربيا. لذا نلاحظ أن الكثير من مؤرخي الأنواع الصحفية يربطون الحروب والتراعات المسلحة بميلاد هذا النوع الصحفي. كما أن المقال الافتتاحي ظهر في ظل بروز صحافة الرأي التي واكبت الحركية السياسية في المجتمعات الغربية (تشكيل أحزاب سياسية، ظهور نقابات عمالية قوية، ممارسة الانتخابات كوسيلة للتداول على السلطة،....).

على ضوء الخصوصية الثقافية، يمكن القول، تجاوزا، أن الكتابة الصحفية الإلكترونية التي تقع فوق الثقافات الوطنية أو ما بين الثقافات من ناحية المحررين أو القراء المتناثرين في العديد من مناطق العالم قد تنأى عن التقاليد الوطنية والثقافية الضيقة أو أنها تكف عن تطوير الأنواع الملتصقة ببعد وطني محدد. إنها مرشحة للاستلهام من الثقافة الكونية أو الكسموبوليتية وترتبط أكثر، بالأحداث الدرامية الكبرى في العالم. ففي

هذا الصدد يمكن القول أن " المدونات الشخصية" Blogs ، كشكل تعبيري في شبكة الانترنيت، قد ازدهرت بتزايد أعمال العنف في العالم و مآسي الكوارث الطبيعية: أحداث 11 سبتمبر 2001، وطوفان تسونامي ديسمبر 2004، وإعصار كارترينا سبتمبر 2005 – سنشرح هذا الشكل التعبيري لاحقا.

1 – حجم الحدث: لقد دأب المختصون على تصنيف الأنواع الصحفية انطلاقا من الموضوع الذي تعالجه، الذي هو في حقيقة الأمر شريحة الواقع التي يعبر عنها أو يعكسها. فالتحقيق الصحفي والربورتاج، على سبيل المثال، يغطي شريحة من الواقع أوسع من تلك التي يغطيها الخبر الصحفي، على سبيل المثال. فهذا المعيار هو الذي وجه نشاط قاعات التحرير في الصحف والإذاعة والتلفزيون إلى تحديد أشكال معالجة المواضيع صحفيا انطلاقا من حجمها. لقد استطاعت الصحافة الإلكترونية أن تتجاوز هذا المعيار، أو تحيّده. فكل المواضيع تتساوى في صفحاتها، وذلك لتركيزها على الآنية وملاحقة الأحداث، بحيث تقطف العناصر الأولى للحدث أو الواقعة أو الظاهرة وتتوسع فيها من خلال الإضافات، والاستحداث المتوالي، والإحالات عبر الوصلات سواء داخل صفحة الصحيفة أو خارجها (مواقع أخرى).

إن ما حاولت الصحافة الإلكترونية الاحتفاظ به، هو قالب الهرم المعكوس، الذي يقدم أخر التطورات في الحدث. أما جسم المادة الصحفية فيتشذر في وصلات متعددة، ومداخل مختلفة. هذه الملاحظة تقودنا إلى القول بأن الصحافة الإلكترونية تميل إلى توحيد أنماط الكتابة الصحفية. وبهذا تجرد بعض الأنواع من خصائصها البنيوية ووظائفها.

لقد سبق وأن ذكرنا بأن الأنواع الصحفية تصنف انطلاقا من الطريقة العملية التي تجمع بها المادة الصحفية وتحرر. لكن يبدو أن هذا التصنيف يصعب تطبيقه على الصحافة الإلكترونية للتمييز بين أشكال الكتابة فيها بطريقة واضحة. فإضافة إلى الكتابات الخارجية التي تحتل مكانة مرموقة فيها نظرا لتوفر المستوى الثاني من التفاعلية (التفاعل مع محتوى المادة المعروضة في الشاشة)، نلاحظ أن الصحافة الإلكترونية تقوم على العمل المكتبي.فالدراسة التي أعدتها مؤسسة Middleberg/ross الأمريكية تؤكد أن 92 % من الصحافيين في الدول المتقدمة استخدموا الانترنيت كمصدر لكتاباتهم سنة 2001، بعد أن كان عددهم لا يتعدى 66% سنة 1995 [25] لاشك بأن النسبة المذكورة قد ارتفعت خلال السنوات الأربع الأخيرة مشيرة إلى توسع ظاهرة" الحركة الدائرية للإعلام" في وسائل الإعلام والتي طرحها المفكر الفرنسي " بيار بورديو"، والتي جعلت الحقيقة والتنوع على رأس قائمة ضحاياها. فالواقع لم يعد المحك للاحتكام لصحة الأخبار، بل إن مدى انتشارها اصبح المقياس الوحيد لصحتها وواقعيتها. كما أن هذه الحركة الدائرية للأخبار قد تقضي على هامش التنوع، وتقلص رقعة الاختلاف. فالأخبار ذاتها تتكرر من وسيلة إعلامية إلى أخر مع بعض الاختلافات الطفيفة. إضافة إلى مكوث أغلبية العاملين في الصحافة الإلكترونية في مكاتبهم وراء شاشات الكمبيوتر، مما يوحي بإمكانية وجود فجوة تفصلهم عن الحقيقة العينية التي يتحدثون عنها نتيجة عدم تماسهم معها مباشرة.

تملكُ المادة الصحفية الإلكترونية قيمة تختلف كلية عن الصحافة الورقية. ففي هذه الأخيرة، يتكفل أحد الصحافيين بصياغة مادته ويحيلها إلى مسؤوله المباشر لقراءتها، وترسل إلى المدقق اللغوي ليصححها، وبعدها تطبع

متضمنة توقيع صاحبها. بهذه الطريقة تصبح هذه المادة في نظر الباحث " برينو باتنو" (Bruno Patino) لبنة وحجرة أساسية في معمار الصحيفة الورقية، وهذا خلافا للمادة في الصحيفة الإلكترونية، التي يتدخل عدة أشخاص في كتابتها وتعديلها وتشكيلها بعد أن تتم الموافقة على نشرها. وبهذه تتحول، في نظر الباحث ذاته، إلى عجينة لينة، يعاد تشكيلها في كل مرة. لقد بلغ هذا الأمر في الصحافة الإلكترونية الأمريكية، درجة أصبح من الصعب معرفة أين أصل النص الصحفي، وأين الإضافة والتعديل الذي أدخل عليه لأن المواقع الإلكترونية التي تصدرها لا تستخدم الإمكانيات التيبوغرافية لتوضيح التعديلات والإضافات. [26] وهكذا تمحى شخصية الصحافي أو كاتب المادة الصحفية وراء العمل الجماعي ذي الهوية الغائبة. ألا تتشابه هذه المادة الصحافية مع الصورة الرقمية التي تنعدم فيها ثنائية الأصل والنسخة لتصبح شيئا واحدا، يتضاعف باستمرار، أي أن الأصل هو الصورة والصورة هي الأصل؟

إن خصوصية الكتابة الإلكترونية تذكرنا ببعض تجارب " الصحافة الصناعية" التي جرت في السبعينيات من القرن الماضي، والمتمثلة في التحقيقات الكبرى التي يقوم بها عدة صحافيين، يتكفل كل واحد بجانب من جوانب التحقيق، فيشترك في تقديم المادة الخام، ويتولى أحدهم، الذي يتميز برشاقة أسلوبه، بصياغة التحقيق مع ذكر أسماء الفريق الذي قام بالعمل. إذا كان رواد حرية التعبير والإعلام ينظرون إلى هذه الحقيقة نظرة سلبية لأنها تجرد الكاتب من المسؤولية على كتابته الصحفية أو تميع ملكيتها نظرا لتدخل أكثر من واحد في إخراجها إلى النور، فإن بعض المتشيعين لوعود تكنولوجيا الاتصال الحديثة يعتقدون أن هذه الحقيقة تبشر بامتلاك جرعة إضافية من الدقة والخبرة للمادة

الصحفية. لذا أصبحت بعض الكتابات الإلكترونية ترتبط بما أصبح يعرف بـــــ " صحافة الخبرة أو الخبراء" (Expert press)

تذكر هذه الحقيقة البعض الأخر بالمقولة الشهيرة لمنظر البنيوية الفرنسي " رولاند بارث" الذي أكد في سنة 1968 على موت الكاتب [27]. فإذا سحبنا هذه المقولة على واقع الصحافة الإلكترونية، يصح التأكيد على" موت الصحافي". إن القراءة الصحيحة لهذه المقولة المجازية لا يجب أن تستند إلى النبوءات الخائبة التي كانت تتوقع اندثار مهنة الصحافي بعد انتشار مواقع الانترنيت الإخبارية، وإمكانية توجه القارئ إلى منبع الأخبار مباشرة، أي شبكة الانترنيت. ولا ترتكز على الاعتبارات الأخلاقية التي تؤكد اتساع هامش المغالطة والتضليل في العديد من المواقع الإخبارية في شبكة الانترنيت نظرا لغياب المناعة الأخلاقية والقيمية لدى صحافيي الانترنيت. إن أحد أبعاد هذه المقولة يتجلى في تراجع سلطة الصحافي على الكتابة وفق منطق النص المترابط Hypertext الذي يفترض تعددية الكتاب أو الصحافيين. فالصحافي لم يعد يسيطر على معمار ما يكتب؛ أي أنه لا يتحكم في "الكل" الذي يدمج فيه نصه المعدل باستمرار، كما ذكرنا آنفا.

4 – إن تباين الأنواع الصحفية في وسيلة إعلامية واحدة جاء ليترجم تنوع حاجة القارئ. و لمساعدته في متابعة الأخبار، وفهم دلالاتها، وإدراك خلفياتها واستتباعاتها، والقيام بتثقيفه وتسليته. فوظيفة الخبر غير وظيفة المقال وتختلف عن العمود. لقد تكفل النص الصحفي الإلكتروني الواحد بإنجاز هذه المهمة بمفرده. إذ يحتوى، بشكل أو أخر، على عدة نصوص، ويتولى كل واحد منها إنجاز إحدى المهام المذكورة أعلاه.

إذا كان البعض يؤكد بأن الصحافة الإلكترونية تملك ما يسمح لها بمعرفة جيدة لقارئها من خلال التفاعلية، فلا نعثر، إلا نادرا، على ما يشير إلى صعوبة التعامل مع هذا القارئ. فنظرا لكونية الصحافة الإلكترونية نجد أن 40% من زوار موقع صحيفة " لومند" الفرنسية، على سبيل المثال، يقيمون خارج التراب الفرنسي. وترتفع هذه النسبة لتصل إلى 60% بالنسبة للصحيفة " البايس" الإسبانية. (28) هذه النسب تؤكد على أن قراء هذه الصحفية خارج إسبانيا ليسوا بالضرورة إسبانيين، بل أشخاصا ناطقين باللغة الإسبانية. فما يهمهم في هذه الصحيفة قد يختلف عن ما يهم الإسبانيين. إذا تطرح الصحافة الإلكترونية مسألة في غاية الأهمية والعسر، يصنعها السؤال التالي: لمن نكتب؟ لأن جمهورها متناثر في أكثر من مكان، ومتباين المستويات الثقافية واللغوية، و لا يتقاسم الهواجس السياسية والثقافية والاجتماعية. كما أن الصحافة الإلكترونية تثير مساءلة واقع الصحافة ذات الطابع المحلي أو الإقليمي وآفاقها: هل ستظل هذه الصحف تعمل وفق القاعدة التالية: تقديم مضامين محلية لجمهور كوني بفضل انتشار شبكة الانترنيت!

لقد قضت الصحافة الإلكترونية على نمطية زمن قراءة الصحف، فأعطت له مرونة غير مسبوقة من خلال تمديده. إن دورية صدور الصحيفة المكتوبة تتجدد كل 24 ساعة، بمعنى أن راهنية الصحيفة اليومية تنتهي خلال هذه الفترة الزمنية. لكن شبكة الانترنيت فتحت المجال لقراءة الصحيفة الإلكترونية في أزمنة متباينة حسب الإيقاع الاجتماعي للقراء وعاداتهم الثقافية في كل مجتمع. فسياق قراءة الصحافة المكتوبة يختلف عن سياق قراءة الصحف الإلكترونية. إذا كان بالإمكان تشخيص هذه الحقيقة، فإنه من الصعب دراسة

تأثيرها، لأن كل تباين في سياقات القراءة يؤدي إلى اختلاف في استدراك المعنى واستنباطه أو تأويله.

لقد استطاعت الصحافة الإلكترونية، فعلا، أن تصل إلى شريحة من القراء التي لا تقرأ الصحافة المكتوبة (الشباب الذين تقل أعمارهم عن 25 سنة مثلا). لذا يعتقد بأن الصحيفة الإلكترونية أسدت خدمة جليلة للصحافة المكتوبة من خلال " تشبيب القراء". لكن تناقص قراءة الصحف لا يمكن أن يفهم إذا عزل عن تراجع فعل القراءة في المجتمعات، بصفة عامة. يؤكد الأستاذ نعومي بارون أستاذ اللسانيات في الجامعة الأمريكية بواشنطن، في هذا المجال، أنه طلب من طلابه قبل سنوات أن يقرؤوا كتاب روبرت بونام الذي يحمل عنوان: (وحيدا ألعب البولينغ) كجزء من المقرر الجامعي الذي يعمق النقاش حول تأثير الانترنيت على التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الحديث، لكنهم انصرفوا لقراءة ملخص موجز عن الكتاب كان المؤلف قد نشره في شبكة الانترنيت.[29]

إن إدراك مقولة الباحث "روجي شرتي " Rogier Chartier التي تؤكد على "موت القارئ"[30] في السياق الثقافي الحالي يفصح عن أزمة الثقافة المكتوبة، و يدل على انصراف القارئ المعاصر إلى كل ما هو مختصر وقصير و قابل للقراءة السريعة. لقد بلغ متوسط ما يخصصه القارئ الأوربي لصحيفته الورقية ما بين 25 و30 دقيقة يوميا، وتقلص ليصل إلى ما بين 6 إلى 9 دقائق للصحيفة الإلكترونية.

فأمام ضيق الوقت المخصص لقراءة الصحفية الإلكترونية، أصبح لقارئها سلوكا يختلف عن سلوك قارئ الصحيفة الورقية: الانتقال السريع عبر أجزاء النص، والخروج والدخول إلى الصحيفة الإلكترونية بالكبس على

الوصلات. فما يشكله هذا القارئ من قراءته المواثبة للصحيفة الإلكترونية يمكن أن لا ينطبق مع ما يشكله قارئ أخر للصحيفة ذاتها. هكذا تتراجع سلطة القارئ مثلما تراجعت سلطة الصحافي لأنه لم يعد يسيطر على معمار ما يقرأ. والأخطر أن النص الإلكتروني لا يخلق قارئا مداوما أو مدمنا، لأن من لم يتعلم قراءة النصوص المكتوبة لا يمكن أن يتحول إلى قارئ للنصوص الإلكترونية. فالنص الإلكتروني هو في حقيقة الأمر صورة على حد تعبير السيميائي الإيطالي " أونبرت إيكو " [31].إذا هل يمكن الحديث عن موت القارئ أو التساؤل عن ميلاد قارئ جديد؟

5 – لقد تحررت الصحافة الإلكترونية من العائق الذي كانت تعاني منه وسائل الإعلام الكلاسيكية: ضيق المساحة التحريرية بالنسبة للصحف اليومية والمجلات الورقية، وضيق الوقت بالنسبة لنشرات الأخبار الإذاعية والتلفزيونية. هذا التحرر رشحها لاحتواء عدد غير محدود من المواد الإعلامية. فالقارئ الذي عانى، في السابق، من ندرة المواد الإعلامية لقيام السلطة سواء كانت الحكومة أو سلطة رأسمال أو سلطة الإعلاميين...) بممارسة المنع والحذف، أصبح يعاني من تخمة، غير مسبوقة، من هذه المواد. هذه التخمة طرحت على القارئ إشكاليتين أساسيتين متداخلتين:

الإشكالية الأولى: تتعلق بالتراتيبية : فمفهوم التراتيبية ينص على الأخذ بيد القارئ لمساعدته في تحديد الأولويات. فالقارئ الذي تربى، منذ عدة قرون، على طريقة محددة في ترتيب المادة الصحفية، وفق معايير معينة تبرز أولا المواد الأساسية ثم الثانوية، اكتسب ذهنية متابعة ما يجري في العالم، وقراءته ضمن سلم من القيم: القرب، الآنية، الأهمية، الضخامة والتأثير، وغيرها.

إن مفهوم الآنية قد تغير نهائيا في شبكة الانترنيت بعد اختراق حواجز الزمن الوطني، وبعد أن تحرر من عائق الانتظام في مواعد الصدور. فأمام زوال الحواجز الجغرافية والنفخ في البعد الدرامي في الأحداث التي تقع في العالم تغير مفهوم القرب، حيث طغى شقه الوجداني على بعده المكاني. وهكذا يختفي تعامل شبكة الانترنيت مع الأحداث انطلاقا من سلم القيم الكلاسيكي لأسباب تقنية مرتبطة بالأداة، وأخرى اجتماعية مرتبطة بالمستخدم- القارئ المتواجد في كل مكان واللا مكان. وعلى ضوء هذا المنطق تتساوى الأحداث وتتكافأ. إن عدم المفاضلة قد يتسبب في فوضى لدى القارئ وحالة من التشويش في إدراكه.

الإشكالية الثانية: يقوم المرشح أو المصفاة Filtre بدور حيوي في الحياة الاجتماعية فتاريخ الثقافة شديدة الارتباط به. فالثقافة تنقل الذاكرة، لكنها ليست كل الذاكرة. يمكن أن تنتقي وتغربل بشكل جيد أو سيئ لكنها في كلتا الحالتين تترك ما يسمح لنا بالاندماج الاجتماعي.) [32]. يجب أن ننأى عن فهم المرشح فهما ضيقا وسلبيا، ونحصره فيما سجنته فيه النظم الشمولية والاستبدادية، أي الرقابة والحذف [33].فالمرشح يقوم بدور توجيهي- نفعي لتحقيق الاستفادة والمنفعة من هذا الجهد الثقافي.

فتراكم الأحداث والمعطيات والأفكار والآراء والمواضيع التي يتداخل فيها الجديد و القديم بوصلة داخل الصفحة، ويمتزج فيها الغث والسمين تجعل القارئ تائها بدون مرشد أو دليل في غابة كثيفة من المواد الإعلامية والثقافية والإعلانية.

لقد كانت مدونة التحرير الصحفي (Code d'écriture de presse) في الصحافة الكلاسيكية واضحة المعالم في تحديدها للعلاقة بين القارئ والمحرر (الصحفي) من خلال المرشح الأول المتمثل أساسا في اختيار

قالب التعبير الصحفي أو نوعه. فإذا خصصت الصحيفة تعليقا أو مقالا افتتاحيا لحدث ما أو حتى تحقيقا صحفيا، فإنها أولت له أهمية كبرى وأوصت القارئ ضمنيا بمنحه الأهمية ذاتها، وهذا خلافا للحدث الذي تذكره في خبر بسيط مدفون بين "رزمة" الأخبار في وسط الصفحات الداخلية. إن الصحافة الإلكترونية تنمط الكتابة وفق قالب واحد، يتلخص في إظهار المقدمة التي تتضمن العناصر البارزة للحدث أو القضية أو الموضوع، ثم تدعو القارئ إلى مواصلة قراءته بالرحيل إلى صفحات أخرى أو مواقع إلكترونية أخرى تبعده عما كان بصدده. هكذا يصبح تنميط الكتابة عاملا أوليا في إسقاط المرشح المذكور.

6 - إن التطور الاجتماعي والتاريخي قد أسهم في تقسيم المهام و الأدوار بين وسائل الإعلام الكلاسيكية انطلاقا من خصوصيتها التقنية والثقافية، ولطبيعة جمهورها. فالإذاعة كانت السباقة للإعلان عن وقوع الأحداث، والتلفزيون يظهرها، والصحافة تعلق عليها وتفسرها. هذه الحقيقة انعكست على استخدام الأنواع الصحفية في وسائل الإعلام المذكورة، بحيث أن الصحافة المكتوبة كانت تميل أكثر لاستعمال الأنواع الفكرية والتأملية (المقال بأنواعه الثلاثة: المقال، الافتتاحية، والعمود)، بينما كانت الإذاعة أكثر استعمالا للأنواع الإخبارية: (الأخبار والتقارير) بينما كان التلفزيون يميل للأنواع الاستعراضية والتعبيرية: (الربروتاج، والبروتري...). لقد تضافر التطور التكنولوجي في مجال البث التلفزيوني المباشر مع تسارع النـــزاعات والتوترات المسلحة في العالم لإعادة النظر في هذا التقسيم، حيث حاولت القنوات التلفزيونية الفضائية أن تتفوق في تقديم الأحداث وإظهارها وشرحها وتفسيرها.

إن الصحافة الإلكترونية لم تعد النظر في التقسيم المذكور فحسب، بل حاولت أن تقوم بكل الوظائف التي كانت تقوم بها وسائل الإعلام

الكلاسيكية، وذلك انطلاقا من عمليتين أساسيين: مواكبة الأحداث عبر الالتصاق بآنيتها وراهنيتها، والسعي لاستعادتها واسترجاعها.

ففي العملية الأولى تقدم الصحافة الإلكترونية شكلا من الخدمات الإعلامية القريبة جدا من النشاط اليومي لوكالة الأنباء: التدافع في ملاحقة الأحداث بشكل مستمر لتغذية شريط الأخبار الذي لا يتوقف، والذي يشمل مختلف المواضيع. أما في العملية الثانية، فإنها تقدم خدمات إعلامية/معرفية من خلال الأخبار التي تشكل بنكا من المعلومات مهيكلا بوصلات النص المتشعب ومعروضا بشكل مرئي. وتضم هذه الوصلات، التطور الوقائعي للأحداث، والمؤشرات البيوغرافية، والإحالات للمراجع والمصادر المتنوعة، والتذكير بسياق الأحداث وتاريخها. هذه الحقيقة تؤكد ما ذهب إليه بعض المختصين بأن وسائل الإعلام تأخذ نمطا تنظيميا لم ترسمه في انطلاقتها الأولى[34] وتقوم بوظائف لم يكن من المتوقع القيام بها في بداية مشوارها. فالصحافة الإلكترونية تعمل على سجلين مختلفين: سجل الحاضر وتداعياته، وسجل الماضي وسياقاته. وحتى تفي بمستلزمات السجل الأول، اتجهت إلى تقديم " ملخصات الأحداث". فالملخص الإخباري، أصبح مؤشرا قويا في نشاط بعض الصحف الإلكترونية، مثل الطبعة الإلكترونية لصحيفة New York Times[35] التي غطت أحداث 11 سبتمبر 2001. فميزة الملخص أنه يسمح بمتابعة الطارئ والمستجد ويتضمن بعض الإضاءات المستمدة من خلفيات الحدث.

المستوى الثالث: الصحافة الإلكترونية والمخيال الصحفي الجديد:

نعتقد أن البحث عن الأنواع الصحفية المعروفة، التي سيطرت على التعبير الإعلامي والصحافي لعدة قرون، في وسيلة اتصال جديدة (الصحافة الإلكترونية) قد يؤدى إلى طريق مسدود، وذلك بالنظر إلى العاملين التاليين:

1 – إن كل وسيلة إعلام جديدة تخلق فضاءً إعلاميا جديدا خاصا بها، لذا تستعين بالأنواع الصحفية التي كانت تستعملها وسيلة الإعلام التي سبقتها، وتحاول أن تطورها وتكيفها مع خصوصيتها وفضاءها الإعلامي الجديد، وتستحدث أنواعا جديدة أكثر استجابة لأدوارها ووظائفها النوعية، وملائمة لخصوصيتها التقنية. هذا ما حدث مع الإذاعة، ثم التلفزيون. ويحدث الآن مع الصحافة الإلكترونية التي انتعشت في شبكة الانترنيت. فالخصوصية التقنية التي تتمتع بها الصحافة الإلكترونية سمحت لها ببلورة إحدى الأنواع الصحفية، التي كانت تستعمل، بشكل أقل من بقية الأنواع الصحفية، في المجلات: إنه الملف الصحفي.

2 – مازلنا ننظر إلى وظائف الصحافة نظرة " ثابتة" مستمدة من الماضي الذي كان فيه العرض يسيطر على اقتصاديات وسائل الإعلام. إن تكنولوجية الاتصال الحديثة قد أعادت هيكلة اقتصاد هذه الوسائل على أساس هيمنة الطلب. فالتحدي الذي كان مفروضا على وسائل علام، بفعل ضغط السوق والمنافسة، تمثل في عرض ما يناسب متطلبات الجمهور وحاجياته وذوقه. لقد زال هذا التحدي في ظل وسائل الاتصال الحديثة، وأصبح بإمكان أي وسيلة تتمتع بعدة التفاعلية أن تتجه وفق ما يمليه الطلب. فسيادة الطلب معناه انفتاح أفق لتطور وسائل الاتصال الفردية أكثر من الجماهيرية. بمعنى أن القارئ، على سبيل المثال، أصبح يشكل صحيفته وفق ما يريد ويحتاج، أي لا يقرأ إلا الصفحات الرياضية من الصحف الإلكترونية أو الصفحات الثقافية، على سبيل المثال. هكذا تشذر جمهور وسائل الاتصال الجديدة، وجنح نحو الفردانية. هذا التغير الواضح في القراءة طرح ضرورة التفكير في مسألة وظائف الصحافة التي تنهض على أساسها الأنواع الصحفية. فهل يعقل أن تظل

الأنواع الصحفية المعروفة، التي سادت في وسائل الإعلام الكلاسيكية، ذاتها في وسيلة إعلامية جديدة يتسم جمهورها بأنه طرف منتج فيها، بشكل مباشر: من خلال المشاركة في منتدياتها، أو بشكل غير مباشر عبر وجود جسور لتفاعل الجمهور مع الصحافيين والكتاب الذين يأخذون في الغالب برأيه وأفكاره. ففي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى بعض البحوث الميدانية، مثل تلك التي أنجزتها مؤسسة Middleberg/Ross في 2001 ، والتي تؤكد بأن 70% من الصحافيين في الدول المتقدمة يتحاورون مع القراء عبر شبكة الانترنيت. كما أن مؤسسة NewsEngine PR أقرت، في دراستها التي أجرتها في السنة ذاتها، بأن 56% من الصحافيين البلجيكيين والهولنديين يشاركون في منتديات النقاش، وأن 53% يأخذون بعين الاعتبار ردود فعل القراء التي تصلهم عبر الانترنيت. (36) إن هذه النسبة سترتفع، لا محالة، لو اقتصرت على محرري الصحافة الإلكترونية.

توجد بعض التقنيات التي بدأت تفرض نفسها في وسائل الإعلام، خاصة تلك التي تبث محتوياتها عبر شبكة الانترنيت، مثل Talkback، ويقصد بها الهامش الموجود في نهاية المادة الصحفية المنشورة، والذي يترك للقارئ قصد التعبير عن رأيه أو وجهة نظره. لقد تزايد عدد المساهمين في التعقيب على المواد الصحفية المنشورة في شبكة الانترنيت مما رفع قيمتها، ودفع الكثير من القراء إلى منحها أهمية أكبر من تلك التي يولونها إلى المادة التي شكلت موضوعا للتعليق والتعقيب. وتسمح التعقيبات المختلفة للكاتب من إعادة الكتابة عن الموضوع ذاته. فالتعقيب يبرز وجهات نظر كانت تقوم بها المقالات والتعاليق الصحفية في الصحافة الكلاسيكية. إن الفرق الوحيد بينهما أن التعقيب في الصحافة الإلكترونية يكتسي طابعا فرديا وطوعيا، أي أنه غير مؤسساتي.

كما أن الحديث الصحفي الذي يتحول بفضل " Talkback " إلى حوار مع الجمهور، و دردشة القراء مع الكاتب أو الشخصية يشكل السمة البارزة الصحافة الإلكترونية، إضافة إلى منابر النقاش التي تفتح للجمهور ولكل المشتركين في الانترنيت الراغبين في تبادل الأفكار والمعلومات. ربما هذه السمات ذاتها هي التي كانت وراء اعتقاد البعض بأن الصحافة الإلكترونية ليست وسيلة إعلامية، بل إنها فضاء رمزي يلتقي فيه الناس، بشكل اعتباري، لتبادل الآراء والأفكار و المعارف والخدمات. إن اللقاء الذي كان في السابق شبه مستحيل في ظل التباعد الجغرافي والتفاوت الزمني، والاجتماعي والثقافي والعمري أصبح ممكنا عمليا. ربما من الضروري الانتباه إلى مخاطر التفاؤل المفرط بهذا الفضاء ووعوده العديدة والمعسولة. فالانترنيت مازالت وسيلة اتصال نخبوية بحكم الفجوة التكنولوجية والاقتصادية القائمة بين الدول والمجتمعات، وحتى داخل المجتمع الواحد. هذا إضافة إلى وجود المشرفين على منابر الحوار أو البريد الإلكتروني الذي يصل إلى الصحف الإلكترونية، إذ أنهم يمارسون دور الرقيب والموجه مما يؤثر على عدد ونوعية إسهامات القراء التي تنشر في الصحف الإلكترونية. إن هذا الانتباه لا يمكن أن ينسينا بأن الصحافة المكتوبة التي عمرت لعدة قرون مازلت أداة اتصال نخبوية في بعض المجتمعات، خاصة تلك التي يطلق عليها تسمية دول الجنوب.

إن الأخبار في الصحافة الإلكترونية تملك سمكا أكبر مما لو نشرت في وسائل الإعلام الكلاسيكية التي تعاني من ضيق الوقت والمساحة، إذ أنها تستوعب كل ما يستجد ويطرأ على الحدث و يبث في آنه، وتتضمن، في الوقت ذاته، خلفية عن الحدث: (الإحصائيات والأرقام، التصريحات الكاملة التي اقتبس منها مقتطف ووضع في متن الخبر، صور مختلفة، تقديم لمحة عن الأشخاص المرتبطين بالحدث أو صناعه، والتعريف بمصادر الأخبار إذا التزم الأمر)

نعتقد أن ما يميز كتابة الصحافة الإلكترونية، وحتى الطبعات الإلكترونية للصحف الورقية، أكثر ، يتمثل في Blogs التي ترجمت إلى اللغة العربية بالمدونات الشخصية. (37)

تزايد عدد المدونات التي فرضت نفسها كوسيلة اتصال وإعلام وتفكير بين الأنترنتيين. فبعد أن نفرت منها وسائل الإعلام الكلاسيكية ، التي كانت لا تذكرها إلا إذا تناولت الحدث النشاز، فتحت تدريجيا مواقعها الإلكترونية أو صفحاتها الإلكترونية لمختلف المدونات، وشجعت صحافييها على فتح مثل هذه المدونات.

قد يربط بعض الباحثين بين البروز الاستعراضي للمدونات الشخصية والأزمات التي عصفت بالعالم : (أحداث 11 سبتمبر 2001، وطوفان سونامي، وإعصار كاترينا، و الزلزال المهول الذي ضرب الباكستان والهند.) وقلة مرونة وإمكانية الصحف الكلاسيكية في تغطيتها لهذه الأحداث بشكل مكثف وسريع. نعتقد أن الأسباب الكامنة وراء ظهور المدونات وتطورها أعمق وأعقد. فسهولة إنشاء المدونات في شبكة الانترنيت ورخص تكلفتها قد قدم حلا تقنيا لإشكالية سياسية وإعلامية وثقافية في المجتمعات المتقدمة. تتجلى عناصر هذه الإشكالية في جنوح وسائل الإعلام الكلاسيكية نحو التماثل والامتثال. إن اندماج وسائل الإعلام المختلفة، واحتكارها للإعلام والثقافة والترفيه قد وجهت طلب الجمهور وصقلته. فعالم الإعلام والاتصال الرحب أصبح في قبضة مجموعة قليلة من الشركات المتعددة الجنسيات التي تحدد أجندة المواضيع الإعلامية ومحتوياتها. ووجود بعض جيوب المقاومة في دول الشمال أو الجنوب تشكل الاستثناء الذي يثبت القاعدة. إضافة إلى هذا يمكن أن ندرك ثقل الآليات الخفية التي تربط وسائل الإعلام بالسلطات السياسية وترسم مدار

حركاتها. لعل هذه الحقيقة هي التي تساعدنا على فهم سر الارتفاع المذهل في عدد المدونات الشخصية الإلكترونية التي يعرفها البعض بالصحافة الموازية أو البديلة، ويطلق على أصحابها تسمية الصحافيين البديلين للدلالة على نفور الجمهور من الصحافيين الرسميين الذين تشبعوا بالقيم التجارية أو السياسية التي أصبحت تتحكم في نشاط المؤسسات الإعلامية الغربية الكبرى. إن جل المدونات الشخصية التي أنشأها الفرنسيون، على سبيل المثال، في شهر مايو 2005 كانت وليدة حركة احتجاجية على الدستور الأوروبي وعلى وسائل الإعلام الفرنسية الكبرى التي سارعت في الترويج ومباركة هذا الدستور، في آن واحد، حتى أن بعض الباحثين وصفوا المدونات بأنها " صحافة المواطنة " (Citizen Journalism) (38)

إن المدونات الشخصية ليست ظاهرة جديدة ولدت بميلاد شبكة الانترنيت، بل كانت موجودة في الصحافة الورقية منذ عقود خلت، فالمجلات الفرنسية كانت تخصص للصحافيين والكتاب أعمدة لنشر مدوناتهم الشخصية بمناسبة سفرهم إلى دول أجنبية أو قيامهم بالربرورتاجات حول المواضيع المختلفة. فهذه المدونات كانت تتضمن بعض الإسقاطات والانطباعات عن السفر، أو المادة الصحفية التي تفيض عن الربورتاج . وقد استخدمت الصحف الجزائرية الناطقة باللغة الفرنسية هذا الشكل من الكتابة في الثمانينات وبداية التسعينيات من القرن الماضي. (39)

إن السياق، والوسيلة، وحجم المشاركة في المدونات الشخصية، وعدد متداوليها، ومواضيعها، كلها عوامل أدخلت تغيرات كبيرة على المدونات.فأعطت لها بعدا ودلالة اتصالية وثقافية تختلف عما كانت عليه في الصحف الورقية إلى درجة أن البعض وصفها بالصحافة التساهمية (Participation press) أو صحافة الثقافة الجماهيرية الناقدة.

كانت المدونات الشخصية في شبكة الانترنيت في بدايتها عبارة عن كتابات موغلة في الحميمية تساير ظاهرة " تلفزيون الواقع" على صعيد افتراضي. إن هذا التلفزيون يميط اللثام عن الحياة الخاصة ويعرضها في الفضاء العام، حيث يُظهر أشخاصا حقيقيين يستعرضون جوانب من حياهم الحميمية، بينما يمكن لأصحاب المدونة الشخصية أن يظلوا مجهولين لأنهم ينتحلون شخصيات أخرى أو يخفون هويتهم من خلال اسم مستعار.

لقد تطورت بعض المدونات الشخصية و تحولت إلى موقع إلكتروني. يضم مواد متعددة: نصوص إبداعية، ورؤية نقدية وفلسفية، وقراءات ذاتية للأحداث، وشهادات وتجارب فردية.[40]

تتمتع المدونات الشخصية، بما فيها تلك التي تأويها الصحف الإلكترونية، بهامش أكبر من الحرية والتلقائية و" العفوية" سواء في الموضوع المختار، أو في حدة اللهجة المستخدمة، أو في شكل الصياغة: سرد أو وصف أو حوار أو تحليل وتأمل أو كلها في الوقت ذاته.
الفرق الوحيد بين أشكال الكتابة التي سادت في الصحافة الورقية والمدونات الشخصية، أن الأولى كانت أكثر رسمية والتزاما، وتوحي أكثر بموضوعيتها، لكن رغم غياب هذه الخصائص فإن البعض يعتقد أن المدونات هو النوع الصحفي الأكثر تقدما في العمل الصحفي، إذ تستطيع أن تستوعب عناصر المقال، والأخبار، والتحقيقات والخدمات المختلفة.

أخيرا، لا يمكن تجاهل خشية البعض من سقوط " المدونات الشخصية" في قبضة السوق، بعد أن تسرب الإعلان إليها، مما يكشف عن إمكانية تماثلها وامتثالها لسلطة المال بعد انفلاتها، بهذا القدر أو ذاك، من سلطة السياسية.

إن مساءلة الأنواع الصحفية تطرح، في نظر الكثير من المهتمين، قضية مفخخة، لأنها مرتبطة، بهذا الحد أو ذاك، بالتقاليد الأدبية التي عرفت مجدها في وقت كان من اليسر التمييز الواضح بين أنماط الكتابة الأدبية وأشكالها لأن قسماتها كانت بسيطة. بينما في العصر الحالي فقد تغيرت وتطورت مختلف أشكال الإبداع، بما فيها الكتابة، حيث قضت على " تجانس" النوع الأدبي الواحد. كما أن الأنواع الأدبية تختلف عن الأنواع الصحفية في كونها ترتكز على أسلوب وطريقة كتابة الشخص الواحد، بينما تتجاوز الكتابة الصحفية، خاصة في ظل تكنولوجيات الاتصال، عطاءات الفرد الواحد، لتصبح عبارة عن إضافات وتحويرات جماعية، كما ذكرنا أنفا.

يعتقد البعض بأنه يمكن الحديث عن النوع، خاصة بالنسبة للمتلقي المادة السمعية-البصرية في الوقت الذي نقوم فيه بالتفكير في مادة سمعية بصرية ما وتأويلها، فنضطر إلى ربطها بفئة أوسع التي تسهل عملية الفهم والتأويل. فهذا القفز من المجهول إلى المعلوم، ومن الجديد إلى القديم، والتي يطلق عليها الفيلسوف الفرنسي "بشلار" Bachelard الحاجز الإبستمولوجي، يمكن أن يكون قانونا للأنواع الصحفية. [41]

فدراسة الأنواع الصحفية لا تهتم بطريقة لتصنيفها، بقدر ما تنشغل بإبراز مسار إنتاجها والمعايير المنطقية التي يستند إليها. وهذا ما يفترض تحليل الممارسات المنطقية للصحافيين كنشاط منتج لمعايير الأنواع [42] فالأنواع الصحفية هي ثمرة تقاطع الممارسة الاجتماعية والممارسة اللسانية المنتجة للخطاب الصحفي.

المـراجـع والإحالات:

* لتوضيح هذه الفكرة يمكن الإشارة إلى ترجمة الدكتور حسن مدن الذي كان مقيما في دولة الإمارات العربية، ويكتب عمودا يوميا في صحيفة " الخليج" الإماراتية تحت عنون: " شيء ما". ولما عاد إلى موطنه " البحرين" حاول الكتابة على المنوال ذاته في الصحافة البحرينية. لكنه لاحظ، حسب اعترافاته، أن إقبال القراء البحرينيين عليها لم يكن بنفس قدر إقبال قراء دولة الإمارات. والسبب يعود إلى الاختلاف في طبيعة الجمهورين. فالجمهور البحريني يعيش حالة من الحركية والإيقاع الثقافي والسياسي المتسارع، بينما يعيش القراء في دولة الإمارات العربية وضعا مستقرا أدى إلى حالة من الاسترخاء.

1- أبو سكي: الصحافة التلفزيونية، ترجمة أديب خضور، سلسلة المكتبة الإعلامية، دمشق 1990، ص 74

2 - Burgelin Olivier: Communication de Masse, SGPP 1990, p107

3- Le Journalisme est un peu comme la bonne cuisine .Il faut varier le menu pour le faire apprécier.
Yves Agnès, Jean Michel Croissadeau :Lire le journal, ed, FP Labies 1979 p34

4- عن الأنواع الصحفية: نصوص المنظمة العالمية للصحافيين، جمعها وترجمها د. نصر الدين لعياضي، معهد علوم الإعلام والاتصال، 1987

5- Burgelin Olivier, op cite p 20

6- أديب خضور: أدبيات الصحافة، مطبعة داودي، دمشق 1986 ، ص14

7- Yves de la haye: Journalisme mode d'emploi des manières d'écrire l'actualité, 1985, p3

8- Mils Marks : Les genres journalistiques pures et abstraits ou expressions riches et concrètes, Journaliste Démocratique, Prague n 3-1973

9 - Idem

10 - أديب خضور: المرجع السابق، ص73

11- Patrick Charaudeau : Les conditions d'une typologie des genres télévisuels d'information , Réseaux n° 81 CNET - 1997

12- Idem

13- Yves Agnes ; op cite p 34

14- Patrick Charaudeau ; op cite

15- أبو رسكي: مرجع سابق، ص 78

16- المرجع ذاته، والصفحة ذاتها.

17- Patrick Charaudeau, op cite

18- LOIC HERVOUET : Les journalistes français saisis par Internet, Les cahiers du journalisme, N 7, lille 2000, p 1006

19-Bruno Patino : Transmettre, réagir, se souvenir : le journalisme sur l'Internet http ://www.text-e.org/ page consultlee le 26/09/2005,

20- Idem

21 -Manuel Castells : L'Ère de l'information 1:La société en réseau, Paris, Flammarion, 1998.

22- Jean Paul Haghe, Histoire du journal télévisé en France, Clemi -Paris, février 1999

23- أنظر نص مداخلة د. نصر الدين لعياضـــي في الندوة العلمية التي نظمتها جامعة عجمان- مقر العين، بعنوان: (استتبا عات تكنولوجيا الاتصال الحديثة في مجال الإعلام والاتصال) 18 مايو 2005

24- هذه الأسئلة طرحت في المؤتمر العلمي الذي نظمه مركز البحـــوث حول النشاط السياسي في أوروبا، ومعهد العلوم السياسية بجامعة رانس- فرنسا بعنوان : (الأنواع الصحفية : المعارف والمهارات) والذي جمع الصحافيين والأساتذة والباحثين – مارس 2003

25- Cite dans l'article : Existe-t-il une écriture web? http://www. redaction.be/ cite consulté le 5- 4- 2005

26- Bruno Patino, op cite

27- Roland Barthes, 'La mort de l'auteur' (1968), in Roland Barthes, Le Bruissement de la langue. Essais critiques IV (Paris, 1984), pp. 63-69.

28- Roger Chartier : Lecteurs et lectures à l'âge de la textualité électronique, in http ://www.text-e.org, cite consulté le 5-4-2005

29- نعومي بارون: محركات البحث: هل ترسخ " القراءة الافتراضية" والثقافة المجتزأة، صحيفة الاتحاد الإماراتية، الثلاثاء، 6 ديسمبر 2005

30- Umberto Eco : Auteurs et autorité in http ://www.text-e.org, cite consulté le 5-4-2005

31- Idem

32- Idem

33- قد يتعب المترجم العربي في إيجاد كلمة دقيقة تعبر عن عملية Censure censorship.

وقد نعثر على كلمة حذف، ومراقبة لكنها لا تغطي الواقع الذي تعبر الكلمة الأجنبية. أليس هذا الأمر غريبا في لغة مارس أهلها هذه العملية بشكل مكثف خلال هذه المرحلة أو تلك من تاريخها.

34- Bruno Patino, op cit cité
35- Idem
36- Cite dans l'article « Existe-t-il une écriture web» cite consulté le 5-4-2005

37- لقد حاول الفرنسيون أن يتخلصوا من التسمية الإنجليزية التي أدغمت الكلمتين: Web، وLog بكلمة فرنسية Joub ولم يفلحوا ، بعضهم يستخدم المصطلح الذي كان سائدا في الصحافة المكتوبة الفرنسية: Bloc-Notes الذي يعني الدفتر الخاص، أو اليوميات الخاصة.

38 - N.I-A: Yahoo! mise sur le «journalisme citoyen, Libération, 11 octobre 2005

39- إن الصحافي الجزائري "محمد بلحي" الذي كلفته صحيفة: (Algérie Actualité) الأسبوعية الجزائرية بتغطية الوضع في بغداد قبل اندلاع حرب الخليج الثانية، قد اضطر، في ظل الرقابة التي كان يمارسها نظام صدام حسين على الصحافيين، أن يستخدم شكل المدونات الشخصية التي تروي يومياته في بغداد ثم الكويت وإيران.

40- Anne-Claire Orban: *Je blogue, tu blogues, nous bloguons,* édition CLEMI Janvier - mars 2005
41- François Jost : *La promesse des genres*, Réseaux n°81 CNET - 1997
42- Jean-Michel Utard: *Du discours de l'information aux genres journalistique : proposition pour une étude socio-discursive du journalisme*. Première Conférence Internationale Francophone en Sciences de l'Information et de la Communication (CIFSIC) (Bucarest, 28 juin-2 juillet 2003)

التقـرير الصحفي

ما أكثر الذين يسردون وقائع المعارك التي لم يشاركوا فيها.

Molière

ظلت الكتب العربية المتخصصة ترى، ، إلى وقت قريب جدا، أن التقرير الصحفي هو النوع الذي يضم التحقيق الصحفي، والحديث الصحفي والربورتاج. هذا ما يكتشفه أي قارئ لكتاب عبد اللطيف حمزة والمعنون: (المدخل في التحرير الصحفي). وقد سار على نهجه الكثير من كتبوا في هذا المجال من المؤلفين العرب. (1)

وما يزال الكثير من العاملين في وسائل الإعلام العربية، خاصة القنوات الفضائية العربية تطلق تسمية " تقرير" على كل المواد الإعلامية التي تنجز خارج قاعة الأخبار. فالربورتاج والتحقيق الصحفيين يتحولان على ألسنة بعض المذيعين التلفزيونيين إلى تقرير.

لعل التعاريف التالية تفيدنا في إدراك ماهية التقرير، و تفصح عن أهميته، وخصوصيته:

❖ التقرير الصحفي هو الرواية الموضوعية للحدث(2)

❖ إن التقرير الصحفي هو سرد حدث (اجتماع، مؤتمر، مجلس) بواسطة صحافي ينتقل إلى عين المكان ويحكي، بدون تعليق ما كان شاهدا على وقوعه(3)

❖ إن التقرير الصحفي يلخص حدثا معينا: صدور كتاب، عقد اجتماع، عقد محاكمة قضائية، تقديم عرض غنائي أو موسيقي. إنه السرد بأسلوب مقتضب. (4)

❖ إن التقرير الصحفي، كما يدل عليه اسمه، هو عرض لحدث أو مبادرة أو ندوة صحفية أو اجتماع أو مناقشة. يقوم بتلخيص الأفكار الأساسية من خلال هيكلتها في نص إخباري [5]

إن جل التعاريف المقدمة تشترك مع ما جاء به دليل للعمل الصحفي في وسائل الإعلام الفرنسية. [6] وتؤكد على الحقائق التالية:

1- إن التقرير الصحفي هو نوع إخباري.

2- لا يشكل التقرير الصحفي محضرا لما جرى، بل يقدم ملخصا للحدث.

3- لا يتضمن التقرير الصحفي الكثير من الآراء الشخصية والتعاليق على ما حدث.

إن هذه الحقائق تحرر التقرير الصحفي من اللبس والغموض والتداخل مع بعض الأنواع الصحفية مثل التحقيق الصحفي، والمقال. وتدعو إلى بذل الجهد النظري لتشخيص اختلافه عن الخبر والربورتاج الصحفيين، على وجه التحديد، وذلك نظرا لقربهما منه من جهة، وصعوبة الاعتماد على الممارسة الصحفية في بعض الدول العربية لتيسر مهمة الدارسين للوصول بسهولة إلى موطن التشابه والاختلاف بين الأنواع الصحفية للكشف عن مكامن دلالاتها ووظائفها، من جهة ثانية.

الفرق بين التقرير الصحفي وبقية الأنواع الصحفية:

كل من يعتقد بأن التقرير الصحفي قصة إخبارية طويلة أو تحقيق صحفي قصير أو تعليق صحفي مختصر يجانب الحقيقة كثيرا، لأن الاختلافات بين التقرير الصحفي وبقية الأنواع الصحفية عديدة ومعقدة.

يمكن أن نبدأ بتوضيح الفرق بين التقرير الصحفي والخبر لكونهما يشكلان مادة للخلط وسوء الفهم في قاعات التحرير، وأوساط بعض الدارسين.

1- إن التقرير الصحفي والخبر يشتركان في أداء وظيفة إخبارية، ويصنفان دائما في خانة الأنواع الصحفية الإخبارية، لكن كلاهما يقوم بهذه الوظيفة انطلاقا من خصوصيته. فالخبر الصحفي يكتفي، عادة، بتقديم النتيجة أو ما توصلت إليه الأحداث ويعرضها على الجمهور ليكون على علم بأخر تفاعلاتها. بينما يقدم التقرير الصحفي النتيجة ذاتها التي يعرضها الخبر الصحفي دون أن يعتبرها الشيء الأساسي الذي وجد من أجله، لأنه يركز على السرد وعرض التطورات والأحداث وصولا إلى ما تمخضت عنه من نتائج أو ما آلت إليه؛ أي أن التقرير يرصد مجرى الحدث. من الممكن جدا أن يشترك الخبر والتقرير الصحفي في نقل حدث ما، لكنهما يختلفان في طريقة التناول، فالخبر الصحفي يسرع إلى تقديم النتيجة، والتقرير الصحفي ينفرد بسرد التطورات التي أدت إلى النتيجة المذكورة.

2- إن الخاصية الأساسية التي تميز التقرير عن الخبر الصحفي هي أن الكاتب (الصحافي) يبقى في العادة وراء الستار عند كتابة خبره، حتى يقدم الحدث لجمهوره بشكل أقرب إلى الموضوعية. بينما يظهر في كتابة التقرير كشاهد عيان على ما جرى أو حدث.

3 - يكمن الاختلاف بين الخبر الصحفي والتقرير، أيضا، في حجم التفاصيل. فعامل حضور الصحافي في مكان وقوع الحدث، وتقمصه شخصية الراوي الذي يسرد ما جرى يدفع الصحافي الذي يكتب تقريرا صحفيا إلى إدخال الكثير من التفاصيل والمعلومات* التي يستغني عنها الخبر الصحفي. إن التفاصيل في التقرير الصحفي لا تستخدم لملء الصفحات أو المدة الزمنية التي

تخصصها له الجريدة الإذاعية والتلفزيونية، بل توظف لتقديم صورة كاملة عما جرى أو وقع. ومن هنا، نقتنع بأن التقرير الصحفي يقوم بالوظيفة الإخبارية في وسائل الإعلام، بشكل أوسع وأكمل من الخبر الصحفي؛ أي أنه يقدم الأشياء بتفصيل مسهب.

يتضح مما سبق أن الخبر الصحفي والتقرير الصحفي نوعان مختلفان ومتكاملان، فبعض وسائل الإعلام تكتفي، تارة، بإعلام الجمهور عن حدث معين باقتضاب، فنلجأ إلى الخبر الصحفي وحده. وتحتاج، طورا، إلى إعلام الجمهور عن الحدث ذاته بنوع من التفصيل فتستخدم التقرير الصحفي. و تميل، أحيانا، لاستخدام النوعين الصحفيين معا: الخبر والتقرير.

إن محاولة فهم هذا الأمر تقتضي التفكير في تشكيل الأنواع الصحفية وتطورها، لأن هناك عوامل عديدة ومتشابكة تدفع وسائل الإعلام إلى استخدام الخبر دون التقرير، أو الثاني دون الأول أو توظفهما معا. ويمكن أن نذكر منها ما يلي: طبيعة الحدث التي تتطلب فعلا إعلام الجمهور بها، بنوع من الإسهاب، ومواقف الوسيلة الإعلامية ومرجعياتها السياسية والفكرية والمالية، ونوعية الوسيلة الإعلامية، وطبيعة الجمهور الذي تتجه إليه.

الاختلاف بين التقرير الصحفي والربورتاج:

تثار، عادة، مسألة حضور الصحافي في عين المكان الذي جرى فيه الحدث، ومفعوله أثناء الحديث عن الاختلاف بين التقرير والروبرتاج.

اشترك الباحث الفرنسي "Voirol Michel في النقاش الهادف إلى تحديد أبعاد عامل الحضور في خلق الاختلاف بين التقرير والربورتاج الصحفي. وأكد على أن : (التقرير مثل الربورتاج يتطلب حضور الصحافي في عين المكان،

لكن خلافا للربورتاج الذي يعد شخصيا وذاتيا، يسعى التقرير الصحافي ليكون " موضوعيا" – وضعنا كلمة الموضوعية بين قوسين لنوضح أننا نتحفظ على هذه الكلمة التي تستعمل بكثرة– إن عملية نقل الوقائع، التي تبدو للصحافي هامة وجديدة وتهم الجمهور تعد من متطلبات التقرير الصحفي الأساسية. إنها تدفع الصحافي لبذل الجهد حتى يسيطر على عواطفه ويلجم آراءه وانطباعاته الشخصية (7). فحضور الصحافي في عين المكان يفيد التقرير كثيرا في تقديم المعلومات الدقيقة والاستشهادات المتميزة والخاصة.

يقوم التقرير الصحفي بالسرد، بينما يستعين الربورتاج الصحفي بالوصف. هذه القاعدة لا تمنع كاتب التقرير من استغلال بعض التوابل التي تستخدم، بنهم، في الربورتاج: لمحة خاطفة عن الأشخاص، ووصف خاطف للإطار الذي جرى فيه الحادث، لكن يجب أن يفعل هذا بإقتتار، ويتقيد ببعض الحدود حتى لا ينأى عن الحدث؛ موضوع تقريره، وينصرف وراء انطباعاته الشخصية. وهنا يكمن الحد الفاصل بين التقرير والربورتاج. (8)

وخلافا للربورتاج، يتطلب من التقرير الصحفي أن يتضمن أكبر قدر من الدقة و"الحياد"، ويقدم المعلومات الواقعية والمرتبطة بالحدث، دون أن يتجاوزها الصحافي. لهذا السبب بالذات يرى البعض أن التقرير الصحفي ممل قليلا، وأن وسائل الإعلام لا تستخدمه بكثرة. (9)

نرى أن الانتقال إلى مكان الحدث يمنح كاتب التقرير هامشا واسعا من الحرية في التحرير. فاختياره التفاصيل، وترتيبها،والتعبير عنها، بشكل متميز، وفتح المجال للإستشهادات والاقتباسات والتصريحات، وانتقاء الكلمات والصور، كلها أدوات في يد الصحافي يحصل عليها بحضوره في عين المكان.

الاختلاف بين التقرير الصحفي والتعليق:

إن التقرير الصحفي مثل الخبر لا يستطيع أن يستوعب الأحكام والآراء والتعقيبات، ولا يتحمل التعبير عن موقف الصحافي أو الوسيلة الإعلامية من الحدث، بل يسعى إلى تقديم ما جرى بنوع من التفصيل.

هذا الفرق لا يظهر بشكل جلي وقوي في الصحف الجزائرية، سواء الصادرة باللغة العربية أو الفرنسية، وذلك لأسباب تاريخية وثقافية سنتعرض لها لاحقا.

الاختلاف بين التقرير الصحفي والتحقيق:

يختلف التقرير الصحفي اختلافا جذريا عن التحقيق الصحفي الذي يعتبر نوعا من الدراسة. فالتحقيق يتناول ظاهرة ما بالتحليل والبحث قصد الكشف عن سبب ظهورها وأشكال تطورها والتكهن بآفاقها أو تقديم حلول لها، بينما يرتبط التقرير الصحفي أساسا بالأحداث والوقائع الآتية أو التي دفعتها مجموعة من العوامل لتكون راهنة.

عوامل ظهور وتطور التقرير الصحفي

يمكن القول أن العادة الراسخة في المجتمعات، والمتمثلة في رواية الأحداث والوقائع ليست وليدة الصحافة المعاصرة. فهذه الأخيرة لم تقم سوى باستغلالها وإخضاعها لمستلزمات العمل الصحفي: المباشرة، والدقة، والمسؤولية في رواية الأحداث للألف الأشخاص (الجمهور).

وكل من يزعم بأن التقرير الصحفي جاء كبديل للخبر الصحفي يجانب الحقيقة، لأن الخبر لم يندثر كنوع صحفي في وسائل الإعلام، بل مازالت

وسائل الإعلام تستخدمه، بكثافة، خاصة وكالات الأنباء المكتوبة والمصورة رغم تنوع أشكال منتجاها.

نعتقد أن ظهور التقرير الصحفي وتطوره ارتبط بجملة من العوامل، نذكر منها ما يلي:

❖ الرغبة في تجسيد الوظيفة الإخبارية بشكل يختلف عن الخبر الصحفي؛ أي تقديم الشروح والتفاصيل، والمزيد من المعلومات، وكل ما من شأنه أن يجعل الجمهور يشعر وكأنه عاش الحدث أو الواقعة، ويعمل على مساعدة الجمهور على إدراك صورة العالم المتغير والاقتراب من حقيقة ما يجري.

❖ المنافسة بين وسائل الإعلام المختلفة التي أججتها التسهيلات التي وفرها الابتكارات التكنولوجيا والتي ساعدت الصحافيين على توصيل المنتج الصحفي إلى قاعة التحرير في أقصر مدة ممكنة.

❖ يساعد التقرير الصحفي الوسيلة الإعلامية على تجسيد خصوصيتها، وإبراز تمايزها، فيمكنها من تجاوز التشابه الذي تفرضه وكالات الأنباء على الأخبار الصحفية التي تنشرها. إن صياغة التقرير الصحفي ، واختيار موضوعه، وانتقاء تفاصيله، وتوجيه السرد، كلها عناصر تمكن الصحافي من فرض التمايز والاختلاف وإعطاء هوية خاصة ومتميزة للوسيلة الإعلامية، خاصة الصحيفة.

أنواع التقارير الصحفية:

تقسم التقارير الصحفية حسب الموضوع إلى التقرير الدبلوماسي والسياسي الذي يغطي النشاط الدبلوماسي والتقرير البرلماني الذي يغطى نشاط المجلس النيابي. فالصحافة الفرنسية، على سبيل المثال، تطلق اسم " Couloiriste "

على الصحافي الذي يتابع اجتماعات لجان البرلمان وجلساته ويلتقط أخبارها، وينقل ما يدور في الكواليس وسير نقاش المتدخلين، ومضمون الجلسات.

ويتابع التقرير القضائي نشاط مجالس القضاء، وينقل ما يجري في قاعاتها: أقوال المهتمين، وأقوال الشهود، والمرافعات، وتدخل هيئة المحكمة... وتوجد، أيضا، تقارير المؤتمرات، والتقارير الرياضية والثقافية....

ويصنف التقرير وفق حجمه: تقرير قصير، تقرير مفصل، وهذا لأسباب تراها الوسيلة الإعلامية.

ويقسم التقرير الصحفي، أيضا، إلى الأنواع التالية استنادا إلى بنيته:

1- التقرير الإخباري:

يقوم هذا النوع من التقارير على الوقائع والتطورات وفق تسلسلها الزمني (الكرونولوجي) ويتعلق بتغطية الأحداث التي يملك تطور فاعلياتها أهمية إخبارية، مثل المؤتمرات، والمهرجانات، ومداولات المحاكم.

2– التقرير الحي:

لا يتابع هذا النوع من التقارير التطور الكرونولوجي للأحداث، كما يفعل التقرير الإخباري، بل يسرد الأحداث مستفيدا من الوصف، سواء وصف مكان الحدث أو الزمن أو من كانوا وراء الحدث أو ضحاياه. إن السرد والوصف يبعدان التقرير عن الملل، ويؤثران في الجمهور أكثر لأنهما يشعرانه وكأنه يعيش الحدث. يجب الإشارة هنا إلى ضرورة التوقف عند حدود معينة للوصف؛ أي مراعاة استخدام الوصف لتمرير الوظيفة الإخبارية، وتوسيع دائرة إطلاع الجمهور على الحدث أو الواقعة. ففي هذه الحالة لا يصبح الوصف مستهدفا لذاته.

بنــية التقرير الصحفي:

يحرر التقرير الصحفي وفق طريقتين:

الطريقة الأولى:

تنظر هذه الطريقة إلى تحرير التقرير الصحفي بالنظرة ذاتها لكتابة الخبر الصحفي. وتشترط أن توفر الأجزاء الثلاثة في التقرير، وتكون بارزة المعالم، وهي: العنوان، المقدمة، والجسم. وتنطبق هذه الطريقة على النوع الأول من التقارير الصحفية: التقرير الإخباري.

العنـــــوان:

يتطلب عنوان التقرير الصحفي الشروط ذاتها التي يتطلبها عنوان الخبر الصحفي، وهي:

- أن يحمل قيمة إخبارية بالدرجة الأولى
- أن يتضمن القوة في التعبير والاختصار
- أن يتطابق مع موضوع التقرير ومضمونه
- ألا يفضح ما يحتويه التقرير الصحفي
- أن يتضمن قدرا من الابتكار، ويبتعد عن ما هو مستهلك

المقـــــدمـــة:

يرى أصحاب هذه الطريقة أن هدف المقدمة هو تحضير القارئ وتهيئته وألا تتضمن الإجابة على الأسئلة الستة المعروفة، حتى لا تثني الجمهور عن متابعة قراءة التقرير، خاصة ذاك الذي اطلع على موضوعه من خلال قراءة خبر صحفي. فالجسم يمكن أن يأخذ العناصر ذاتها التي ترد في المقدمة بتوسع وتفصيل ويضيف لها أخرى. لذا يجب على المقدمة أن تكتفي بإبراز عنصر أو

عنصرين فقط، وتترك بقية التفاصيل للجسم. إن هذا الشكل من الكتابة يتطلب من الصحافي السيطرة على عناصر التقرير.

يمكن القول أن أصحاب هذه الطريقة يرون أن مرونة المقدمة تخضع لطبيعة الحدث والموقف الذي تتخذه الوسيلة الإعلامية إزاءه.

الجســـم:

يرى أصحاب هذه الطريقة أن الجسم يمكن أن يأخذ العناصر ذاتها التي ترد في المقدمة، ويفصلها ويطعمها بالمعلومات والتصريحات والاستتشهادات التي يستغني عنها الخبر أو لا يولي لها الأهمية التي يمنحها لها التقرير. و يأخذ الجسم الصيغة المألوفة والمعروفة والمتمثلة في عرض الحدث وفق ترتيبه الوقائعي (الكرونولوجي): من بداية الحدث إلى نهايته. فيرصد تطوراته بنوع من التفصيل، وبمزيد من المعلومات. فيشعر القارئ عبر هذا العرض المفصل وكأنه يعيش في عين المكان، ويعايش الحدث.

وحتى يحافظ التقرير على وظيفته في هذه الحالة ويتمتع برشاقته وقدرته التوصيلية والـــتأثيرية، يجب ألا ينقل التطور الوقائعي نقلا حرفيا، بل عليه أن يتصرف في عناصره، بإيراد بعض الشروح والتوضيحات، وإلغاء تلك التي لا تملك أية قيمة إخبارية أو معلوماتية.

الطـــريقة الثانية:

تستثني هذه الطريقة العنوان، إذ توصي بأن يظل محتفظا بالخصائص المذكورة أعلاه. وترى أن التقرير الصحفي يختلف في البناء والصياغة عن الخبر الصحفي. فالخبر يحتاج العناصر الهامة التي يعبر عنها، بقوة، في المقدمة تاركا التفاصيل للجسم. و التقرير الصحفي يظل عبارة عن نص واحد ومتكامل، لا

يُفهم ويُدرك إلا من خلال النص كله. ولا يستوعب القارئ ما جرى إلا بقراءة النص كاملا.

خلافا لأصحاب الطريقة الأولى الذين يؤمنون بأن التقرير الصحفي يفهم من مقدمته، يرى أصحاب الطريقة الثانية أن التقرير يدرك بالاستغناء عن الترتيب الكرونولوجي للأحداث، وعدم الاكتفاء بالعناصر البارزة في الحدث، ومن خلال الترابط العضوي والمتفاعل بين كل العناصر الكامنة في النص.فبناء هذا النص المتكامل وفق هذه الطريقة يجيز الانتقال، ضمن نسيج منطقي، من الوصف الموجز إلى السرد أو العكس. وتستخدم هذه الطريقة في كتابة التقرير الصحفي الحي.

يجب على الصحافي المبتدئ أن يتلزم بالمبادئ الأساسية التالية ليتمكن من كتابة تقرير صحفي جيد:

1 - إن المبرر الأساسي والجوهري لوجود التقرير يتمثل في تقديم خدمة إخبارية؛ أي إطلاع الجمهور على جوهر ما حدث أو ما جرى وتوضيحه له. فعملية السرد أو الوصف يجب أن تصب في هذا الهدف. و إذا لم تؤخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار يشحن التقرير الصحفي بخصائص وسمات أنواع صحفية أخرى.

2 - على الصحافي أن يستثمر وجوده في عين المكان خير استثمار، وألا يمحي وجوده إلى درجة مطابقة التقرير للخبر الصحفي أو لا يختلف عنه إلا في الطول أو الحجم أو المدة الزمنية التي يستغرقها بثه عبر أمواج الأثير أو في الشاشة الصغيرة. إن انتقال الصحافي إلى عين المكان يمكنه من إيراد التفاصيل والمعلومات التي تخفي عن الذين لم يشاركوا في الحدث. ويسمح له بتوظيف ملاحظاته، وإقحام الشهادات والأقوال التي يقتبسها من شهود عيان.

3 - يجب على الصحافي أن يروي ما رأى وما سمع، وليس ما يريد أن يرى أو يسمع. فإذا اخترق الصحافي هذه القاعدة البسيطة فإنه لا يجانب الوقائع والحقائق فحسب، بل يتحايل عليها إن لم يزورها، ويقصي الكثير من العناصر التي تخالف فكره أو قناعاته أو لا يرتاح لها.

يمكن القول أن المبادئ الأساسية في كتابة التقرير الصحفي هي ذاتها مهما اختلفت الوسيلة الإعلامية. والتمايز في تحرير التقرير الصحفي تفرضه خصوصية الوسيلة الإعلامية. ففي العمل الإذاعي يجب إدخال المؤثرات الصوتية المأخوذة من أجواء الحدث وموضوع التقرير حتى يقرب المستمعين من الحدث مع الالتزام قدر الإمكان بتسجيل الأصوات الحقيقية للاقتباسات أو الاستشهادات التي تجدها في الصحافة المكتوبة، لأنها تزيد في مصداقية التقرير وموثوقيته.

و يكتب التقرير الصحفي المتلفز بعد أن يشارك الصحافي في التصوير من خلال توجيه المصور في عملية التقاط الصور وانتقاء اللقطات المناسبة حتى يتم إحداث التكامل والتناغم المرئي والمنطقي بين اللفظي والمرئي. كما ينصح بترك حيز للمؤثرات الصوتية أو للصمت حتى تتمكن الصور من التعبير والتبليغ. وبهذا يكون التقرير قد أسهم في تحديد الشرط الأساسي للكتابة السمعية- البصرية: كثافة التعبير، والاختصار والإيجاز.

يستند التقرير الصحفي إلى طريقة الحكي أو السرد. فالحكي الجيد يجب أن يكون منظما ومرتبا، مبدعا وحيا. والوصول إلى هذا المستوى من الحكي يقتضي ما يلي:

- تحديد جيد للأشخاص والسياق الذي جرى فيه الحدث (الزمن والمكان)

- نقل الأجواء بفضل الملاحظات الدقيقة.
- ترتيب مختلف العناصر ومراحل السرد.
- تبني أسلوب يتناسب مع وسيلة الإعلام (صحيفة، إذاعة، تلفزيون) وطبيعة المتلقي.
- البحث عن النغمة أو اللهجة المناسبة لموضوع الحدث، فلا يعقل أن تكون النغمة أو النبرة واحدة في كل المواضيع: محاكمة، تقرير عن أمسية شعرية، وملتقي سياسي....

المراجـع والهوامـش:

*يكشف الكاتب والصحافي (جون دانيل) (Jean Daniel في مذكراته عن أهمية التفاصيل والمعلومات في الصحافة الأنجلوساسونية من خلال تجربته، حيث يذكر ما يلي: (كان مراسل صحيفة New York Times بتونس السيد برادي Brady سنة 1961 ملتزما بتطبيق مبادئ الصحافة الأنجلوسكسونية: الاختصار، والدقة وإبراز الحدث الأساسي والكشف عن خلفية الوقائع التي توضح الحدث وتصنف الأشخاص، دون أن ينسى أسماء الأشخاص الذين يكتب عنهم وألقابهم، وسنهم، ومهنتهم، ووظيفتهم. لقد أغاظ، ذات مرة، مسؤولي مكتب الإعلام لجبهة التحرير الوطني بتونس عندما هتف لهم على الساعة الثالثة بعد منتصف الليل مستفسرا عن اسم ولقب السيد كريم بلقاسم ! رأيته ذات ليلة خائر العزيمة، منكبا على ألة الرقن يكتب مراسلاته (...) وخاطبني قائلا: (لقد عاتبتني إدارة جريدتي لأني أرسلت لهم مادة صحفية تضم 1600 كلمة بدل 1300 كلمة المطلوبة. لقد أنذرتني وحذرتني من عدم تكرار هذا الأمر مرة أخرى. ويضيف الكاتب "جون دانيال" قائلا: (لقد عانيت، كثيرا، حتى أفهم فحوى هذا العتاب. فساعدني السيد برادي قائلا: " إنها على صواب. فمهمتنا كتابة ما يجب أن يكتب وإذا استدعى الموضوع كلمات زائدة عن الحجم المطلوب وجب على الاتصال لإبلاغ مسؤول التحرير بذلك. ويبقى القرار بيده. كانت هواجس هذا الصحافي كلها تقنية. كان يشتكي لنا قائلا: " هؤلاء الجزائريين لا يريدون أن يفصحوا لنا عن سنهم، ولا نحصل منهم على التفاصيل الضرورية لنضع الحدث في موقعه. وكانت أسئلة السيد برداي في الندوات الصحفية التي تعقدها جبهة التحرير في تونس تبدو ساذجة وفي غير محلها أو غير أساسية بالمرة، لكن عندما أقرأ في الصفحة الأولى من صحيفته " New York Times الكتابات القصيرة التي يرسلها السيد برداي اعتبرها درسا لي. إنها تتضمن كل شيء: الوقائع، والتوجيه السياسي المتلبد في ثنايا السطور بمهارة فائقة. لقد كانت مواقفه السياسية حاضرة في كتاباته مما أدى بالمصالح الفرنسية بواشنطن إلى التدخل لدى إدارة صحيفته لمنع كتاباته.

Jean Daneil : Le temps qui reste, essai d'autobiographique professionnel, stok 1977, p136, 137

1- أنظر لطفي ناصف، الأخبار الصحفية، صناعة، سياسة، فن، مطبعة التيسير، القاهرة 1988، ص 155

2 - Pierre Albert : Glossaire de presse, édition, CFPJ, Paris, 1967

3 - Les genres journalistiques in http ://www.presse- ecole. com/page.cfm ?R=5&page=genres, page consultée le 19/02/2006
4 - Les genres journalistiques in http ://www.ac-rennes.fr/culture/clemi/concacad/gubihosp.htm, page consultée le 19/02/2006
5 - Cite in http ://www.expert.infini.fr/Techniques-de- base-de-l'écriture, mis en ligne le 30 septembre 2004, page consultée le 20/02/2006
6 - Voir : CFPJ : Guide du correspondent local, Paris, 1990 CFPJ : Lexique des termes de presse, Paris, sans date d'édition, p36
7 - Voirol Michel: Guide de la rédaction, édition CFPJ, Paris 1984

8 - Idem,
9 - L'information sur l'actualité et genres journalistiques, http://presse. cyberscol.qc.ca/ijp/observer/genres/genres.html#rapporter, page consultée le 20/02/2006



التعليق الصحفي

لكل كلمة مع صاحبتها مقام "الجاحظ"

إنها مفارقة حقا، فكلما يزداد استخدام التعليق الصحفي في وسائل الإعلام المعاصرة تقل الكتابة المتخصصة عنه! وهكذا ظلت الكثير من الأسئلة المتعلقة بهذا النوع الصحفي بدون إجابة واضحة ومحددة. ما هي خصائص ومميزات هذا النوع الصحفي بالنسبة للأنواع الأخرى؟ ما هي العوامل المشجعة، أكثر، على استخدامه المكثف في الصحافة المعاصرة؟ ما هي خطوطه البنيوية: التحرير والصياغة؟

لم تيسر الكتابات النظرية القليلة المتعلقة بالكتابة الصحفية فهم هذا النوع الصحفي، بل أربكت الكثير من الصحافيين المبتدئين، بدل إنارة الطريق لهم.

سنبدأ بفحص بعض التعاريف المقدمة لتحديد ماهية التعليق الصحفي قصد الإجابة على الأسئلة المطروحة أعلاه.

التعاريف

❖ (التعليق الصحفي هو الكتابة التي يتدخل فيها الصحافي بآرائه الشخصية التي تلتزم بها الجريدة) [1]

❖ (إن التعليق هو مادة صحفية لا تقترح شرح الحدث فحسب، بل تسمح للجريدة أو الصحافي بتأويله بطريقة تعكس التزام الجريدة الإيديولوجي) [2]

❖ (التعليق هو الشرح والتفسير وإصباغ المعاني الكاملة على الأخبار في إطار وجهة نظر محددة.) [3]

❖ (إن التعليق الصحفي هو مادة صحفية معبرة عن حكم الصحافي الشخصي، وهذا عكس الخبر الصحفي الذي يجب أن يكون مقيدا بالموضوعية بشكل حرفي) (4)

❖ (يعطي التعليق الصحفي للأحداث التي تنشرها الجريدة مغزى و معنى يكسبها رائحة وطعما.(...) ويتحكم في نظرة القراء إلى الأحداث، فمرة يحكم عليها بأنها نافعة، ويحكم على بعضها الأخر بأنه خطير، وتارة يصفها بأنها أحداث عابرة، وأخرى بأنها مقدمات لأزمة حادة، وهكذا..). (5)

❖ (إن التعليق هو نوع صحفي بالغ الأهمية، يستخدم من أجل تقديم رأي واضح وصريح ومعلن إزاء حدث أو واقعة. و ينطلق من الواقعة ليقدم الرأي. إنه نوع صحفي ذو طابع فكري موجه أساسا إلى ذهن القارئ) (6)

يتضح من التعاريف المقدمة أن الاختلاف بينها لا يقف عند تحديد طبيعة التعليق الصحفي، هل هو نوع فكري أو إخباري أو تعبيري؟ بل تعدى إلى جوهره، هل هو نوع مستقل بذاته أو انه عنصر من بقية العناصر التي تدخل كمادة في بناء بعض الأنواع الصحفية: الخبر والتقرير الصحفيين؟

يعتقد البعض بأن التقرير الصحفي يفتقد أسس استقلاليته، إذ لا يعتبرونه نوعا صحفيا قائما بذاته. ويرون بأنه عبارة عن تعقيب يحمل بعض الشرح والتفسير والتوجيه الذي يضاف للخبر أو التقرير الصحفيين. قد يجد هذا الاعتقاد ما يبرره في بعض الممارسات الصحفية التي لا تفصل، بشكل واضح، الأنواع الفكرية عن الأنواع الإخبارية. وهذا لا يعني أننا نشاطر " الوهم" الذي عشش في ذهن بعض الصحافيين، والذي يتلخص في وجود نوع إخباري خالص لا تشوبه شائبة فكرية أو تعليق. فالكل يعلم أن بصمات الفكر

تتسلل، بهذا القدر أو ذاك، إلى المواد الصحفية، بصرف النظر عن طبيعتها، عبر الكلمات واللغة والصور البلاغية والتفاصيل.

ويعتقد البعض الأخر أن التعليق هو الشق اللساني في المادة المصورة (فيلم وثائقي، روبرتاج، تحيق صحفي متلفز)، والذي يتحد ويتناغم مع الصورة لإنتاج المعنى أو الفكرة المراد توصيلها إلى الجمهور.

يبدو التعليق كنوع صحفي شديد الارتباط بالتقاليد الصحفية الفرنسية التي تتميز بسماتها الفلسفية والفكرية، خلافا للتقاليد الأنجلوسكسونية القائمة على البرغماتية وعلى الفصل بين الأخبار والتعليق عنها. فالكتابة عن الأحداث، بشكل مستقل، وبنوع من التأني والعمق، تستثمر أكثر في كتابة المقالات الصحفية. لذا لا نعثر على أثر للتعليق الصحفي في القنوات التلفزيونية الخليجية والمشرقية. ونلقى، بالصدفة، بعض المواد الإعلامية في الصحافة الخليجية والمشرقية والتي تصدر تحت مسمى عام: تحليل إخباري، يقوم فيه الصحافي بالتعليق على الأحداث والتعقيب عنها.

نعتقد أن التعليق الصحفي شكل مستقل من الكتابة الصحفية، ينتمي إلى خانة الأنواع الصحفية الفكرية. فحفريات الكتابة الصحفية تؤكد وجود هذا النوع الصحفي في الصحافة الفرنسية والأوروبية في المنتصف الأول من القرن التاسع عشر. لقد كانت هذه الصحافة تخصص له موقعا في الصفحة الأولى أو الثانية ليقوم بدور إنارة الأحداث والوقائع وشرحها. (7)

إن الرجوع إلى الصحف الأوروبية التي وجدت في 1870، مثل: " رابيل" Rappel الفرنسية، و"ديل أربيت" Dil Arbeit السويسرية، وفرنكفورت سيتنيغ Frankfurt Zeitung الألمانية يبين لنا أنها كانت

تنشر هذا النوع الصحفي مشفوعا بالجملة التالية: (إننا نريد تقديم الأحداث التي تعرفوها من زاوية أخرى) [8]

لم نعثر في المكتبة العربية على أثر لهذا النوع الصحفي وللأشكال النظرية لصياغته. ويمكن تفسير هذه الحقيقة بجملة من العوامل المتداخلة، نذكر منها قصر عمر الصحافة العربية مقارنة بالدول الأوروبية. و رسوخ التقاليد الأدبية في الكتابة الصحفية التي تشجع كتابة المقالة أكثر من الأنواع الصحفية. وأيضا ظهور الصحافة التعبوية التي رافقت حركة استغلال الشعوب العربية التي تجنح، أكثر، نحو استخدام المقال الصحفي، بجانب " تهجين" بعض الأنواع الصحفية، مثل إقحام الكثير من عناصر التعليق في الخبر والتقرير الصحفيين.

عوامل ظهور وتطور التعليق الصحفي في الصحافة المعاصرة:

توجد جملة من العوامل المتداخلة وذات الأهمية المتفاوتة التي تدخلت في ظهور هذا النوع الصحفي وتطوره، نذكر منها ما يلي:

1 - لم يعد أمام الجمهور متسعا من الوقت للتفكير والتأمل في العديد من الأحداث. فأصبح بحاجة ماسة إلى هذا النوع الصحفي الذي يريحه من مشقة البحث الفردي عن مسببات بعض الأحداث وعواقبها، وكيفية التصرف معها، ويساعده في فهمها ويفسرها له.

2- إن تطور المستوى الثقافي، وتزايد الاهتمام بكل ما هو سياسي نتيجة اشتداد الكفاح لنيل الاستقلال، وتفاقم الأزمات والتراعات المسلحة التي تهز الشعوب والأمم، والصراع الفكري، كلها عوامل لم تدفع جمهور وسائل الإعلام للتساؤل عما يجرى حوله فحسب، بل راح يصبو إلى معرفة معنى ما يجرى والكشف عن دلالاته.

3 – إن شدة التنافس بين وسائل الإعلام المختلفة عززت مكانة التعليق الصحفي، والكل يعلم أن الصحافة المكتوبة ظلت تحتكر الإعلام إلى أن ظهرت الإذاعة ثم التلفزيون. فتم تقاسم النشاط الإعلامي على أساس القاعدة التالية: الإذاعة تعلن عن الحدث، والتلفزيون يظهره، والصحافة تفسره وتشرحه*. هكذا وجدت الصحافة نفسها مرغمة على الاستعانة بالتعليق الصحفي، أكثر، لتتمكن من الصمود في وجه المنافسة. هذا لا يعني، بتاتا، أن وسائل الإعلام السمعية و السمعية- البصرية لم تستخدم هذا النوع الصحفي أو كفت عن استخدامه. إن جو التنافس بين وسائل الإعلام قد تم في ظل التأثير المتبادل بينها. فعلى قدر ما تأخذ الصحافة المكتوبة من وسائل الإعلام السمعية– البصرية، تتأثر هذه الأخيرة بالصحافة المكتوبة. هذا ما نلاحظه، بشكل جلي، في صدور المجلة التلفزيونية أو الإذاعية التي تشبه، إلى حد كبير، المجلة المكتوبة، لكن شكلها ومضمونها يخضعان لخصوصية الوسائل السمعية– البصرية.

4 – تتوجه المادة الإخبارية إلى جمهور عام، غير متخصص؛ أي الذي لا يملك أية خلفية عن أمور السياسة والاقتصاد والعلوم والثقافة، فيأتي التعليق الصحفي ليزوده بها، ويساعده على فهمها، بيد أنه يمكن الإشارة إلى أن تكاثر الأحداث التي تصل إلى قاعات التحرير يرغم هيئة التحرير على انتقاء بعضها فقط للتعليق عليه. فتختار ما تعتقد أنه هام، ويشغل بال الجمهور، و يتعلق بالقضايا السياسية والاقتصادية الحيوية، والأخبار العلمية.

إن التعليق الصحفي يسمح بإبراز حدث معين على حساب أحداث أخرى لترسيخه في ذهن الجمهور.

إذا بحثنا عن الإعلام السياسي لوجدناه مختصرا في الأنواع الإخبارية التي تغطي الأحداث السياسية، والتعليق عن الأحداث أو التصريحات التي تدلى بها الشخصيات السياسية والعلمية والثقافية والرياضية عندما تتحول إلى أحداث. إن التعليق لا يرمي إلى إبراز موقف من الأحداث بقدر ما يهدف إلى شرح وإعادة تقديم الأخبار في السياق التاريخي الذي جرت فيه. لقد وجد بعض المحررين في هذا العمل اختصاصهم (9) فأصبح يطلق عليهم تسمية الصحافيين المعلقين، خاصة في الصحافة الفرنسية.

5 - برز التعليق الصحفي وتبلور نتيجة حاجة الصحافي إلى إبراز رأيه في الأحداث. ففي بداية عهد الصحافة، كان محرروها في أوروبا ينتمون إلى فئة المثقفين والكتاب الليبراليين الولوعين بالصراع الفكري، ومناقشة الأفكار والأحداث التحررية.

6 - يجسد التعليق رغبة الصحيفة، خاصة تلك التي استلهمت تجربتها من التقاليد الصحفية في الدول الأنجلو سكسونية، في إبراز وجهة نظرها من الأحداث التي التزمت بتقديمها" بموضوعية" في قالب إخباري. لقد كانت الأنواع الصحفية الفكرية (المقال، التعليق) في الحرب الباردة في غاية التبسيط والتسطيح إلى حد " كاريكاتوري" في العديد من الصحف، إذ ظلت تفسر كل الأحداث التي تجري على الصعيد الدولي أو الإقليمي أو المحلي بالصراع الأيديولوجي بين المعسكرين، لكن هذه الحقيقة لا يمكن أن تحجب عنا حقيقة أخرى، تتمثل في القول أن الأنواع الفكرية المذكورة أسهمت، بشكل نشيط وقوي، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في تفعيل الصراع لنيل الحقوق المدنية، والنقابية، والدفاع عن حق الأقليات والمرأة، وآزرت كفاح الشعوب لنيل استقلالها.

لقد كان تأثير التعليق الصحفي على العمل الإعلامي كبيرا في العديد من الدول العربية. فقاعات التحرير ظلت تتاهفت على التعليق على الأحداث دون أن تعرف الجمهور بها حتى يطلع عليها. فكانت تسعى من خلاله تزويد الجمهور برأي، دون أن تفلح، دائما، في دفعه إلى الحكم على أحداث لا يعرفها ولم يسمع بها من قبل.

التعـليق الصحفي وبقية الأنواع الصحفـية: التلاقي والاختـلاف

❖ يشترك الخبر والتقرير والتعليق في الموضوع، وذلك لأن التعليق، أيضا، يتناول الأحداث الآنية، ويواكب الوقائع " Les actualités "، لكن الاختلاف بينهم يكمن في الهدف. إن التعليق الصحفي لا يهدف إلى إبلاغ الناس بما جرى مثلما يفعل كل من الخبر والتقرير الصحفيين، بل يكملهما بتقديم المعنى مما جرى وما هي دلالته. ويتمثل أيضا في أسلوب معالجة الأحداث. فالنوع الصحفي الإخباري: التقرير الصحفي تحديدا يحكي ما جرى ويرويه، بينما يقوم التعليق الصحفي بتفسيره وتوضيحه بإعادة تحديد السياق الذي جرى فيه.

ربما يثير البعض الخلط القائم بين التعليق الصحفي والمقال، خاصة بعد التطورات الراهنة التي عرفتها وسائل الإعلام المختلفة، بما فيها الصحافة المكتوبة. لقد تراجعت مكانة صحافة الرأي، وتقهقرت الأنواع الصحفية الفكرية، خاصة المقال الصحفي، وانخفضت درجة " أدلجته" وتنظيره.

للإسهام في تحديد جوانب الاختلاف بين التعليق والمقال الصحفيين، يمكن القول أن التعليق الصحفي يعقب الأحداث **الراهنة والخاصة** ويتابعها،

بينما يسمح المقال للصحف **المركزية بمتابعة القضايا الهامة التي تشغل المجتمع برمته** وفهمها بشكل أعمق.

❖ إن التعليق الصحفي يكتفي بتوضيح حدث معين وكشفه للجمهور، وإبراز وجهة النظر إزاءه. والمقال الصحفي يصبو إلى ما هو أعمق وأشمل من ذلك. إنه يحلل الحدث ويدافع عن موقف معين منه، باستعمال مخطط المحاججة والأدلة. ويسعى إلى التنظير لهذه القضايا الهامة.

❖ يعد الحجم عاملا أخرا في تحديد الفرق بين النوعين الصحفيين المذكورين. فالتعليق الصحفي يقع ما بين 300 و530 كلمة، أي في حدود 60 سطرا. إن السؤال الذي يمكن أن يثار في كتابة التعليق الصحفي يطرح كالتالي: إلى أي حد يمكن الصحافي أن يبرز رأيه في التعليق؟

ليس المطلوب من الصحافي أن يكون منتميا سياسيا حتى يكشف عن رأيه ومواقفه من الأحداث والقضايا، على الأقل في الصحف ووسائل الإعلام غير الحزبية، بل يطلب منه أن يكون مسيسا، ذا مستوى من الوعي والإدراك السياسي والمعرفي والإطلاع يسمح له بتفسير الحدث وإبراز وجهة نظره. كما يجب ألا تخرج آراؤه عن الخطوط العامة، والمبادئ الأساسية التي ترتكز عليها الوسيلة الإعلامية. فهذه الأخيرة لا تقبل أن تضحي بما يسمى " وحدة المضمون" وتقدم أراء متعارضة ومتناقضة إلا في الحدود التي يسمح بها " بريد القراء أو منبر الآراء الحرة"، لأن الممارسة الصحفية تفند الرأي القائل بأن الوسيلة الإعلامية هي " مستودع للأفكار والآراء".

إن مشروعية السؤال المطروح أنفا، تبرره الممارسة الإعلامية في المؤسسات الإعلامية التي يتطلب منها تقديم خدمة عمومية، خاصة في المجتمعات التي لم تشهد في تاريخها مؤسسات إعلامية خاصة أو غير حكومية، والتي كانت الحكومات المتعاقبة عليها مهيمنة على الفضاء العام وعلى مساحات الإعلام والتعبير. إن الرأي الراجح الذي يجيب على السؤال المذكور يتلخص في القول بأن ما يتضمنه التعليق الصحفي من أحكام، ووجهات نظر، لا يخرج عن الخط التحريري الذي تنتهجه المؤسسة الإعلامية.

يعرف الخط الذي يسمى، أيضا، بالخط الافتتاحي بأنه النهج الذي تتبعه الوسيلة الإعلامية للتعبير عن فلسفتها ورؤيتها للأحداث والمجتمع وللعلاقات الإنسانية والدولية. إنها جملة من المبادئ وقواعد العمل التي توحد عمل فريق العمل الصحفي. فهذا الخط يحدد المعايير التي يعتمد عليها في انتقاء الأحداث وتحويلها إلى أخبار، ويرسم، بشكل ضمني أو صريح، المباح والممنوع والذي يستلهم منه الصحافيون مواقفهم ووجهات نظرهم. لكن الخط الافتتاحي أيضا يسهم في صياغة شخصية الوسيلة الإعلامية ويطبعها بسمة تميزها: الرصانة والجدة، عمق التحليل، الخفة والإثارة، والسخرية. لقد تشترط بعض وسائل الإعلام، خاصة تلك الملتزمة بتطبيق الأحكام القانونية المتعلقة بالضمير المهني، من صحافييها التعهد بإتباع الخط التحريري المنصوص عليه في ميثاق أو دليل العمل الصحفي. إن التصور الذي يعبر عنه الخط الافتتاحي يتحول إلى مرجع أساسي يوجه قاعات التحرير، وكل النقاشات التي تثيرها هيئة التحرير بمناسبة نشر هذه المادة الإعلامية أو تلك.

ويعمل الخط الافتتاحي، أيضا، على جمع الجمهور المدمن على وسيلة إعلامية بذاتها. إن الإدمان على قراءة صحيفة معينة، بشكل منتظم، يعبر عن نوع من الموافقة على ما تنشره أو تدافع عنه.

يبدو الخط الافتتاحي في وسائل الإعلام المعاصرة شديد الغموض ويشبه إلى هذا القدر أو ذاك خط الأحزاب السياسية. لقد كان للإيديولوجية وزنا في تحديد ملامح الخط الافتتاحي للصحف في القرن الماضي. ومع تزايد ضغط السوق على العمل الصحفي شرعت الصحف تتجه إلى تبن نمط موحد من الصحافة يختلف باختلاف المواقف السياسية الظرفية والأطر والتقاليد الثقافية.

يتضمن الخط الافتتاحي للوسيلة الإعلامية النقاط التالية:

- الاعتبارات السياسية والفلسفية
- الأقسام أو الأركان في الصحيفة أو وسائل الإعلام
- المواضيع الإخبارية التي يمكن أن تتناولها.
- المسؤولية التحريرية
- الكفاءة المهنية للمحررين وصلاحياتهم.
- إمكانية التفاعلية (بين الجمهور والصحافيين)

أما العوامل التي تتدخل، بهذا القدر أو ذاك، في صياغة الخط الافتتاحي، فيمكن أن نلخصها فيما يلي:

- دفتر الأعباء المفروض على المؤسسة الإعلامية: وهو الدفتر الذي تفرض مواده السلطات العمومية أو هيئة مستقلة (مجلس للإعلام، أو مجلس للسمعي-البصري، أو اللجنة المستقلة للإعلام) تحدد فيه مهام وأدوار الوسيلة الإعلامية العمومية وشروط إنجازها.

- القواسم المشتركة التي تجمع أفراد مجتمع معين، والمنصوص عليها في القوانين الأساسية التي تشكل موضع إجماع المواطنين: مثل، الدستور.
- الفلسفة التي ترتكز عليها الوسيلة الإعلامية
- الغاية من وجود الوسيلة الإعلامية.

يلاحظ بعض الدارسين والمتتبعين للكتابة الصحفية نوعا من الخلط بين التعليق والعمود الصحفي (Billet)باعتبار أن كليهما يستهدف التعقيب على الأحداث وتأويلها وترجمتها. ويتبدد هذا الغموض، بسهولة، إذا احتكمنا إلى العناصر التالية: الموضوع، والأسلوب، والموقع، والإخراج الصحفي.

إن العمود الصحفي لا يرتبط عضويا بمجريات الأحداث وتطوراتها مثل التعليق الصحفي. ويملك أسلوبا منفردا و متميزا، وأكثر التصاقا بمبدعه. إنه لا يقوم بالشرح والتفسير، مثل التعليق، بل ينتقد ويسخر ويتهكم. و يحتل مكانا ثابتا في الصفحة ويظهر تحت مسمى واحد لا يتغير قصد تعويد الجمهور عليه.

أنـواع التعالـيق الصحـفية:

يقسم التعليق الصحفي وفق الموضوع (سياسي، اقتصادي، ثقافي....) وهو التقسيم الشائع والمعروف، والذي لا يضيف شيئا جديدا لكيفية كتابة التعليق الصحفي سوى الإشارة إلى ضرورة تمكن الصحافي من موضوع تعليقه أو ضرورة الاختصاص.

ويقسم التعليق الصحفي، أيضا، على:

1 - التعليق اليومي: وهو عبارة عن ردة الفعل الأولى للوسيلة الإعلامية من حدث معين. ويتناول أحداث اليوم الواحد أو الحدث المركزي في

اليوم. فتتوقف الوسيلة الإعلامية لتسلط عليه الضوء، أكثر، ولتوجيه الجمهور من خلاله.

2 – التعليق الصحفي الأسبوعي: وهو إنتاج صحفي دوري يقوم بتلخيص الأحداث المعروفة التي تدور عموما حول موضوع واحد، فيشرحها يبدى الرأي فيها.

كتابة التعليق الصحفي:

قبل توضيح إشكالية كتابة التعليق الصحفي يجب إدراك ما يلي:

أ – إن التعليق الصحفي هو ترجمة أراء ووجهات نظر وتأويل حدث بأقصى سرعة. لذا يتطلب التعليق جهدا فرديا، و شخصية مبدعة، وتفكيرا متماسكا في وجهة النظر التي يسعى الصحافي إلى إبرازها.

ب – إن التعليق الصحفي ليس ترديد شعارات، وحشو الآراء بدون سند أو ملموسية. إنه ينطلق من الحدث الذي وقع فعلا. لذا لابد من الشروع في كتابة التعليق بالانطلاق من الحدث/الموضوع وقراءة نتائجه المحتملة، لمساعدة الجمهور على فهمه وتوجيهه.

على الصحافي تذكير جمهوره بالحدث وذلك إطلاقا من الافتراض بأن الجمهور لم يسمع بما جرى من قبل، أو لم يتابعه بالقدر الكافي، لكن لا يجب الاكتفاء بهذا التذكير فقط. فإذا لم يفعل فإن التعليق الصحفي، في هذه الحالة، لا يقدم أكثر مما يقدمه الخبر الصحفي. كما لا يمكن تجاهل الحدث وعناصره والانصراف مباشرة إلى التعقيب عنه، وإبراز الرأي المستخلص من وقائعه. فالتجاهل في هذه الحالة يفقد التعليق الصحفي دوره، ويعجز عن

الوصول إلى جمهوره بالفاعلية المنشودة. ويظهر كنوع من المغالاة والمزايدة (Une pure speculation) أو كجمع للأحكام التجريدية الخالية من كل بعد ملموس. كما أن أسلوب التورية، والتهرب من ذكر الأشياء بأسمائها، والتلميحات غير الدقيقة تجعل التعليق الصحفي ناقلا لمادة صعبة الاستيعاب.

ج- ينصح في كتابة التعليق الصحفي بالاعتماد على الشرح، والحوار، والجدل لأنه يخاطب العقل أكثر من العاطفة. فإذا كان بالإمكان النفوذ إلى العاطفة من خلال بعض الاستمالات الشعورية، فإن النفوذ إلى العقل لا يتم بمجرد تقديم رأيا والكشف عنه فقط، بل لا بد من التمهيد له بشرح الحدث، ومحاورة الجمهور حتى يصل وإياه إلى وجهة النظر الذي يسعى التقرير الصحفي إلى تقديمها له.

بـــنية التعـــليق الصحـــفي

كان بعض المختصين ينفون، بشكل ضمني، وجود طريقة أو شكل لكتابة التعليق الصحفي لاعتقادهم أن للتعليق الصحفي شكل خاص يسمح للكاتب بعرض رأيه في الحدث بأسلوبه الخاص. والمعلق وحده، دون سواه، هو الذي يعرف الطريقة التي يعرض بها أفكاره حتى يستطيع الوصول إلى التأثير المنشود. ويهدف التعليق إلى توضيح الحقائق والآراء والتدليل على صحتها.

تبدد هذا الاعتقاد بالممارسة الصحفية المتنوعة، وأصبح التعليق الصحفي يُبْنى، عادة، وفق المخطط التالي:

1 - تقديم الحدث أو إعادة تذكير الجمهور به، والكشف عن عناصره الجديدة والمتجددة.

2 -شرح الحدث بالكشف عن مغزاه وتوضيح صلته بالأحداث الأخرى القادمة أو الفائتة التي تشبهه أو تتأثر به مباشرة، وكذا قراءة انعكاساته المحتملة.

3 - تقديم وجهة النظر كخلاصة لكل ما سبق.

إن هذا المخطط متكامل و مترابط، ويصب في اتجاه واحد: خدمة وجهة النظر التي يسعى إليها الصحافي.

حتى تتماسك حلقات هذا المخطط يجب على الصحافي أن يطلع على ما نشرته وسائل الإعلام المختلفة عن الحدث. وأن يطلع على ردات الفعل لمختلف الأطراف منه. وأن يأخذ بعين الاعتبار مستوى فهم الجمهور للحدث المعالج أو فهمه المسبق له، ويحاوره على هذا الأساس.

ينطلق التعليق الصحفي الأسبوعي، الذي دأبت بعض وسائل الإعلام على استخدامه، من تلخيص الأحداث المختلفة التي تتمحور حول موضوع واحد.

التعليق الصحفي في وسائل الإعلام السمعية- البصرية

إن الإذاعة التي تملك إمكانيات كبرى في الالتزام بالآنية جعلت من التعليق الصحفي الإذاعي ردة فعل سريعة اتجاه حدث ما. لا يقدم أثناء موجز الأخبار الذي يدوم ما بين 1 و3 دقائق في كل ساعة، بل يعرض في نشرات الأخبار الإذاعية المركزية (5 -10 دقائق)، والنشرات المركزية (10-20 دقائق) والتي تبثها الإذاعة ثلاث مرات في اليوم. إنها النشرات التي تعرف استخداما أكثر لمختلف الأنواع الصحفية. كما يبث التعليق الصحفي في بعض البرامج الإخبارية ويأخذ موعدا زمنيا محددا ودائما يبث فيه: قبل نشرة الأخبار الأولى أو بعدها أو ضمن برنامج يومي.

يخضع التعليق الصحفي لقابلية الجمهور للاستماع، ومقدرته على الاستيعاب. لذا لابد من التخلي عن قراءة النصوص المعدة مسبقا وفق مقتضيات اللغة المكتوبة. والالتزام بقواعد الإلقاء الفوري والمحادثة أو الحوار الذي يتطلب من الصحافي عدم الإكثار من تعداد الأحداث، والوضوح، والبساطة، والإفصاح عن موضوع التعليق حتى يميزه الجمهور بسرعة.

إن التعليق الصحفي الذي كانت تبثه إذاعة "منت كارلو" الفرنسية على الساعة الخامسة إلا ربع صباحا بتوقيت غرينتش في سنتي 2002-2003 خير مثال على التعليق الإذاعي الجيد.

يستدعي التعليق الإذاعي إدراك معنى درامية الكلمة المنطوقة، وزوالها السريع وتلاشيها، وفهم التكرار العقلاني للأفكار والمعطيات بدون لف أو دوران، واستغلال عاطفة التواصل التي تجلب الاستماع.

يوجد من الصحافيين من اختص في التعليق الصحفي، فداوموا على تقديم التعاليق سواء ضمن الجرائد المصورة أو في البرامج الخاصة. لقد دأبت القناة الثانية من التلفزيون الفرنسي على تقديم تعليق صحفي يومي، بشكل دائم، تحت عنوان " وجهة نظر" (Point de vue) في برنامج " Tele-matin " الصباحي.

ينفذ التعليق الصحفي في التلفزيون بطريقتين مختلفتين، وهما: الاعتماد على صوت من خارج الشاشة (Voix-off) وملء هذه الأخيرة بالصور. وهنا تطرح مسألة اللغة اللفظية والتركيب (Le Montage)، الذي يسعى لخدمة غرض التعليق. أو ظهور المعلق الصحفي طيلة مدة التعليق ليحتل الشاشة لوحده في ظل غياب الصور. كما كان يفعل الصحافي الفرنسي " كريستان ملر" في القناة الخامسة من التلفزيون الفرنسي التي ظهرت في 1990 واختفت من الوجود بعد سنة من ظهورها.

إن الطريقة الثانية تقتضي الاهتمام بعامل حضور الصحافي في الركح التلفزيوني، وتلقائية حديثه المباشر للجمهور والالتزام بمتطلبات الاختصار والدقة.

يمكن الإشارة إلى تجربتين في القنوات التلفزيونية العربية مع التعليق الصحفي. التجربة الأولى تمثلها القنوات التي استلهمت تجربتها من التقاليد الانجلو سكسونية التي ترفض أن يتولى الصحافي التلفزيوني الإدلاء برأيه في الجريدة المصورة. لذا نلاحظ أن العديد من الفضائيات العربية تقفز من نقل الحدث إلى إعطاء الميكروفون إلى أحد الخبراء أو المختصين لتوضيحه أو تقديم رأيه فيما حدث. وتستعين، في بعض الأحيان بصحافيين في وسائل الإعلام الأخرى للتعبير عن وجهة نظرهم من الحدث المنقول. قد يبدو أن هذا الأسلوب كنمط من حياد القناة الفضائية وموضوعيتها من ناحية الشكل، لكن من ناحية المحتوى لا يوجد مانع من قيامها بتمرير رأيها من خلال الخبير، أو المختص أو الباحث المختار. أما التجربة الثانية فتقودها القنوات التلفزيونية، خاصة التابعة للقطاع العام، والتي تستلهم أساليب عملها من التجربة الفرنسية، إذ تعلق على الخطاب السياسي الرسمي بالتهليل والمباركة. فالتعليق الصحفي، في هذه الحالة، ينتج خطابا يتحدث عن الخطاب الرسمي! وهذا لا يضيف جديدا له، بل يرهله بالإطناب والتكرار الممل!

المراجع والهوامش:

* لقد ظلت هذه القاعدة صالحة إلى غاية نشوب حرب الخليج الثانية التي أحدثت انقلابا في أدوار وسائل الإعلام بفضل البث التلفزيوني المباشر، وترسخ هذا الانقلاب بعد حرب الخليج الثالثة، ودخول شبكة الانترنيت في حلبة المنافسة الإعلامية.

1- Yves Agnès, Jean Michel Croissadeau: *Lire le journal*, édition, FP Labies 1979 p35

2- Christaine Leteintu : *Télévision, publicité,* édition Eryles, Paris 1990, p21

3-كرم شلبي: الخبر الإذاعي، فنونه، خصائصه في الراديو والتلفزيون، دار الشروق 1985 ص 126

4- Pierre Albert: *Glossaire de presse*, CFPJ 1967, p26

5 – عبد العزيز الغنام: مدخل في علم الصحافة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة الثانية 1977، ص 197

6- أديب خضور: أدبيات الصحافة، مطبعة الداودي، دمشق 1986 ، ص 35

7- المنظمة العالمية للصحافيين: مجموعة نصوص حول الأنواع الصحفية، ترجمها نصر الدين لعياضي، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1988

8- المرجع نفسه

9 - Christaine Leteintu, op cité, p91

10 - Antoine Mercier : *L'ecriture journalistique*, In http://www.cndp.fr/revueTDC/809-41540.htm, page le 20/02/2006, consultée, le 20/02/2006



المقال الافتتاحي

(الكلمات ألغام مرصودة لكي تنفجر في ضمير القارئ أو سلوكه أو ذاكرته)

ماريو فارغاس يوسا (روائي بيروفي)

يعود أصل كلمة Editorial الافتتاحية إلى اللغة الانجليزية واشتقت من فعل " Editor " ومنه ظهر مختصر " Edito" الذي انتقل إلى العديد من اللغات الأجنبية، مثل: الفرنسية.. إن الافتتاحية تعني المادة التحريرية التي تبرز رأيا أو موقفا. وبالتدريج، تحور، فعل " Editorialiser" ليصبح مبتذلا في الثقافة الفرنسية، و مرادفا لإعطاء الدروس لغير المتعلمين.

بعيدا عن الابتذال تم تعريف المقال الافتتاحي بما يلي:

❖ (هو أول الأشكال الصحفية التي تعبر الجريدة فيه عن رأيها. لذا ينشر في الصفحات الأولى ويطلق عليه أحيانا اسم الافتتاحية. وللمقال قيمة كبرى بالنسبة للصحيفة والقارئ. فبواسطته تعبر الصحيفة عن سياستها وأرائها في جميع الشؤون، دون أن تضطر إلى التلاعب بالأخبار. وتتنوع الافتتاحية بتنوع الصحف. ويقصد بها المقال المنشور في مكان رئيسي من الصحيفة والذي يعالج مشكلة أو حادثة. ويكون موضوع الافتتاحية مادة خبرية... وعلى الافتتاحية تقاس شخصية الصحيفة ومقدرتها العلمية. إذ عليها يبنى القراء الناهون والرأي العام فكرهم عن الصحيفة.)[1]

❖ (نوع صحفي ينطلق من الواقعة، يقدم رأي الوسيلة الإعلامية إزائها. ويتمتع بقدر كبير من العمق و الحيوية، و هو نوع فكري موجه إلى ذهن القارئ. و يقوم أساسا بوظيفة الدعاية، و يوجه للشريحة الأكثر وعيا و جدية في الجمهور القراء.)(2)

❖ (يتناول المقال الافتتاحي الأحداث المعروفة مسبقا، ويتخذ موقفا تجاه مشكل عويص. ويلزم الصحيفة به. إن المقال الصحفي هو المكان المفضل للصحيفة للكشف عن اختيارها، وتصفية حساباتها، وللتأكيد على أهمية حدث أو خطورته) (3)

❖ (المقال الافتتاحي هو شكل من الكتابة الصحفية الرسمية الذي يقدم مادة للتفكير، ويعطى بعدا مستقبليا للأحداث والوقائع التي يتناولها. يتضمن المقال الافتتاحي جانبا من التحليل والتعليق على الأحداث الآنية أو الرائجة.) (4)

❖ (مقال تكتبه شخصية مهمة في الجريدة و يلتزم المجموعة المشرفة على تحرير الجريدة كلها بالمسؤولية المعنوية و الأدبية)(5)

يطرح تعريف المقال الافتتاحي الإشكالية التي يصوغها السؤالان التاليان: هل أن المقال الافتتاحي هو نوع صحفي مستقل؟ ما هو الفرق بينه وبين بقية الأنواع الصحفية، خاصة التعليق الصحفي؟

يرى البعض أن المقال الافتتاحي ليس نوعا متميزا عن المقال، وذلك لعدم وجود أسس منطقية لذلك. هذا لا يدل أبدا على عدم وجود سمات خاصة بالمقال الافتتاحي. كما لا يعني أن كل مقال يستطيع أن يكون افتتاحيا. ويرى بعض المختصين أن هذا النوع الصحفي خاص ومتميز، وهم بهذا يبالغون

في خصوصيته،[6] دون أن يقدموا الأدلة المنطقية و الواقعية لما ذهبوا إليه. فالمقال الافتتاحي هو نوع من أنواع المقال الصحفي لا غير.

يبدو الفرق بين المقال الصحفي و بقية الأنواع الصحفية، خاصة الافتتاحية واضحا. فإذا حدث لبس أو غموض بينهم فهو ناجم، بكل تأكيد، عن التداخل الذي يعتقد البعض أنه موجود بين الافتتاحية و النوعين الصحفيين التاليين: التعليق الصحفي و العمود الصحفي (Le billet).

بالفعل، إن انحصار صحافة الرأي والصحافة الحزبية، وتقلص مجال الصراع الإيديولوجي، وشدة التنافس بين وسائل الإعلام للحصول على المزيد من موارد إشهار وللاستحواذ على الجمهور، كلها عوامل أدخلت تغيرا هاما على المقال الافتتاحي إلى درجة أن البعض المختصين باتوا لا يرون فرقا واضحا ودقيقا بين المقال الافتتاحي والتعليق ف "جون كرواسندوا" و"أيـف آن (Croissandeau An Michel Yves Agnes يعـتقدان أن المقال الافتتاحي هو: " تعليق عن حدث ينشر في الصفحة الأولى".[7]

لتوضيح الاختلاف بين النوعين الصحافيين المذكورين يمكن القول أن الخط التحريري للجريدة هو انتماء لتيار فكري معين، قبل أن يكون خصوصية مهنية. فالمقال الافتتاحي لا يسعى إلى التعقيب عن حدث و تفسيره، بل يرمي أساسا إلى التذكير بانتماء الصحيفة. ف"كري باري "Cry Paret " كاتب الافتتاحيات يقول:" إن المقال الافتتاحي الحقيقي ليس تحليلا لكنه اتخاذ موقف من قضية ما أو حدث".[8]

وإذا كان العمود الصحفي يصنف كنوع فكري، يسعى إلى تقديم فكرة أو خدمة رأي، فانه يختلف عن المقال الافتتاحي في البنية و في الأسلوب

وفي الغاية. فالعمود يقوم بوظيفة نقدية؛ يسخر، يتهكم بأسلوب ذاتي و شديد الخصوصية: ينقد سلوك أو ممارسة، قد تكون غير مرتبطة بالأحداث الآنية. بينما يستخدم المقال الافتتاحي الأسلوب الرزين و الجاد لتقديم موقف الجريدة من الأحداث و الوقائع الآنية.

سنكتشف أكثر الاختلافات بين هذا النوع الصحفي و بقية الأنواع الصحفية، من خلال التفاصيل الخاصة بالمقال الافتتاحي.

موضوع المقال الافتتاحي:

ليست كل المواضيع جديرة بالمقال افتتاحي، لأنه يتطلب توفر مجموعة من الشروط في موضوعه، تذكر منها ما يلي:

أ- أن يكون **شاملا وعاما** بالنسبة لجريدة مركزية أو وطنية، لا تخص منطقة محدودة فتوثر فيها دون غيرها، هذا بالنسبة للجريدة المركزية، فالمواضيع الخاصة جدا غير مؤهلة لتكون موضوع افتتاحية، بل تناسب الكتابة وفق أنواع صحفية أخرى، بما فيها تلك الفكرية كالتعليق، و العمود، و التحقيق الصحفي، فدور المقال الافتتاحي هو الإعلام عن العالم و عن الطريقة التي يجب أن يُدرك بها.[9]

ب- أن يكون ذا علاقة بحدث آني و ناضج كل النضج، أي أنه موضع اهتمام و انشغال الجمهور، لأن هذا الأخير ينتظر، في بعض الأحيان ، الإعلان عن موقف واضح منه حتى يستطيع أن يحدد سلوكه مما يجري أو جرى.

ج- أن يضمن قدرا معينا من التنوع حتى لا يصبح المقال الافتتاحي مرتبطا بموضوع واحد ووحيد وعرضة للتكرار والاجترار. إن التنوع هو تعبير عن ما هو موجود لدى القراء من اهتمامات ورغبات وانشغالات.

د- لا تملك بعض المواضيع الأهمية اللازمة إلا إذا تحولت إلى مادة للافتتاحيات، ويشترط منها أن تحظى في ذات الوقت بمعالجة صحفية مختلفة: خبر صحفي، تقرير، حديث صحفي...

خصوصية المقال الصحفي:

❖ يبرز المقال الصحفي الموقف الرسمي للجريدة من الأحداث والوقائع. فمن هذا المنطلق فهو يقدم مادة أكثر دسامة و عمق التعليق الصحفي.

❖ لا يحيلنا المقال الافتتاحي إلى حدث ذاته كحلقة في سلسلة الأحداث الكرونولوجية بقدر ما تحيلنا إلى المعاني الجوهرية التي يحتلها و إلى مكانته في شبكة الرموز التي تشكل الخطاب.[10]

❖ لا يحمل المقال الافتتاحي في الصحافة البريطانية توقيع صاحبه لأنه يعتقد بأن هيئة التحرير برمتها تتحمل مسؤوليته. بينما يمكن أن يحمل في الصحافة توقيعا جماعيا ممثلا في " التحرير" أو ينفرد رئيس التحرير أو رئيس القسم (الركن) بتوقيعه أو لا يحمل أي توقيع، كما هو الشأن في صحيفة " لو موند" Le Monde. أما في الصحف الكندية الناطقة باللغة الفرنسية فإن المقال الافتتاحي يحمل توقيع كاتبه، لكنه يلزم الصحيفة.

❖ إن الموضوع المختار الذي يدور حوله المقال الافتتاحي و الموقف المعبر عنه أو المدافع عنه يجسد خط الوسيلة الإعلامية، أي البوصلة الفكرية التي تستدل الجريدة بها في تحرير مختلف مواردها الصحفية. إن المقال الافتتاحي يعد الموجه الأساسي للعمل الصحفي و المجسد لما يسمى بوحدة المضمون الفكري للجريدة نافيا عنها صفحة " مستودع للآراء". فالمقال الافتتاحي هو نوع صحفي مفيد يلخص موقف الصحيفة تجاه حدث معين.

❖ لا يقرأ المقال الافتتاحي بكثرة. لقد بينت الدراسات العلمية أن المقال الافتتاحي لا يحظى بإقبال كبير لدى القراء، لأنه يتطلب مستوى من الإدراك والوعي وعلاقة متميزة بالجريدة. لذا نلاحظ بأن الفاعلين الاجتماعيين، ورجال السياسة هم من أكثر القراء الذين يولون عناية بالغة للافتتاحيات ويقرؤونها بترو وتفكير، وذلك لأنهم يدرون بأن كتاب الافتتاحيات يقومون بدور هام في المجتمع الديمقراطي من خلال مشاركتهم في النقاش العام، وإسهامهم في صياغة الرأي العام.

تبدأ علاقة المقال الافتتاحي بقرائه من وفاء الجريدة بالتزاماتها والمتمثلة في إصدار افتتاحيتها بشكل منتظم، و في مكان معهود يكون في الغالب في الصفحة الأولى في الجرائد اليومية و الصحف الثانية في المجلات الأسبوعية أو الشهرية. ويمكن أن نجد في الصحف الكندية أكثر من افتتاحية في العدد الواحد تتجاور بجانب بعضها في الصفحة الواحدة.

ظهر المقال الافتتاحي و تطور في الدول العربية في ظل الكفاح لنيل الاستقلال السياسي و التحرر من رقبة الاستعمار و تطور في خضم ما أصبح يسمى بالصحافة التجنيدية التي رافقت النضال الاجتماعي لبناء مجتمع مغاير للأسس التي يقوم عليها النظام الاستعماري. و تأثر المقال بماضي الصحافة في أوروبا، خاصة بفرنسا، وواقعها. لقد ظلت هذه الصحافة مدة طويلة صحافة رأي تستند إلى الخطاب الذي يشكلها أكثر من ارتكازها على الواقع الحدثي (نسبة للحدث) الذي تنقله. [11]

بدأت صحافة الرأي في التقلص بأوروبا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فاسحة المجال للصحافة الإخبارية. وتفسر هذه الظاهرة بشبه الإجماع الذي حصل في أوروبا الغربية حول بعض المواقف والمبادئ الأساسية: النظام

الديمقراطي، و التداول على السلطة، والفصل بين القضايا الأساسية. لقد أثرت هذه الظاهرة على كتابة المقال الافتتاحي و في نظرة الصحافيين المختصين له. فلو اقتصرنا على التجربة الفرنسية وحدها لالتماسنا هذه التغيرات من خلال شهادة بعض كتاب الافتتاحيات. فالصحافي "جون ماريدومس" (Jean Marie Domenach) كاتب الافتتاحيات في جريدة (Ouest France) والمجلة الاقتصادية (lexpression ´) يقول ما يلي: (يتوجب على كاتب الافتتاحيات، من صنف " ريمون آرون" الذي يبدو لي أنه كاتب نموذجي في فرنسا — التي يوجد بها القليل من كبار كتاب الافتتاحيات — أن يتكئ على نشاط فكري متواصل. فبدون التجذر في هذا النشاط، و بدون الانغماس في التفكير الفلسفي و العلمي، لا يصبح في اعتقادي، كاتب الافتتاحيات جديرا ومناسبا).[12] هكذا تحول المقال الافتتاحي إلى نوع تتقاسمه الصحافة و التفكير السياسي و الفلسفي و التاريخي. ففي الصحف التالية، على سبيل المثال: (l'express) و (Time Magasin) (News Week) يقوم ذو الأقلام البارزة، في بعض الأحيان، بكتابة افتتاحياتها. أقلام لا تنتمي عضويا لهذه الصحف الفكرية، بيد أنها تتميز بمساهمتها الفكرية و التأملية في قضايا الساعة، فتوجه الجمهور، و تأثر حتى في قادة الرأي العام و أصحاب القرار السياسي في المجتمع.

نعتقد أن الصحافة العربية، التي لا تولي كل الاهتمام للأنواع الإخبارية لكونها صحافة رأي، هي في أمس الحاجة إلى الأخذ بعين الاعتبار التجارب الجديدة في الصحافة المعاصرة و التي أدخلت التغييرات على كتابة المقال الافتتاحي. التغييرات التي جعلت مدير جريدة " لبرسيون" Libération "الفرنسية السيد (Serge July) سرج جولي، يسمى المقال الافتتاحي: "

"l'information analysée" ويعرفه بما يلي: (إنه عمل يقوم على الاستقصاء وانتقاء المعلومات والأخبار، ولقاء السياسيين و رجال الصناعة والنقابيين... وحتى الرجال العاديين، والاستماع إليهم، و معرفة كيف يعيشون الأشياء. إنه عمل تحليلي واستقرائي".[13] وربما تدفع هذه التجربة المقال الافتتاحي للاستناد أكثر إلى الحقائق و الوقائع و الآراء المتباينة الجديدة، وتبعده عن الاجترار السياسي لنفس الخطب و الكلمات و السقوط في الديماغوجية، أو في الوعظ.

لقد لاحظ بعض النقاد الفرنسيين تكلس بعض الافتتاحيات في الصحافة الفرنسية على يد ثلة من "كبار حمالة القلم" الذين يكتبون في الصحف، ويُسْتضافون في استوديوهات التلفزيون، ويجاملون بعضهم البعض، ويستشهدون بأقوال بعضهم البعض.ويتبادلون الأفكار ذاتها التي يعتقدون أنها تصنع "الرأي العام".

سنتعرض لبنية المقال الافتتاحي في معرض حديثنا عن بنية المقال الصحفي التي تشخص أكثر خصوصيته بالنسبة لبقية الأنواع الصحفية. لكننا نكتفي بالتأكيد على ضرورة امتلاك رأي حول موضوع المقال الافتتاحي، ووصف الرهانات التي يطرحها ثم الحجج التي يجب تقديمها على ضوء الأطروحات المتداولة حول الموضوع التي يجب طرحها بوضوح.

نكتفي بذكر تجربة أحد كتاب افتتاحية مجلة (L' expansion) والذي يقول: " إنني أكتب باختصار. و أترجم أفكاري بدون أن أخونها في 90 سطرا فقط- هذا معيار افتتاحياتي- إنه شكل من التحدي الذي يفرض علي التركيز و الابتعاد عن الغموض واللغو والحشو. وتكمن فائدة هذا

التمرين في أنه يجبرني على تناول ما هو أساسي، و الكف عن التحايل على ما نفكر فيه[14]

يمكن القول أن المقال الافتتاحي يقوم بدور مختلف، نوعا ما، في المجلات والدوريات، عن المقال الافتتاحي في الصحف اليومية. إذا أنه يحدث تمفصلا في محتويات المجلة، ويبرز أهم توجهاتها. ويمكن لهذا المقال أن يشهد على موقف المجلة من هذا الحدث أو ذاك.

على ضوء هذه الحقيقة يمكن القول أن الافتتاحية في الصحف المهنية تأخذ أشكالا مختلفة، إذ يمكن أن تتضمن كلمة رئيس الشركة أو التنظيم التي يستعرض من خلالها توجهاته وآراءه وتصوراته أو رسالته إلى زبائنها.

كما يمكن أن تأخذ الافتتاحية في هذا الضرب من الصحف شكل "الإفتتاحية- فهرس" والتي تقوم بالتعليق على فهرس المجلة، إذ يكشف أهمية المواضيع التي تتضمنها ، ويبرر اختيارها لهذا الموضوع أو الملف أو يشرح أهميته.

المـراجع:

1- عبد العزيز غنام: مدخل إلى علم الصحافة، مكتبة الأنجلو-مصرية القاهرة، المطبعة الثانية، 1977 ، ص 155
2- c.f.p.j : lexique des termes de presse, paris , 1991
3- Cité in: Les genres journalistiques ; www.crdp.ac- cddp93/jour scd/afairejournal/a132.htm, page Consultée le 14-02-2006

4- Cité in: Les genres journalistiques : http ://www.ac- rennes. fr/culture/clemi/concacad/gubihosp.htm, page consultée le 19/02/2006
5- أديب خضور: أدبيات الصحافة، مرجع سابق، ص 35
6- أديب خضور: محاضرات عن المقال الصحفي، مطبوعة غير منشورة، معهد العوم السياسية و الإعلام، السنة الجامعية 1982/1983
7-Yves Agnes- Jean Michel Croissendeau :op.,cite p35
8- Cristain Sauvage *: journaliste, une passion, des métiers*, c.f.p.g 1988, p26
9- Maurice Mouillard et Jean Francois Tetu : *le gournal quotidien*, presse universitaire de Lyon, 1983, p187
10- G.Imbert : *stratégies discursives et non-dit dans le discours de presse* cité par Maurice Mouillard, op cité , p187
11- Maurice Mouillards, op cité, p154
12- Cristain Sauvage, op cité, p26
13- Interview à médias, le 2 mars 1984
14- Interview accordée à « presse actualité », août 1978

المـقال الصحفـي

<< الصحافة مدفعية الفكر >>

Riva Rol

تعج المصطلحات في اللغات الأجنبية التي تدل على المقال، نذكر منها: (article، وanalyse) و(information expliquée) والتي تكشف في تنوعها تباين النظرة إلى هذا النوع الصحفي الذي يتعدى الأخبار وتقديم الحدث ليتضمن قدرا من التحليل والدراسة والتفكير في الأحداث والوقائع.

تعريف المقال:

❖ (إن المقال هو النوع الصحفي الأكثر تداولا وانتشارا في الصحافة، والأكثر تشددا في الصياغة. يقوم المقال بتسليط الأضواء على موضوع معين. فالصحافي، كاتب المقال، يقدم الوقائع ويدرجها في سياقها الجغرافي والسياسي والاقتصادي. ويعرض خلاصته بتحفيز القارئ على التفكير والتأمل في الموضوع) [1]

❖ (يقوم المقال بدراسة الأحداث الآنية، أو واقعة أو وضع من أجل تسهيل فهمه. إن الصحافي، كاتب المقال، يقدم الأحداث ويحللها، ويضعها في سياقها، ويدرجها في علاقة بأحداث ماضية، ويستخرج منها قسمات ثابتة، وتارة متناقضة للوصول إلى نتائج وليست حلول. يقوم الصحافي في المقال بطرح الأسئلة مستدعيا الماضي والحاضر والمستقبل، ويحاول أن ينير معطيات حدث حاثا القارئ على التفكير. [2]

❖ (يقوم المقال بإعطاء أفق للأحداث. ويشرح ما جرى بفضل تحديد سياقه. ويستخدم هذا النوع الصحفي غالبا لتحليل الأحداث السياسية الدولية (...) ويقتضي هذا النوع الصحفي من الصحافي اتخاذ موقف والاختيار الإرادي لتأويل الأحداث وفق اتجاه متحيز. يتضمن المقال، غالبا، جزأين أساسيين: الجزء الأول يتمثل في دحض التأويل المعارض. أما الجزء الثاني فيتضمن الحجج التي تسمح بتعزيز الموقف الذي يدافع عنه الصحافي) [3]

❖ (مادة صحفية فكرية، يمضيها أحد الصحافيين ذو المكانة في الجريدة، وتنشر في مكان هام من صفحاتها. بلهجة تقترب من لهجة الافتتاحية. لكن تختلف عنها في كونها لا تعبر بالضرورة عن الموقف الجماعي للجريدة التي تنشرها). [4]

❖ (إن المقال الصحفي هو الأداة الصحفية التي تعبر ، بشكل مباشر، عن سياسة الصحيفة، وعن أراء بعض كتابها في الأحداث اليومية الجارية والقضايا التي تشغل الرأي العام المحلي أو الدولي. ويقوم المقال الصحفي بهذه الوظيفة من خلال شرح و تفسير الأحداث الجارية و التعليق عليها بما يكشف عن أبعادها ودلالاتها المختلفة). [5]

❖ (إن المقال الصحفي هو نوع فكري تشكل الأحداث والظواهر والتطورات الراهنة موضوعه، يتميز بمعالجة هذه الموضوعات العامة والآنية بقدر كبير من الشمولية والعمق مستخدما أسلوب العرض والتحليل والتقديم والاستنتاج، هادفا إلى تقديم رؤية نظرية إيديولوجية معمقة لهذه الأحداث والظواهر والتطورات وربطها ببعضها البعض، و بمجمل التطور المادي والفكري الحاصل في المجتمع) [6]

❖ (إن المقال هو عادة مجرد عرض أو تحليل لفكرة معينة يتلقفها الكاتب من بيئته فيعبر عنها بأسلوب سهل قريب إلى الأذهان، دون حاجة إلى تمحيص وعمق. بل يوشك المقال أن يكون حديثا عاديا سلسا مختصرا بين الكاتب وقرائه، يشترط فيه الابتكار والتجديد والسرعة) [7]

❖ (المقال الصحفي "Leader" وهو مقال فكري يمضيه أحد الصحافيين المتمرسين، و يحتل مكانة مرموقة في الصحيفة. تقترب لهجته من لهجة الافتتاحية، لكن خلافا لهذا الأخير، لا تعبر بالضرورة عن الموقف الجماعي الصادر عن الصحيفة التي تنشره). [8]

يشير التعريف ما قبل الأخير إلى بعض القوا سم المشتركة بين المقال الصحفي و ذاك النوع الصحفي الذي يطلق عليه في الصحف الفرنسية تسمية (Chronique) تتطلب كتابة هذا النوع قدرا كبيرا من المعرفة والأصالة ونوعا من الخفة. تقترح على القارئ ما يتطلب التفكير فيه إزاء الأحداث، وفي جوانبها التي تمس بشكل خاص الحياة العادية أو الأخلاق الاجتماعية: فهذا النوع الصحفي هو بعبارة أخرى، حديث نموذجي مع متحدث فذ. لقد ظل هذا النوع لفترة طويلة إحدى خصوصيات الصحافة الفرنسية. [9]

لعل هذه التعاريف تقربنا أكثر من حصر مميزات المقال الصحفي، التي يمكن تحديدها فيما يلي:

1- إن المقال الصحفي هو مادة صحفية دسمة تستخدم لإقناع الجمهور (القراء) بموقف معين أو بتصور نظري إزاء المشاكل والوقائع التي من المحتمل أن يكون القارئ قد اطلع عليها من خلال أنواع صحفية أخرى.

2- إن المقال الصحفي شديد الارتباط بسياسة الوسيلة الإعلامية، أو لنقل أنه هو المجسد لهذه السياسة. فالصحف لا تستخدم المقالات الصحفية لتعريف قرائها بالأحداث، بل تسعى للتنظير لها، أي للخروج بها من حالتها الملموسة و الواقعية إلى إطار أوسع: الإطار النظري و التجريدي.

3- يسعى المقال الصحفي إلى تقديم الفهم العميق للأحداث والوقائع. يقيمها و يعللها و يفسرها للقارئ. يزوده بمعطيات نظرية تمكنه من فهم نفس الظواهر المتكررة أو المتشابهة في السياق المعروف. بالطبع، إن هذه المعطيات تستند إلى أسس إيديولوجية و فكرية تبلورها الصحافة في مقالاتها.

بنية المقال الصحفي:

يتشكل المقال الصحفي من:

- **المقدمة:** تستهدف تعريف القارئ بالقضية المعالجة، و تحثه على متابعة القراءة، و تدفعه للاهتمام بها.

- **الجسم:** يتشكل الجسم عادة من عدة عناصر متداخلة و متفاعلة تكمن في: **العرض، التفسير، المجادلة و الإقناع:**

حتى نفهم كل هذه العناصر، يمكن القول أن عملية الإقناع تفترض التأثير على القارئ ليغير أفكاره، و سلوكه، و مواقفه، و استيعابه أو إدراكه أو ليرسخ فهمه للأحداث بشكل أفضل. إن التغيير المنشود لا يتم بشكل آلي ووحيد، بل يتجسد بمختلف الطرائق، كالاستعانة بالاستمالات العاطفية والمنطقية و التي تصل إلى قيم القارئ، و رغباته الدفينة، و ميولا ته التي تكون عادة تتويجا للعرض و التفسير، و التحليل، و المجادلة.

إن المجادلة كعملية فكرية تستند إلى عنصرين أساسين و هما:

1- الطعن في الأطروحات و المبادئ المعارضة: يتحقق هذا الطعن بطرق مختلفة، منها تقديم الأسئلة المعارضة التي تفندها، أو التأكيد بأن مثل هذه الأطروحات تؤدي إلى نتائج سلبية أو وخيمة.و توضح بأنها تتناقض مع الحقائق الراسخة و المقبولة من طرف الجميع.

2 - الطعن في طريقة المحاجة من خلال لفت الانتباه إلى عدم صحة الأسئلة المختارة، و توضيح موطن عدم الانسجام و التناغم بين النتائج التي توصل إليها أصحاب الرأي المعارض. و التأكيد على أن الأدلة المختارة لا تؤدي إلى الأهداف المتوخاة أو القناعات المرغوبة.

- **الخاتمة:** يعرض فيها كاتب المقال النتائج التي توصل إليها أو الخلاصة التي استنتجها من عرضه وتحليله و جداله. وتتمتع الخاتمة بأهمية كبرى لأنها تعبر، أكثر، عن الموقف الذي يدعو إليه المقال، أو القناعة التي يريد تثبيتها في ذهن القارئ.

إذا كانت هناك من ضرورة للتأكيد على بناء المقال الصحفي، فإنها نابعة مما يؤكده منظرو وسائل الإعلام و الاتصال، و المتعلق بالصعوبة الكبرى في تغيير المواقف و القناعات المكتسبة، حيث يؤكدون على أنه من الممكن جدا أن نخلق قناعات جديدة، لكن من الصعوبة بمكان تبديل تلك المكتسبة. لذا ينصح بالالتزام بالتوصيات التالية:

أ- لا يمكن الانطلاق مما يفترض أنه النتيجة النهائية التي يتوصل إليها المقال الصحفي. فإذا اخترقت هذه القاعدة يكون المقال الصحفي عبارة عن حلقة مفرغة تدور حول نفسها.

يجب التمهيد للنتيجة النهائية بالعرض، و التحليل، و التفسير. فذات النتيجة تكون، إما خلاصة للتحليل الاستنباطي "Deduction" الذي يؤكد على أن العلل كامنة في المقدمات، أو نتيجة للتحليل الاستقرائي "Induction" والذي يكشف على أنه يمكن الانتقال من حقائق مفردة إلى قضايا عامة، كالإقرار مثلا بالحقيقة التي تنص على ما يلي: " إن السمة المتوفرة في بعض عناصر الفئة تؤدي إلى الاستنتاج بأنها متوفرة في كل عناصر هذه الفئة".

ب- الاعتناء بالوقائع مع عدم الإكثار منها حتى لا يزدحم المقال بها وتكون غاية مستهدفة لذاتها. لذا، لابد من اختيارها وانتقائها انطلاقا من اعتبارين: قوتها التأثيرية والإقناعية، و مفعولها في تعزيز المواقف وتدعيمها، ومدى صلتها بتجارب القارئ و حقله الدلالي. إن اختيار الحقائق والوقائع يجب أن ينطلق من عتبة وعي أو فهم أو إدراك الجمهور حتى يستطيع مسايرة تطور التحليل. كما أن الوقائع والحقائق تقلل من الصفة التجريدية التي يتميز بها المقال الصحفي و تغذيه بما هو ملموس وعيني حتى يتمكن الجمهور من الفهم أكثر.

ج- يتطلب المقال الصحفي من كاتبه معرفة القراء خير من معرفة حتى يتمكن من تقديم الأسئلة والشواهد القريبة منهم، أو تلك التي تتطابق مع تصورهم الأولى و تجاربهم الوجدانية والعاطفية.

هـ- نظرا لأهمية المقال و مكانته في الصحيفة، فإنه يتطلب الإعداد المسبق له من خلال تصور أو مخطط للجدل و للمحجاجة ترتب فيه الأفكار والحقائق و الشواهد و الأدلة، فكتابة المقال لا تترك لارتجال القلم، و ليست وليدة الصدفة التي يخلقها الظرف، بل على كاتبه الإجابة على الأسئلة التالية التي تساعده على ضبط المخطط المذكور.

- هل يمكن مناقشة و مجادلة الأفكار المطروحة و الخاصة بالموضوع المعالج؟
- ما هي أفضل الحجج المؤيدة لموقفي أو لأطروحتي؟
- ما هي الحجج المخالفة لها؟
- ما هي المشاعر التي تسعى إلى توظيفها خدمة لأغراض محددة؟
- ما هي المعلومات التي يجب ذكرها؟
- ما هي المعلومات التي يجب تكرارها لأسباب عقلية أو نفسية؟ فالتكرار ضروري لترسيخ أحداث و أفكار وسلوك معين في ذهن القارئ، لكن الكتابة باستمرار عن الموضوع ذاته ، بنفس الكلمات و بالمعلومات ذاتها تحدث أثرا عكسيا، إذ أنها توصل الجمهور إلى حالة إشباع. لذا (يجب أن يكون لفظك لمعناك طبقا، وللحالة وفقا) على حد تعبير البلاغيين العرب.

يعتبر المقال الصحفي قوام الصحافة العربية الأساسي، تطور بتطور مكانة هذه الأخيرة في المجتمع، حيث كان يستند في المرحلة الأولى إلى السجع والمحسنات البديعية، وإلى التهويل والمبالغة في تصوير الواقع والأحداث الموصوفة. ومن رواد هذه المرحلة: رفعت الطهطاوي، وعبد الله السعود وأحمد فارس الشدياق، وغيرهم. وقد وصل المقال الصحافي في الصحافة العربية إلى اكتساب الخصائص اللغوية الأساسية على يد الشيخ يوسف في جريدة "المؤيد" ولطفي السيد في "الجريدة" ومحمد حسنين هيكل والعقاد وطه حسين. ونخبة من كتاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في صحيفة " البصائر".

أنواع المقالات الصحفية:

تصنف المقالات الصحفية تصنيفا كلاسيكيا، وهو التصنيف الذي يستند إلى الموضوع كالمقال السياسي و الاقتصادي والثقافي...

وتصنف حسب المضمون إلى:

المقال التحليلي: وهو النوع الذي يقوم بالتحليل العميق والمدروس للأحداث مستعينا بالتفسير التاريخي لها، أي أنه يحلل الأحداث بالرجوع إلى أصولها و إلى أشكال تطوراتها. ويصدر يوميا في الصحف. ويتطلب هذا الصنف من المقال من الصحافي جهدا كبيرا لأنه يحتاج إلى الكثير من التحليل.

المقال التقييمي: في ظل انحصار صحافة الرأي لا تتبارى الجرائد الإخبارية و تتنافس على الأخبار فقط، بل تتنافس أيضا بالمقالات التقيمية التي تسعى من خلالها إلى رصد مستوى تطور الأحداث والوقائع والظواهر لتبين الوضع الذي آلت إليه، وتحاول أن ستجلى آفاق تطور هذه القضية أو تلك عبر ما أصبح يطلق عليه حاليا: "بالمستقبليات، أي قراءة مستقبل الوضع على ضوء مجمل الاحتمالات الممكنة التي ترسم ملامحه. و يُمَكن هذا النوع من المقالات القارئ من الحصول على العديد من المعلومات و المعطيات المتعلقة بالوضع المذكور، والمشاركة في التفكير في مستقبله. إن كل قراءة مستقبلية لوضع معين نابعة، فعلا، من فهم تصور الجريدة لهذا الوضع، لكن الآراء في هذا الصنف من المقالات تبدو مكسوة بالمعطيات و المعلومات، و معززة بالتوقع الذي يعطي لها المصداقية والتمايز.

المراجع:

1 - Cité **http://presse.cyberscol.qc.ca/ijp/observer/** genres/genres.html#rapporter, page consultée le 19/02/2006

2 - cité in **http://www2.csduray.qc.ca/projetsrecit/eileen/** journalisme/lexical.htm#htm#genre1#genre1,page consultée le 19/02/2006

3 - Anne Dhoquois: *L'écriture journalistique*, in http://www.cndp.fr/revueTDC/809-41540.htm, consulte le 20/02/2006

4 - Bernard Voyenne : Glossaire de presse. C.F.P.J.1967.p 57.

5 - Weldrop A Gayle : Editor and Editorial Writer

نقلا عن د/فاروق أبوزيد في كتابة؛ فن الكتابة الصحفية: ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1985 ص 179.

6- أديب خضور محاضرات حول المقال الصحفي أليفت على طيلة الإعلام في الموسم الجامعي 1983/1982 بجامعة الجزائر، غير مطبوعة

7 - أديب مروة: الصحافة العربية، ص37

8 - CFPJ : *lexique des termes de presse*, Paris 1991, P 77.

9 - Idem, P31



العمــود الصحفي:

"الهزل يفتك بالبديهيات لأنه ذو طابع مناهض للامتثال"

Robert Escarpit

يجد منظرو الأنواع الصحفية صعوبة جمة في المسك بهذا النوع الصحفي، لأنه يكتسب مقوماته من تجربة الصحافي الشخصية، ومن أسلوبه المتميز. إنها المقومات التي تضفي على العمود الصحفي بعض اللمسات التي يصعب احتواءها على الصعيد النظري.

إذا كانت الصحافة الأنجلوسكسونية تستخدم هذا المصطلح الدال على هذا النوع Column، فإن اللغة الفرنسية تستخدم مصطلح Billet الذي يغطي الواقع الذي يعبر عنه العمود الصحفي. ويرى المختصون بأن الممارسة الصحفية الفرانكفونية لا تحتفظ بهذا المسمى. فالصحافة الفرانكفونية التي تصدر في كندا، تصنف كل الكتابات الصحفية الفكرية، باستثناء المقال الافتتاحي، في خانة La chronique [1]

تعريف العمود الصحفي:

- (العمود الصحفي هو تعليق حر يتسم بطابعه الأخلاقي وبلهجته الساخرة) [2]

- (العمود الصحفي هو مقال رأي قصير، يصدر في الغالب داخل إطار وبنمط متميز. يقدم، بشكل خفيف وساخر وحتى ماكر، حدثا ، فكرةً جديدةً، موضوعا ذا منفعة عامة. يعرض علينا كاتب العمود انطباعاته وردات فعله حيال الأحداث أو تجاربه الشخصية) [3]

❖ (العمود الصحفي هو مقال المزاح والمزاج. إنه نوع نقدي وخليط من الخفة والجد. يسأل ويقدم مادة التفكير. يتميز بنهايته غير المنتظرة (المازحة، الترقة، أو المتضمنة لمفارقة). يكتب بعناية فائقة وينشر في ذات الموقع في الصحيفة) (4)

❖ (مقال قصير ذو لهجة خفيفة و ساخرة.. و هو تعليق مازح عن الأحداث، في بعض الصحف الشعبية يحتل مكانا معينا و قارا و يوميا. و يعني أيضا كل مقال صغير الحجم يكتب بعناية بالغة).(5)

❖ (يوجد صنفان من الأعمدة الصحفية "Billet" ... النوع الأول هو عبارة عن رؤية الصحافي الشخصية الجدالية الساخرة. و النوع الثاني هو ما يعادل المقال الافتتاحي القصير، أو التعليق الذي يوضع في إطار بجانب مادة صحفية في الصفحات الداخلية)(6)

❖ (إن العمود الصحفي هو رؤية خاصة جدا لحدث أو موضوع أو قضية يقدمها بشكل دائم صحافي معين، يتمتع بقدر كبير من الشهرة و الاحترام و الكفاءة الصحفية... يتسم بطابع هذا الصحافي الذي يكتسبه سواء فيما يتعلق بموضوعه أو بأسلوبه أو طريقة تقديمه. و هو نوع صحفي أقرب إلى الطابع الفكري. يتوجه إلى ذهن القارئ)(7)

❖ (العمود الصحفي هو مساحة محدودة من الصحيفة لا تزيد عن نهر أو عمود تضعه الصحيفة تحت تصرف أحد كبار الكتاب بها يعبر من خلاله عما يراه من أراء و أفكار و خواطر أو انطباعات وفيما يراه من قضايا و موضوعات ومشاكل... بالأسلوب الذي يرضيه. وغالبا ما يحتل العمود الصحفي مكانا ثابتا لا يتغير على إحدى صفحات الجريدة... وينشر تحت عنوان ثابت ويظهر في موعد ثابت قد يكون كل يوم.. أو كل أسبوع)(8)

❖ (العمود هو معالجة للإعلام في أسطر قليلة من زاوية أصيلة ومنفردة، ومرحة إذا كان ذلك ممكنا).[9]

❖ (العمود "Le Billet" نص قصير، ذو لهجة خفيفة أو مازحة، أخترعه "تومي تريمل" "Temothee Trimm" في ظل حكم نابليون لاستبدال المقالات "Les Chroniques" في الصحافة الشعبية. وهو تعليق مرح على الأحداث ينشر يوميا في نفس المكان)[10]

تجدر الإشارة إلى أن الصحف الفرنسية تميز بين العمود الصحفي"le billet" وما يطلق عليه "Echo" الذي يقصد به خبر قصير ذو طابع طريف، وبشكل جذاب و مرح، يحرر بطريقة مثيرة[11]. و تميز أيضا بينه و بين النوع الذي يطلق عليه تسمية "Le Pamplhet"، و هو الكتابة الساخرة، القصيرة والعنيفة، الموجهة ضد شخص أو مؤسسة أو مجموعة.

ويختلف العمود الصحفي، أيضا، عن "Le filet" والذي هو عبارة عن خبر مختصر، بدون أي تعليق، لكن أهميته تبرر نشره في الصحيفة بعنوان وجسم. ويركز Le filet ، أكثر، على سؤالين لماذا؟ و كيف؟ ولا يأخذ أكثر من 25 سطرا / عمود.

يعد العمود الصحفي من أكثر الأنواع الصحفية التي حظيت بنصيب وافر من الخلط والغموض. فالتعاريف المذكورة تقدمه تارة كتعليق صحفي وطورا كمقال افتتاحي. إنه الخلط ذاته نجده لدى بعض المهتمين بالكتابة الصحفية في الوطن العربي[12]

يكشف هذا الخلط، في اعتقادنا، عن حقيقتين أساسيتين وهما:

- درجة انفتاح المجتمع على النقد و على حرية الرأي والتعبير، فبدونهما يصعب تجسيد خصوصية العمود الصحفي.
- تطور الكتابة الصحفية في المجتمع و إبراز تمايزها.

الفرق بين العمود الصحفي و بقية الأنواع الصحفية:

تتمثل القواسم المشتركة بين العمود الصحفي والمقال الافتتاحي في الصدور المنتظم في الصحيفة، والنشر الثابت في ركن معين في الجريدة، واحتلال موقع ثابت بها، و امتلاك عنوان قار و ثابت. كل هذه العوامل تحدث نوعا من التعود لدى القارئ.

لا يستطيع حجم نص كلا النوعين الصحفيين تشخيص الفروق بينهما. فهناك جملة من الخصائص تميزهما.

أ- يعبر المقال الافتتاحي عن قضية كبرى وشاملة وعامة، أي عن شريحة واسعة من الواقع، بينما ينظر العمود الصحفي إلى القضايا والوقائع بما فيها الهامة، من خلال إحدى تفاصيلها أو من زاوية واحدة. بمعنى أنه يتفاعل مع شذرات من الحياة الاجتماعية.

ب- يطرح المقال الافتتاحي عدة أفكار لخدمة موقف معين. بينما يكتفي العمود بفكرة واحدة.

ج- لكاتب العمود الصحفي مجال من الحرية أكثر في الكتابة، و مرونة أكبر في التعبير عنها بشكل جوهري.

د- يمضي المقال الافتتاحي باسم الجريدة أو من ينوب عن هيئة تحريرها و يلتزم بمواقفها و أرائها. بينما يظل العمود الصحفي مرتبطا بإمضاء صاحبه، ويلتصق بأسلوب كاتبه.

هـــ- إن الاختلاف بين هذين النوعين الذي يطبع بقوة كليهما يكمن أيضا في أسلوب الكتابة الذي سنتحدث عنه في أنه، بكل تفصيل.

خصائص العمود الصحفي:

1- يعبر العمود الصحفي عن فكرة واحدة أو جانبا واحدا من حدث أو واقعة أو قضية.

2- يقوم العمود الصحفي على المزاح أو النقد اللاذع، نقد سلوك الهياكل الرسمية بشكل ذكي هادئ بعيد عن التهجم و الاستهتار بالأشخاص والمؤسسات مثلما هو الأمر بالنسبة للوائح السياسية الصادرة عن الجمعيات السياسية.

3- يتغذى العمود الصحفي من الأمثلة و الحكمة الشعبية و القول المأثور، لتثمين سلوك و مواقف معينة، و الثناء عليها أو معارضتها، أو للفت النظر إلى أوضاع شاذة في حياة المجتمع.

4- يتميز العمود الصحفي بخاتمة غير متوقعة.

5- يعرض العمود الصحفي وجهة نظر غير مألوفة، وحتى مفاجئة.

6- يلتزم صاحبه بالدقة والصرامة، فكل ما يرد في العمود الصحفي يجب أن يكون دقيقا.

7- يتجنب العمود الغموض واللبس الذي يدفع إلى التأويل والاتهام بالنيل من شخص أو مجموعة من الأشخاص.

أسلوب العمود الصحفي:

يخضع أسلوب العمود الصحفي لطبيعة كاتبه (قدراته على الكتابة، وثقافته، وتكوينه، وشخصيته وتجربته). لذا نجانب الحقيقة إذا قلنا أن للعمود الصحفي أسلوب واحد و وحيد. فبالممارسة وتراكماتها انفرد العمود الصحفي بالسخرية اللاذعة، وبالطرافة التي تعتمد على المفارقة والتناقضات في المواقف والتصريحات، وبالتلاعب بالألفاظ و التورية تميز العمود الصحفي. إن كتابة العمود الصحفي تُطَعم ببعض الكلمات أو العبارات باللغة العامية أو الشعبية أو الدارجة المستلهمة من المورث الثقافي و الفكري الشعبي كالحكايات، والأمثلة والأقوال المأثورة. إن هذا التطعيم يفرضه هدف العمود الصحفي الذي يريد الوصول إلى دواخل الجمهور من خلال الخصوصية الثقافية فيستعين باللغة المحكية التي تتميز بمرونتها الشديدة، و سرعة التصاقها بأمزجة و عواطف الناس، وانفعالاتهم المتنوعة.

لذا، يعتقد أن النقد المازح أو اللاذع الذي تتخلله بعض التعابير (المحلية) والمشحون بالقدرة الفائقة على الإيجاز و التعبير، المكثف و المركز، عن المواقف و الآراء والقضايا، يعطي زخما أكبر للعمود الصحفي، و يشد القراء أكثر.

يفسر إقبال القراء المتزايد على العمود الصحفي بخصوصيته و أسلوبه. فهم يبحثون عن ما هو خاص و استثنائي في الكتابة بعيدا عن التعابير المستهلكة واللغة المجترة أو الرسمية.

نظرا لمكانة هذا النوع الصحفي لدى القراء أصبحت بعض الصحف تنشر ستة أعمدة صحفية يوميا مثل جريدة (الأخبار المصرية)، بينما تنشر بعض الصحف عمودين في كل عدد، مثل جريدة: "الشعب" الجزائرية، وتكتفي جل الصحف بنشر عمود واحد فقط.

يمكن أن نؤكد مرة أخرى، أن القليل من الصحافيين يتحكمون في كتابة العمود الصحفي ويجيدونها لأن الكتابة بشكل مستمر ويومي، وبطريقة أصيلة ومبتكرة، هي عمل مضني و شاق غير متيسر وليس في متناول كل الصحافيين. يحدث في بعض المرات أن يتعرض هذا العطاء اليومي و المنتظم إلى بعض الوهن و الضعف، كأن ينفلت من معيار الاختصار والإيجاز أو يفقد الفكرة الأساسية، أو يضيع منه الأسلوب الخاص والمتميز، ففي هذه الحالة يتحول العمود إلى نص محشو "بالكلام" ذاته الذي نجده في المقال أو التعليق الصحفي، لا يملك ما يميزه كعمود صحفي سوى شكله الخارجي و إخراجه في الصفحة: عنوان ثابت و موقع قار في الجريدة.

مصادر العمود الصحفي:

قد يتساءل بعض الصحافيين المبتدئين، و هم يرون تدفق عطاء كتاب الأعمدة الصحفية، عن المنبع الذي ينهل منه الصحافي الفكرة الأصيلة والمتنوعة، و الأسلوب المصقول و المتميز؟

الإجابة تكمن في المصادر المتنوعة التي يعتمد عليها الصحافي، وهي:

1- خبرة الصحافي و تجربته في الحياة وسعة ثقافته.

2- المتابعة النشيطة واليومية و النوعية لما تقدمه وسائل الإعلام المختلفة.

3-الإطلاع على بريد القراء واعترافات وشهادات جمهور وسائل الإعلام، بشكل مستمر ومنتظم، وهذا لمعرفة أصداء المجتمع ومؤسساته. وللإطلاع أيضا على هواجس الناس و انشغالاتهم.

4- الالتصاق بالجمهور لمعرفة أشكال تفاعله مع الأحداث و الوقائع لمعرفة تقلبات مزاجه و أساليبه المبتكرة المشخصة و الرمزية في التعبير عن ظروفه وعن أوضاعه الحياتية.

5- متابعة الحركة الثقافية والأدبية في البلد والعالم، والإطلاع المتجدد على الحكم والأمثلة والأقوال المأثورة ، والسير الذاتية للكبار الشخصيات ورجال الفكر والأدب.

هل يمكن تصنيف أنواع الأعمدة الصحفية؟

إن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة لأن العمود الصحفي لا يستند إلى الموضوع، مثل بعض الأنواع الصحفية: المقال، التحقيق... بل يرتكز أساسا على الفكرة، حتى و إن كانت مستقاة من حادثة ملموسة أو واقعة معينة يقف عليها الصحافي أو الجمهور.

إذا كانت هناك ضرورة علمية أو تدريسية لتصنيف العمود الصحفي فيمكن الاستعانة بالقالب الذي تصب فيه الخصائص المذكورة. و نميل على الاعتقاد بوجود القوالب الثلاث التالية:

القالب الأول: يحرر في شكل حوار ذاتي (Monologue) حوار فعلي أو مفتعل، مع طرف أخر (Dialogue)

القالب الثاني: يقوم على قالب قصصي لنقد سلوك أو وضع معين، بالاستناد لوقائع أو حوادث فعلية أو رمزية.

القالب الثالث: يرتكز على نوع من التداعي لفكرة أو خاطرة أو موقف معين.

يعتقد بعض المؤلفين المختصين أن العمود الصحفي ينقسم إلى مقدمة، وجسم، وخاتمة، شأنه في ذلك شأن الخبر الصحفي. نرى أن مثل هذا الاعتقاد يتضمن بعض التعسف، نظرا لحجم العمود ولتماسك نصه و ارتباطاته الداخلية المتينة التي تظهره كأنه قطعة واحدة تأبى الفصل والتقطيع، و إن فصلت تداعى بنياها .

بعد استعراض خصائص العمود الصحفي لم يبق سوى تقديم نماذج من الرؤى التي تضمنتها اعترافات بعض كتاب الأعمدة الصحفية:

يقول رئيس تحرير جريدة: "Temoignage Chretien" السيد "كلود قول" "Claude Gault". عندما أكتب عمودا صحفيا أكون أكثر قربا من البوح بسر. فلهجة العمود الصحفي حية و حارة، والمزاح و التهكم يملكان وظيفة علاجية وطبية. إن العمود الصحفي هو إحدى التفاصيل المأخوذة من الأحداث اليومية التي تعطي الفرحة لمجرد التلاعب بالكلمات أو تقدم مادة للتفكير والتسلية و الاقتراحات.[13]

يقول المرحوم "مصطفى أمين" صاحب عمود "فكرة":

(للعمود الصحفي خصائص، أرى أنه يجب أن يكون فيه شيء جديد... وأن يكون مختلف... وقصيرا... وعندما أكتب العمود... لا أكتب ما يفضله القارئ وإنما أكتب ما أفضله أنا...أكتب ما أتنفسه... تنفسا

واحدا... يمكن أ، يكون صرخة... دمعة...ضحكة...همسة. و المقال قد يعبر عن أكثر من شخص... يعبر عن رأي الجريدة أو رأي حزب أو رأي فئة من الناس)[14]

ويقول "أنيس منصور"صاحب عمود "مواقف":

(يختلف العمد اليومي عن أي كتابات فهو رأي معروض يوميا في مساحة صغيرة، لذلك يجب أن يكون سريعا مركزا... ويختلف في الأسلوب، أي في الطريقة التي يعبر بها، و الإيقاع، و الصيغة التي يوصل بها المعنى إلى وجدان القارئ (...) وكثيرا ما يلجأ الكاتب إلى تجربته الخاصة، أي أن يريد أن يؤكد للقارئ أنه صاحب تجربة، وبذلك يكون في منتهى الصدق مع نفسه ومع غيره)[15]

يقول "صالح متتصر" صاحب عمود "مجرد رأي":

(إن كتابة العمود تعني أن الكاتب وصل إلى درجة من الرصيد والمخزون الفكري والعلمي والاجتماعي والثقافي والسياسي والأسلوبي الذي يمكنه من مصافحة عقل القارئ كل يوم... وأعتقد أن العمود يتميز بميزتين الأولى: رشاقة الأسلوب، و الثانية: وحدة الفكر بمعنى ألا تصطدم كثرة الأفكار في العمود الصحفي و أن يتناولها الكاتب بأسلوب يرضي أذواق القراء المختلفين في ثقافاتهم و هواياتهم و أذواقهم(...) كاتب العمود يبدي رأيه الشخصي(...) بتطور الزمن و تعقيدات الحياة ظهر فن العمود، الذي يجب أن يكون شديد الاختصار، و شديد التركيز، وهذا يتطلب معاناة. و أهم خصائص العمود أن يكون هناك "مودة" بين كاتب العمود وبين القارئ لأن كاتب العمود إنسان

يدخل للقارئ كل يوم من "ثقب الباب" فينبغي أن يكون هناك رابط روحي يربط بينهما...)[16]

لعل القارئ الكريم لاحظ من خلال اعترافات بعض كتاب العمود المذكورة أعلاه ذاك التباين في الرؤية للعمود الصحفي. فالبعض يؤكد بأن كاتب العمود يكتب ما يشعر به هو شخصيا، بينما يرى البعض الأخر بأن كاتب العمود الصحفي يكتب ما يشعر به القراء. ألا يدل هذا التباين على كتابة العمود الصحفي تتوقف على اللمسات الشخصية؟ أم أنه يعبر عن رغبة الكتاب في تجاوز ما هو سائد في الكتابة الصحفية؟

المــراجع:

1- Cité in http://presse.cyberscol.qc.ca/ijp/observer/genres /genres.html#rapporter page Consultée le 19/02/2006

2 - Antoine Mercier, *L'écriture journalistique*, In http://www.cndp. fr/revueTDC/809-41540.htm, consulte le 20/02/2006

3- cite in http://www2.csduray.qc.ca/projetsrecit/eileen /journalisme/lexical.htm#htm#genre1#genre1 Consulte le 20/02/2006

4- *Les genres journalistiques* in http ://www.ac- ennes.fr/culture/ clemi/concacad/gubihosp.htm, consulte le 19/02/2006

5 - Bernard Yoyenne ; *Glossaire de presse*, c.f.p.j, 1967 p14

6 - Yves Agnes, Jean Michel Croissandeau : *Lire le journal,* ed f.p.lobies 1979

7- أديب خضور: أدبيات الصحافة، مرجع سابق، ص36

8- Brone Sean Sean : *Leader wrinting*, p 134-136

نقلا عن فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية

9-Cristain Sauvage, *journaliste, une passion, des métiers*, c.f.p.j, p27

10- c.f.p.j : *lexique des termes de presse,* op cité

11- Idem

12- أنظر على سبيل المثال: الدراسات التي نشرها محمد رشاد الحمزاوي.

13- Claude Gault *: poings d'exclamation ; le bloc notes de monsieur t.c* ; ed t.c, paris 1975

14- استطلاع الرأي لكتاب الأعمدة نشرت صحيفة "أخبار اليوم" الأسبوعية القاهرية الصادرة في 1981/11/21

15- نفس المرجع

16- نفس المرجع

الربورتاج الصحفي LE REPORTAGE

(أن تتعلم السيطرة على نسيج اللغة ودفقها يعني أن تتعلم كيف تفكر.)

مايو فارغاس يوسا – روائي بيروفي

إن الحديث عن أنواع الربورتاج الصحفي يستدعي التوضيح الضروري. لقد دأب الصحافيون في الإذاعة والتلفزيون على استخدام مصطلح الربورتاج لتعيين كل منتج صحفي يستدعي الانتقال بالفريق التقني إلى مكان الحدث، مهما كانت طبيعته وأهميته. وهكذا يدرج الخبر والتقرير ضمن هذا المصطلح. ولا تساعد التعاريف المقدمة " للروبورتاج " في تبديد اللبس الذي يحاط به، إذ تشبهه ببعض الأنواع الصحفية الأخرى، و هذا ما سنوضحه في آنه

ما هو الربورتاج الصحفي؟

إن كلمة الربورتاج مشتقة من الفعل الإنجليزي" ربورت " و التي اشتق منها اسم «Reporter » أي المخبر الصحفي. وتعني «نقل الشيء من مكان إلى آخر» أو بالأحرى «إرجاع الشيء إلى مكانه أو أصله »

كان الإنجليز من الأوائل الذين اقحموا هذه الكلمة في العمل الصحفي، و قصدوا بها وصف دورة من دورات البرلمان أو الفيضانات والحرائق والحروب[1]

لقد تم نقل هذه الكلمة إلى اللغة العربية باسم « بيان وصفي» أو «النقل الصحفي » لكن التوجه الذي هيمن، ورُسخ في الممارسة أكثر هو

«الربورتاج»؛ أي الاحتفاظ بنفس التسمية الأجنبية، بيد أن هناك من ينفر من هذه التسمية لكونها دخيلة على اللغة العربية، واستبدلها بمصطلح « التحقيق »

يطرح هذا المصطلح الكثير من اللبس و الغموض بين نوعيين صحفيين مختلفين ، و هما :

" الربورتاج « "Le reportage» و " التحقيق الصحفي " (L'enquête journalistique)

بعض التعاريـــف:

❖ (الربورتاج الصحفي هو مادة صحفية Article في الجريدة تكتب بناءا على تحقيق قام به مخبر صحفي .)[2]

❖ (الربورتاج هو النوع الصحفي الذي يعتبر أكثر نبلا، لا يكتفي فيه الصحافي بتقديم تقرير عن الواقعة، لكنه يترك شخصيته و حساسيته تتدخلان في اختيار الأحداث، و السرد و المعالجة.)[3]

❖ (الربورتاج هو جعل الآخرين يعايشون واقعة أو وصف حالة يكون الأسلوب فيها مهما بنفس درجة أهمية المضمون)[4]

❖ (الربورتاج هو مجموعة من مواد صحيفة " Articles " إخبارية، ينتقي الصحفي أو المخبر عناصرها من المكان الذي جرت فيه الحادثة، سواء أثناء وقوعها، أو من أفواه من شاهدوها مباشرة. ويكتفي الصحافي فيها " بالنقل الموضوعي " بشكل رائع وفاتن لما سمعه وشهده حارما نفسه من إصدار تعليق شخصي)[5]

❖ (إن الربورتاج الصحفي هو تصوير حي للحدث و إقامة الدليل على ذلك. فالشاهد العادي يتابع الحدث تبعا لأهوائه الشخصية، و كذلك الكاتب. أما المخبر الصحفي فهو يدري أنه يكتب لجمهور خاص. فلمصلحة هذا الجمهور لا يكتفي بتسجيل ما يعرفه شخصيا عن الحدث، بل يبحث عن العناصر الإضافية، التي تكمله، دون أن يترك أي جانب منه بدون تحليل)(6)

❖ (للربورتاج هدف يتمثل في رؤية ما رآه الصحافي، و الإحساس بما أحس به و الاستماع إلى ما استمع إليه. إنه النوع الصحفي الذي يختاره ليكون للنبأ طابع التمشهد و الاستعراض " spectacle " الحي ، المتعدد الأوجه)(7)

❖ (الربورتاج الصحفي نوع شخصي، يبني على تقاليد و قوانين خالصة. إنه ليس بالنوع الصحفي الصافي (الخالص) ، بل يشكل نقطة الالتقاء بين العناصر الأدبية و الصحافية)(8)

❖ (معنى الربورتاج بعيدا عن اشتقاق الكلمة لغويا هو البحث النشيط والمباشر في تناول الأنباء، يتم ذلك بطرق مختلفة، إذا كان الحدث مرتقبا أو مفاجئا)(9)

❖ (إن الربورتاج الصحفي هو في حد ذاته سلسلة من الأشياء الذاتية، له بعض الركائز التي يعتمد عليها. يمكن أن تتم كتابته أو صياغته بعدة طرق لأن بعض الأشياء تتطلب رؤية خاصة بالصحافي ذاته، حسب ثقافته الشخصية، تكوينه المهني، خبرته، توجهاته السياسية و قناعاته الذاتية)(10)

❖ « إن الربورتاج الصحفي نوع شخصي مهمته الأساسية تصوير الحياة الإنسانية و إلقاء الضوء على العلاقات الإنسانية مع ربط ذلك كله، بشكل غير مباشر، و بأسلوب يتمتع بقدر من الجمالية و الاعتماد على الصور بمجمل

الشروط الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية التي تشكل الأرضية لهذه الحياة الإنسانية التي يصورها الربورتاج . وهو نوع صحفي يتمتع بقدر كبير من جمالية الأسلوب و شفافيته و بمقدرته على التأثير» [11]

❖ « هو مراقبة عمليات و تطورات الواقع من أصلها و منشأها، و تكوينها وتطوراتها، بحيث تحمل الكاميرا إلى المشاهدين صورة الحاضر، وتخلق قوة تأثير الحضور الناجمة عن المشاركة. هذا التأثير الذي يعبر عن نفسه بأقصى قدر من القوة و الوضوح، لا يستطيع أن تحققه أية وسيلة إعلام جماهيرية أخرى بأي معدل أو مقياس في مجال العواطف } وهو الذي نسميه قوة (تأثير الحضور) أو المشاركة والتي يجب أن ينظر إليها كإحدى السمات الأساسية للربورتاج كنوع صحفي » [12]

❖ (الروبرتاج يجعل الجمهور يرى، ويسمع، ويشعر ما رأه وسمعه وشعر به الصحافي. إنه "شريحة من الواقع" بأشخاص حقيقيين، وكلمات بأسلوب مباشر، و نكت، وألوان، وروائح، وضجيج.) [13]

إن ما يفرق هذه التعاريف أكثر مما يجمعها، فهي تختلف في بعض النقاط الجوهرية كمدى تأثير العاملين: الذاتي والموضوعي في صياغة الربورتاج الصحفي، ووظيفة هذا النوع الصحفي. كما تختلف في تحديد طبيعة هذا النوع الصحفي: هل هي إخبارية ؟ هل هي تعبيرية ؟ أو أنها تعبيرية وإخبارية في آن واحد ؟

يولد غموض الإجابة على مثل هذه الأسئلة من اللبس و التداخل بين هذا النوع الصحفي والأنواع الصحفية الأخرى كالتقرير والتحقيق والبورتري (الصورة الصحفية) .

نعتقد أن الاختلاف في الرؤية أعلاه تعكس، بهذا القدر أو ذاك، تباين الممارسة الصحفية في المجتمعات، وتزكي المقولة التي تنص على أن الأنواع الصحفية تتأثر إلى حد ما بالتطور الاجتماعي و الثقافي في المجتمعات. ويمكن تفسير هذا الاختلاف بتفاوت النظرة للعطاء الشخصي / الفردي في كتابة الربورتاج الصحافي، فالبعض يراه شديد الأهمية و البعض الآخر يعتبره حاسما.

كل ما سبق عرضه لم يخف عن الباحث " ألفرد جهنكي "، بل شجعه للحكم على هذا النوع الصحفي من خلال قوله: « لازال الربورتاج غير مفهوم بالقدر الكافي» (14)

الفرق بين الربورتاج الصحفي و بقية الأنواع الصحفية:

يتزايد استعمال الربورتاج في الصحافة المعاصرة من يوم للآخر، ويتطور باستمرار، لأنه من الأنواع الصحفية القادرة على إضفاء التمايز والانفراد في مضمون الوسيلة الإعلامية. غير أن بعض الصحافيين يستخدم اسم التحقيق الصحفي للدلالة على الربورتاج أو العكس. وينتهج بعض المختصين النهج ذاته، ففي هذا الصدد يمكن ذكر ما ذهب إليه صاحب كتاب «الخبر الإذاعي» ويعتبره تحقيقا صحفيا، حيث يذكر ما يلي: (يعتبر الربورتاج بمثابة تحقيق صحفي بكل معنى هذه الكلمة، له نفس القواعد والأصول، إلا إنه يترجمها ترجمة إذاعية وتلفزيونية، ويخضع بذلك للقواعد (المهنية) لهذه الفنون بمتطلباتها الصوتية والتصويرية) (15)

نستنتج من هذا القول أن الاختلاف يكمن في التسمية بين النوعين المذكورين فقط، ووليد الوسيلة الإعلامية لا غير. فما يسمى في الصحافة

المكتوبة تحقيقا صحفيا يطلق عليه تسمية الربورتاج في الوسائل السمعية البصرية! هذا الاستنتاج لا يزيل كل الغموض الذي يكتنف النوعين المذكورين. فهذا أحد المؤلفين يزيد لبسا على لبس في تعريف الربورتاج، إذ يذكر مايلي : «التحقيق الصحفي رغم اسمه أخبار و ليس دراسة ، هو تحقيق يسعى لمعرفة المعلومات، لا دراستها. والجهد الأصلي الذي يبذله الكاتب الصحفي في «الربورتاج" هو جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول موضوع"الربورتاج" والتأكد منها، ثم ربط هذه المعلومات ببعضها البعض بحذق ومهارة بحيث يكشف عن كل الجوانب التي تتعلق بهذا الموضوع. فالكاتب الصحفي هنا أشبه بآلة التصوير السينمائية التي تسجل الأشياء وهي تتحرك، بحيث لا تغفل تفصيلة هامة، من التفصيلات المتعلقة بالموضوع.

والتحقيق الصحفي يعتمد في أغلب الأحيان على عنصرين: قلم الكاتب وآلة التصوير المرافقة له... ومن الاثنين: القلم والآلة، يتكون الربورتاج أو التحقيق الصحفي، وإذا كانت آلة التصوير تستطيع نقل الصورة الجامدة، فقلم الكاتب الصحفي مهمته تحريك هذه الصورة و إعطائها حياة وحيوية» (16)

نؤكد، من باب المساهمة في توضيح الفرق بين التحقيق والربورتاج، أن هذا الأخير ليس تحقيقا صحفيا قصيرا. إن العادة المكتسبة في العديد من قاعات التحرير العربية ولدت عدم الحرص على تحديد الأنواع الصحفية بأسمائها، خاصة تلك الأكثر شيوعا وتداولا، والتي لا يثار حولها خلاف كبير، فأطلقت تسمية التحقيق الصحفي على كل مادة إعلامية طويلة وغير مرتبطة بحدث، وأطلقت تسمية الربورتاج على كل مادة قصيرة.

يعد التحقيق نوعا صحفيا أكثر ثقلا من الربورتاج نظرا للمعلومات التي يقدمها للجمهور، والتحاليل والاستنتاجات التي يعرضها عليه.

كما أن التحقيق الصحفي يتناول شريحة واسعة من الواقع إذ يدور في الغالب حول محور أساسي (مشكل، قضية، ظاهرة). يحاول أن يفسرها ويحللها إلى حد أن البعض يعتبره بمثابة الدراسة العلمية التي تنطلق من فرضية. أما الربورتاج الصحفي، فلا يهدف إلى دراسة الظاهرة أو الحدث أو الواقعة، ولا يسعى إلى تحليلها بل يكتفي بتسليط الأضواء على الشخصيات التي تكون وراء الأحداث أو ضحية لها. إنه يكشف عن العلاقات الإنسانية في ارتباطها بالحدث.

يظهر لنا، مما سبق عرضه، الاختلاف بين الربورتاج والتحقيق الصحفي من زاوية الأسلوب الذي يستخدمه كلاهما، والهدف المرجو منهما. فالتحقيق الصحفي يعتمد على الأسلوب الرزين و المعمق و البسيط والمباشر. بينما يلجأ الربورتاج إلى جمالية اللغة ورشاقة الأسلوب و شفافية التعبير.

يعود الخلط الواضح بين التقرير الصحفي و الربورتاج لانضوائهما تحت عنوان كبير:" الحادثة المنقولة" « Le fait rapporté».

يعرف الربورتاج بأنه " تغطية لمرافعة قضائية " فـــ " معني الربورتاج، بعيدا عن اشتقاق الكلمة لغويا، هو البحث النشيط والمباشر في تناول الأنباء، يتم ذلك بطرق مختلفة إذا كان الحدث مرتقبا أو مفاجئا " (17)

يعتقد أن هذا الخلط أثر حتى في تنظيم العمل وفي تسمية أقسام التحرير في المؤسسات الإعلامية الوطنية، فقسم الربورتاج مثلا، أصبح، يطلق على القسم الذي يتحرك صحفيوه لنقل الحدث أو تغطيته بغض النظر عن الشكل الذي يبرز في الإنتاج الصحفي، خبر، تقرير،ربورتاج ، تحقيق .. (18)

التفكير في الخصائص التي تميز الربورتاج الصحفي عن الأنواع الصحفية الإخباريـــــة، خاصة التقرير الصحفـــي«le compte-rendu, le récit» يدفعنا

للقول أن التقرير الصحفي يهدف إلى تقديم الواقعة والعناصر الإخبارية المرتبطة بها مع إضافة التفاصيل. بينما لا يقف هدف الربورتاج عند إعلام الناس بما يجري و تقديم العناصر الإخبارية لهم. ولا يهتم بالتفاصيل في حد ذاتها ولا مدى ارتباطها بالحدث. إنه يستهدف التصرفات الإنسانية والدوافع الكامنة في الذات البشرية وفي السلوك الإنساني إزاء الحدث. فإذا اشترك التقرير الصحفي والربورتاج في الكتابة عن موضوع ما، فإنهما يفترقان، قطعا، في أشكال معالجتهما، وفي طريقة تقديمهما. فالنوع الصحفي الأول ينصرف لمتابعة الحدث و تقديم العناصر الإخبارية التي تشكله بنوع من التفاصيل، بينما يتخذ الربورتاج من الحدث وسيلة ينظر عبرها لتفاعل الغير معه، فيرصد الأحاسيس التي تميزهم كأطراف فاعلة في سياق تطوره أو وعناصر تتحمل نتائجه وتداعياته.

شيء من تاريخ الربورتاج الصحفي:

يرتبط تاريخ الربورتاج الصحفي بالعطاء الأدبي الذي أزدهر بشكل ملفت للنظر في القرن الماضي. فمن بين مؤسسي هذا النوع الصحفي يذكر، على سبيل المثال، الأديب الفرنسي أميل زوالا، صاحب كتاب «L'assommoir»، والكاتب الأمريكي إبتن سنكلر«Ubten Sinclair» (1906) وكتابه الغابة المتوحشة « la jungle» و الكاتب الأمريكي جون ريد في كتابه: " عشرة أيام هزت العالم" و رحلات الكاتب كيش إلى الصين [19]

كما ذُكِر الربورتاج الصحافي في تاريخ الصحافة الفرنسية إلا وطرح اسم "ألبار لندن" «Albert londres» لأنه يعد من أكبر كتاب هذا النوع الصحفي . لقد اشتغل كمراسل حربي أثناء الحرب العالمية الأولى في جريدة « Le matin» و«Le petit journal» وانطلق بعدها يجوب الأقطار

والأمصار يكتب الربورتاجات عن سوريا، ولبنان، وفلسطين، ومصر، والعربية السعودية ، وروسيا ، وبلغاريا ، وقبرص ، وألمانيا ،واليابان، والصين والهند وأخيرا الفيتنام .

من أبرز ما كتبه "ألبار لندن" سلسلة الربورتاجات التي أصدرها خلال الفترة1924-1931، خاصة « Dante n'avait rien vu» الذي يصف فيه أوضاع المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة في إفريقيا الشمالية، والربورتاج الخاص بالظروف غير الإنسانية للمصابين بالأمراض العقلية بعنوان « chez les fous » وربورتاج حول الاستغلال الوحشي للأفارقة تحت عنوان: « terre d'ébène» وربورتاج حول مصير صيادي اللؤلؤ: «pêcheurs de perles» .

وعرفانا بمجهودات هذا الصحفي أنشئت سنة 1933 جائزة " ألبير لندن " لتكريم أحسن عمل صحفي.

من أحدث الربورتاجات الجيدة ذات الصيت الواسع « Journal d'un enlèvement » للكاتب الروائي الكولومبي (غارسيا ماركيز)، الذي يصف فيه اختطاف صحافية كولومبية مع مجموعة من الأشخاص من قبل عصابة مهربي المخدرات، وقد قيل عن هذا الربورتاج مايلي (لقد وصف الأحداث بدقة متناهية تشبه إلى حد بعيد الروايات البوليسية. وصفها بمهارة وباقتصاد الأداة التعبيرية فأعطت للصفة و النعت وزنا خاصا يقربهما من بعض الأشكال الشعرية.فما يرويه (غارسيا ماركيز) بمهارته الروائية المعروفة ،يسمح له بأسر القراء و تركهم في وضع التشوق و الترقب [20]

نعثر في مراجعتنا لما كتبه ابن بطوطة في رحلاته إلى إفريقيا وأسيا (1304-1377) على الكثير من بصمات الربورتاج الحديث، وأن لم تكن ناضجة بنفس الدرجة التي ظهرت بها كتابات سليمان بن الصيام المليايي وبن علي الشريف عن رحلتهما إلى فرنسا في سنة 1852 [21]

يمكن القول أن بعض الملامح الأولية للربورتاج الصحفي تتجسد فيما اصطلح على تسميته " بأدب الرحلات":

تعود البدايات الأولى للربورتاج في الصحافة إلى مطلع القرن الماضي، لما قامت جريدة "التايمز"بتتبع حرب "القرم" والكتابة عنها. و بالتدريج ترسخ الربورتاج كنوع صحفي. فهيئته تحرير مجلة "نوفال ليترار "« Nouvelle littéraire» الفرنسية، على سبيل المثال، استدعت نخبة من الكتاب المشهورين للمساهمة في الركن الجديد الذي استحدثته في صفحاهًا: الربورتاج الصحفي [22]

يستطيع الربورتاج الصحفي أن يفلت من الرقابة في الظروف والأوضاع المتأزمة التي يصعب التطرق فيها للمواضيع السياسية بشكل مباشر وواضح ودقيق.

إن الربورتاج الصحفي، يتناول القضايا السياسية في جملة ما يتناول، لكن بشكل متستر و غير مباشر، وبطريقة لبقة ومرنة، لأنه ينظر إلى هذه القضايا من زاوية إنسانية. ويرصد تفاعل العلاقات بين البشر. فالمواقف والآراء تظهر في الربورتاج الصحفي بشكل أقل مجاهرة من المقال والتعليق والتحقيق، لذا يصنف الربورتاج الصحفي في خانة الأنواع الصحفية التعبيرية.

يستطيع الربورتاج الصحفي أن يساهم بفعالية في تجسيد شخصية الوسيلة الإعلامية بتحريرها من سطوة الامتثال، واجترار ما تجود به البرقيات الشاحبة التي تقدمها وكالات الأنباء. فلا يخفي على أحد أن إنتاج وكالة الأنباء الذي هيمن على مضمون وسائل الإعلام المختلفة يفصح بأنه يتم وفق طريقة واحدة، تكاد تكون نفس العبارات وذات الكلمات المألوفة، وكأن يد واحدة كتبته. يد مجهولة، فاقدة اللون والملامح.

هذا التشابه هو الذي يشجع وسائل الإعلام للبحث بمفردها عن الوقائع المعيشية المنفردة وتدقيق النظر إليها من زاوية خاصة. لقد وجدت الصحافة الشعبية ذات السحب والتوزيع الواسعين في الربورتاج النوع الصحفي الأكثر ملائمة لتحقيق غايتها: توسيع نطاق توزيعها وانتشارها. فاستخدمته لإنارة بعض الأحداث المتنوعة،« Les faits divers» وتفجير جانبها العاطفي والإنساني . فالكل يعلم أن هذا الصنف من الصحافة يتغذى، بنهم، من مثل هذه الأحداث. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن جمهور هذه الصحف، الذي يقال عنه أنه عاطفي، وميال للصور أكثر من الأفكار [(23)] ينفر من كل ما هو سياسي بحجة أنه " دسم" و"جاف". و يقبل، بمتعة، على قراءة ما يتناوله الربورتاج الصحفي. فهذا النوع الأخير، في نظر ميشال بي بلمار" « Michel B.Palmer » ، يعارض ، بشكل ما ، المناقشات السياسية التي تثيرها الصحف و يرفضها الكثير من قراء الصحف الشعبية [(24)]

إذا الربورتاج هو النوع الصحفي الذي لا يركز على الحدث (كما هو الأمر بالنسبة للخبر)، و لا يهتم بدلالاته كما هو الأمر بالنسبة للمقال والتعليق الصحفيين. إنه يهتم بالأوضاع والحالات المرتبطة بالحدث. فالصحافي المكلف بإنجاز ربورتاج صحفي يجب أن يجمع الوثائق والمعلومات وينتقل إلى أرض

الواقع ليلاحظ الوضع، ويسجل ملاحظاته ويطرح تساؤلاته، ويسجل بالصوت والصورة التفاصيل ويرصد التفاعل معها.

خصائص الربورتاج الصحفي:

1- الربورتاج يترك الصحافي يقوم بدور الشاهد المفضل الذي يعير حواسه للجمهور، ويجعله يعيش ما عاشه.

2 - الربورتاج يتضمن جانبا ذاتيا، بكل تأكيد، وبعدا نقديا للأشياء والأفعال، و يتطلب قدرا كبيرا من الصرامة في نقل الأخبار وعناصرها.

3 - يجسد الربورتاج التطلع لمعرفة الأشياء والأشخاص والشعور بالمشاركة في الصيرورة الاجتماعية. فمن هذا المنطلق، يعد هذا النوع الصحفي شكلا من أشكال توصيل الجمهور إلى ما هو أصيل في الواقع، خاصة في ظل التطورات التي تطرأ على الحياة فتزيدها تعقيدا و تنوعا.

4 - إن لغة الربورتاج هي لغة الحياة اليومية المتدفقة: كلمات ملموسة وعملية وصائبة. وجمل قصيرة تحافظ على إيقاعها، وجملة من استشهادات بأقوال من لهم علاقة بالحدث أو الوضعية للتعبير عن حالتهم الفكرية والروحية.

5 - الربورتاج لا يبرهن، بل يقدم ما يجعل الجمهور يشعر. يستعين بالتفاصيل لكشف حالات نفسية وأوضاع. ولا يعمل على إبراز مفاهيم أو إنتاجها.

6 - يركز الربورتاج على الجانب الإنساني في الوضع أكثر من اهتمامه بالحدث في ذاته؛ بمعنى أن الصحافي يعطي الكلمة لشهود العيان وضحايا حدث ما أو صناعه ليبرز العواطف التي يثيرها الحدث أكثر من السياق الذي جرى فيه

الحدث. [25] لكن لا يجب الإفراط في إبراز العاطفة حتى تمحى كل المقومات الموضوعية في الربورتاج.

7- لا يكتفي الربورتاج بتجميع المعلومات من الأشخاص، لكنه يوظف، أيضا، حاسة الملاحظة التي يملكها كل صحافي. فيسجل ما يراه الصحافي ويسمعه. إنه يستخدم بكثرة الوصف الذي يسمح للقارئ بتقديم صورة عن الوضع. [26]

8 – إن الصحافي لا يصف في ربورتاجاته، ببساطة، كل ما رآه وما عاشه. إنه يعبر بكثافة، عن بعض العناصر الموصوفة باستخدام الصور الجمالية التي تحول الشخصي إلى نموذجي.

9 – تتجسد نقاط التماس التي تربط الصحافة بالأدب[27] في مجموعة قليلة من الأنواع الصحفية، لعل أهمها الربورتاج الصحفي. ففي كتابة القصة أو الرواية ينفصل الكاتب عن الواقع و يتخيل الأشخاص، و المواقع، و الأوضاع، فيطلق العنان لخياله لوضع حبكة أو عقدة أو لحمة تتداخل فيها الشخصيات المتخيلة . أما في كتابة الربورتاج الصحفي فالصحافي يتقيد بواقعية الأحداث، ويلتزم بالوفاء المطلق للحقائق التي تملك قوة وثائقية. إن الربورتاج يقدم الأشخاص الكائنين فعلا والموجودين في الواقع. أشخاص لهم اسم، وسن، وملامح، وسلوك وطريقة في الحديث ومنهج في الحكم على أمور الحياة. إنه يصف الأحداث كما هي في الواقع؛ في شكلها الحي والفظ، وصيغتها المازحة والتهكمية. ويسيطر على طاقة الإبداع الحقيقي المتمثلة في شفافية التعبير وجماليته وقوة تأثيره النابعة من الصور الإبداعية التي تخاطب الوجدان. ما سبق قوله لا يعني بتاتا توجيه طاقات الصحفي للجري وراء الكلمات الرنانة والشاعرية والانصراف لتفجير اللغة حتى تصبح غاية في حد ذاتها . إن قوة اللغة

وشدة تأثيرها يجب أن يوظفا للتعبير عن الأمكنة بألوانها المختلفة وروائحها. ويصف الديكور و الصمت و الضجيج.

10 - أمام توجه الإعلام – خاصة السمعي / البصري بخطى سريعة نحو الاستقطاب الأحادي نتيجة مجموعة من العوامل، نذكر منها: إنشاء صناديق مشتركة لتمويل الإعلام المرئي و إنشاء هيئات مشتركة لتوزيع الإعلام المرئي، هيمنة الوكالات المختصة في الإعلام المتلفز. أصبح هامش الاختلاف والتنوع في الإعلام المرئي ضيقا جدا. إن استخدام الربورتاج الصحفي نشط المنافسة بين المؤسسات التلفزيونية الكبرى و أسهم في فرض خصوصية هذه الوسيلة.

11 - يسعى الربورتاج دائما، إلى إقصاء التعليمات الجاهزة التي نسحبها على كل الأوضاع. فهو لا يدخل إلى الحياة الاجتماعية من باب ما هو عام ويقوم، بشكل أو آخر، بالتبرير و الامتثال، بل يتجه إلى ما هو خاص وملموس دون الاضطرار إلى تبن الرؤية الإثاروية للصحافة، واختيار ما هو شاذ وغريب و غرائبي.

12 - لا يعتمد الربورتاج الصحفي على التحليل والتنظير والاستنتاجات، ولا على التعليق وإبداء الرأي الواضح والمكشوف إزاء الأحداث والوقائع، بل يرتكز، بدرجة أساسية، على الوصف. يبدو الوصف واضحا لا يستحق عناء الوقوف عنده، لكنه في حقيقة الأمر، يثير قضايا نظرية شائكة تعجز النظرية اليقينية و المطلقية للأشياء عن إخفاءها.

يمكن تحديد المرجع الذي يفصل الوصف عن السرد في القاعدة التالية: الوصف يصور الأشياء، و السرد يحكي الأفعال، ويتم الفصل بينهما على

الصعيد اللساني، من خلال الإدراك بأن الوصف يوظف النعت، بينما يستخدم السرد الفعل le verbe [28]

لا يخاطب الوصف " الوعي اللساني " المشترك بين الصحيفة و القارئ مثلما يفعل السرد في سيره الداخلي. ففي الوصف نتجاوز التوقع المنطقي الذي يعرف يه السرد و يكون فيه مفهوم الترابط والاختلاف أساسيين. ففتح الباب، على سبيل المثال، يستدعي توقع غلقه، والذهاب يستدعي توقع العودة... وهو عادة توقع قاموسي [29]

كان " أميل زولا" يرغب دائما في الوصف، أي في تقديم معلومات عن المجتمع (الديكور، والأماكن ، والأشياء ، والمناظر الطبيعية) والغرض المتوخي من هذا كله لا يكمن في الوصف، كشيء مقصود لذاته وفي ترصيّف الأفكار و الأحداث الواحدة بجانب الأخرى، بل يتمثل في تقديم الشيء للقارئ بشكله، و بلونه ، وبرائحته ، وبجوهر وجوده [30]

لا يمكن الاعتقاد أبدا بأن الوصف فعل ارتجالي و عشوائي، إنه فعل منظم سواء من ناحية المسار أو الموضوع.

توجد عدة تقنيات للوصف، نذكر منها على سبيل المثال، الأسلوب المباشر، والأسلوب نصف المباشر. فهذا الأخير يسمح للمؤلف / الصحافي بتوظيف كلمات و أفكار بعض الشخصيات لصالح الوصف المقصود لإعطاء أبعاد لما يصفه، أو لإحداث الانتقال و التكامل في الربورتاج.

أنــواع الربــورتاج:

تثار مسألة تصنيف أنواع الربورتاجات الصحفية في الإذاعة و التلفزيون بشكل أساسي. فإذا اعتبرنا أن الشكل البسيط للربورتاج الصحفي في الوسائل

السمعية البصرية يكمن في البث الحي (المباشر أو المسجل) من خارج الأستوديو، ومن صلب الحياة اليومية بدون سرد[31]،

ويصنف الربورتاج إلى "ربورتاج ذي طابع إنساني"، وربورتاج الوضع" [32]، أو ما يمكن أن نسميه الربورتاج "الحي" والربورتاج الموضوعاتي":

الربورتاج الحي: وهو الذي يطلق عليه المحترفون تسمية تغطية، ويدور حول حدث آني؛ يقدم المعلومات ذات الطابع الإخباري، ويكون حضور الصحافي واضحا في الصور التي تغطي الحدث، باعتباره الشخصية الأساسية والمركزية.

ففي هذه الحالة يكون الربورتاج عبارة عن ناقل للجو السائد في حادث ما، وليس نقل الحدث في ذاته بعناصره الإخبارية المعروفة.

الربورتاج الموضوعاتي (نسبة للموضوع): و هو الذي يدور حول القضايا والأحداث غير الآنية، و لا يلتزم بتقديم أخبار و معطيات مرتبطة بحدث بعينه، بل ينطلق منها لرصد نبضات المجتمع،و تقديم السلوك الإنساني، بشرط أن تكون القضايا المعالجة ممكنة التشخيص البصري، تتطور وفق النمو المنطقي للصور البصرية[33]

الحديث عن الربورتاج التلفزيوني الموضوعاتي يتداخل مع الحديث عن السينما كفن و كوسيلة تعبير، فهما يشتركان في تحويل العالم الذي يحيط بنا إلى عالم مرئي. هذا التحويل الذي ولد في صائفة 1895 لما قام "لويس لوميار" بإنجاز أول فيلم، في التاريخ، مدته لا تزيد عن 3 دقائق. فكانت بداية السينما من جهة، ومن جهة أخرى الانطلاق في تصوير الأحداث الحقيقية، حيث كان الفيلم يصور خروج العمال من المصنع.

لقد تم الاستغناء تدريجيا على طريقة "لوميار" في التصوير، والمتمثلة في تنصيب الكاميرا في وضع ثابت لتلتقط كل ما يقع أمامها، وبدأ الإبداع الفني يتجلى أكثر بعد ظهور السينما الناطقة في سنة 1927.

يرتبط الحديث عن الروبرتاج بالسينما[34]، خاصة تلك التي تسمى وثائقية أو تسجيلية أو مباشرة لأنها تعالج ما هو واقعي وليس خيالي: الناس، والأحداث، والأماكن الواقعية والحقيقية، أي الجوانب التي تهم الروبرتاج الصحفي.

يعد روبرت فرلاهرتي(R .Fraherty) من رواد السينما التسجيلية الأوائل بفيلميه عن سكان الاسكيمو الذي أنجزه في سنة 1992، و المعنون ب (نانوك في بلاد الشمال). لقد اعتبر هذا الفيلم أول شكل من الروبرتاج المرئي.

هناك طريقتان لإعداد الروبرتاج الموضوعاتي:

الطريقة الأولى: وتتمثل في عدم الانطلاق من أية خطة مسبقة والشروع مباشرة في تصوير ما يمكن تصويره، وهذا ما اتبعه "فلاهرتي" حيث كان ينطلق مباشرة في تصوير كميات ضخمة من الأقدام للمقطع الفيلمي الشبيه لما هو عليه في الحياة[35]

بينت التجارب أن هذه الطريقة مكلفة جدا؛ تصور كميات هائلة من الأفلام و لا تستغل إلا جزءا قليلا منها، كما أن الارتجالية التي تطبعها قد تجعل ما تريد توصيله للجمهور ينفلت من يدها.

الطريقة الثانية: تنطلق من التحضير المسبق، ومن التزود بالمعارف وإدراك ما يريد الروبرتاج قوله أو إيصاله.

إن المسألة التي تطرح، دائما، في الربورتاجات الصحفية المتلفزة هو مكان اللغة اللفظية. فالتلفزيونات التي لازالت أسيرة الصحافة المكتوبة لا تعبأ بالصورة المتحركة، بل تستعملها لتملأ الحيز الفضائي فقط، و توجه طاقتها نحو اللغة اللفظية (اللسان) التي تشكل الربورتاج. لذا نجدها لا تكل من التكرار نفس اللقطات والمشاهد و الصور الثابتة التي لا تلتقي دائما بالفكرة التي وصل إليها اللسان.

إن اللسان ضروري في الربورتاج، لكن يجب معرفة حدود استعماله. إنه يدعم الصورة بإعطاء الوجهة الحقيقية لموضوع الربورتاج، ويساهم في درامية أو ملحمية هذا النوع الصحفي. فيبدأ تارة بفكرة أو بوصف ما لتكمله الصورة، ويختم تارة ما بدأته الصورة، فلا جدوى إذا من لسان يروي أو يصف المرئي. لأن في هذه الحالة يصبح عبارة عن دبلجة فضفاضة للشريط أو تأكيد مجاني على صحة الصور. إن الثرثرة اللفظية تنتج، في بعض الأحيان، عن فقر الصور. فاللسان في الربورتاج هو مجموعة الكلمات التي تنتقى بعناية وتبقى على أساس مساهمتها في توسيع أفق المشاهد و تعميق إدراكه المرئي.

توجد بعض الأمثلة التي يصعب اعتبارها كحالة استثنائية، لا تشترط التطابق الكامل بين مدة اللسان و مدة الشريط المصور. " فالأوبيرا الوحشية" التي أخرجها المخرج الفرنسي القدير الراحل (فريديريك روسيف) في نهاية العقد الماضي، في شكل سلسلة ربورتاجات، لا يستغرق فيها اللسان أكثر من 1/4 الوقت المخصص لكل حلقة. فاللسان يأخذ وقتا قصيرا و يتميز بجاذبية كبيرة لحسن استعمال العبارات المناسبة و القصيرة ذات النبرة الملائمة لموقف المشاهد والمرافقة للموسيقى وللصمت المعبر عن الوضع المصور.

لقد كانت عملية المونتاج للمادة الإخبارية السمعية- البصرية قائمة على ربط اللقطات الصامتة، لكن الصوت بدأ تدريجيا يستكمل هذا الربط.

إن الاختيار المرئي واللساني في الربورتاج يتوقف، بدرجة أساسية، على الزاوية التي ينطلق منها الصحافي في بناء ربورتاجه. فإذا انطلق من حديث مسجل لشخص أو شخصية ما، فإن تراتيبية أدوات التعبير تبدأ من الصوت الذي يصبح حجر الزاوية في الربورتاج. وإذ بدأ ربورتاجه بصورة ما، فإنها تتحول إلى الخيط المرئي الذي يقود كل الخطاب السمعي- البصري الذي يتضمنه الربورتاج.

لكن بصرف النظر عن التراتيبية المذكورة يجب الإشارة بقوة إلى التحول الجلي في الصورة التلفزيونية، حيث ازدادت سرعة إيقاع الصورة التلفزيونية عما كانت عليه في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي. وأصبحت مدة لقطة le plan الصورة التلفزيونية لا تتعدى 3,5 ثانية[36] مهما كانت طبيعة الربورتاج.

لعل السبب، بل الأسباب التي زادت من سرعة إيقاع الصورة التلفزيونية توجد في تزايد سرعة المجتمع وارتفاع وتيرة الحياة الاجتماعية، وتزايد كمية المعلومات والمعطيات المتداولة في المجتمع بسرعة فائقة، إضافة إلى شراسة التنافس بين القنوات التلفزيونية وجنوحها المتزايد نحو الاستعراض والتمشهد.

لقد استفاد الروبرتاج الصحفي خير استفادة من الابتكارات التكنولوجية. ففي السابق كان ينجز بآلة تصوير 16مم، ذات الوزن الثقيل نوعا ما (10 كلغ). حيث يشعر بصعوبة حملها مدة طويلة وبمشقة تشغيلها لتعقدها، الشيء الذي حد من الاستغلال الأفضل للروبرتاج المتلفز في ذلك الوقت.

فتحت كاميرا فيديو، ذات الوزن الخفيف (1.5 كلغ)، المجال واسعا لنقل الأحداث و استغلالها، حيث أصبح بإمكان المصور أن ينتقل بها وسط الحشود في المظاهرات والإعتصامات، و في الحروب والنزاعات المسلحة، كما أن المحطات التلفزيونية المتنقلة ساهمت هي الأخرى في ذلك.

ما يميز التصوير بالفيديو هو أنه يتجاوز عدة مصاعب و مشاكل تقنية كانت تطرحها الكاميرا 16 مم. فالكاميرا فيديو تستطيع التصوير بدون فريق مكلف بالإضاءة مع إمكانية مشاهدة النتيجة في الحين و بسرعة، أي يمكن بث الشريط المصور في أي مكان. (37)

لقد فتحت التكنولوجيا الرقمية أفاقا واسعة للصورة: تخزينها وإرسالها وبثها. فالصحافي يستطيع أن يفجر الطاقة التعبيرية للصور المتحركة من خلال التحكم الرقمي في اللون، والأضواء والمكونات (التأطير).

بنية الربورتاج:

هل يمكن الحديث عن بنية واحدة يشترك فيها الربورتاج الحي، والربورتاج الموضوعاتي؟ وهل أن بنية الربورتاج في الصحافة المكتوبة هي ذاتها التي يخضع لها الربورتاج في الإذاعة والتلفزيون؟

للإجابة على هذا السؤال يمكن القول أن الربورتاج يُبنى كقصة، كشكل من السرد. (38) إنه أكثر كمالا وتفصيلا من الخبر الصحفي. ويستوعب الأسلوب الشخصي أكثر من العديد من الأنواع الصحفية. لذا فإن بنيته لا تحيد عن بناء أي سرد. المقدمة التي تبرز الزاوية التي تنطلق منها عملية السرد، ثم الجسم الذي تتالى فيها تطورات القص أو السرد بشكل منطقي وصارم ليجذب الجمهور ويمس عواطفه ثم خاتمة. وتخضع خاتمة الربورتاج إلى

جملة من المتغيرات: الموضوع، نوع الربورتاج، أسلوب الصحفي، المدة الزمنية الممنوحة له أو المسافة التي تخصص له في الصحيفة.

إن الصحافي التلفزيوني الذي يملك خبرة مهنية يقوم بالتقطيع التقني لربورتاجه قبل بداية التصوير، لأنه هدف الربروتاج يتضح أكثر بعد تجميع المعلومات والإطلاع على موضوعه. الشيء ذاته يقال على الربورتاج المكتوب. فبعد الالتقاء بالواقع بشكل مباشر، تنضج بنية الربورتاج في ذهن الصحافي فيصبها على الورق، ثم يعيد صياغتها وتنقيحها.

إن كتابة الربورتاج بشكل إرتجالي، على شكل تداعيات الأفكار والحكايات لا وجود لها حتى إذا أردنا أن نحول هذا الربورتاج إلى قصة أو رواية. هذا ما تؤكده شهادة كبار الكتاب والروائيين.

فكاتب أمريكا اللاتينية خوليو كورتاثار كان يجلس صباح كل يوم أمام آلته الكاتبة غير عارف ما سيكتب. لكن النتيجة كانت رواية " رايويلا" (حجلة) الشهيرة ذات التركيبة المعقدة. لقد كانت رواية منظمة جدا وتملك هيكلا صارما. فالبنية التي أخذت معمارها لم تكن مخططة على ورق، بل كانت مخمرة في لا وعي الكاتب.

المـراجع و الإحالات:

1–حول الكتابة الصحفية: مجموعة مقالات صادرة عن المنظمة العالمية للصحافيين، جمعها و ترجمتها نصر الدين لعياضي، معهد الإعلام، 1988

2 - Dictionnaire Larousse en couleur, ed Larousse, Paris 1966
3 - Christine Lenteinturier : Dictionnaire Multimédia, Presse ,Radio, *T.V, Publicité*, ed Eryelles Paris 1900, p79
4 - Yves Agnes, Jean Michel Croissandeau : *Lire le* Ed F.P. Labies, France,1979, p35
5 - Bernard Voyenne : *Glossaire de presse*, Ed C.F.J.P 1967

6– فيليب غيار: تقنية الصحافة، منشورات عويدات، 1973 لبنان، ص 64-65

7 - Voirol Michel : *Guide de la rédaction*, Ed C.F.J.P , Paris, 1984

8 - Alfred Jahnke : *le fait rapporte dans le journal*, institut de journalisme a Berlin (O.I.J) sans date d'édition

9– فليب غايار. مصدر سابق

10 - Mohamed Belhi : Algerie – actualité, n 1302 (Algerie)

11– أديب خضور . أدبيات الصحافة ، مرجع سابق

12–أ. بوريتسكي: الصحافة التلفزيونية، ترجمة أديب خضور. سلسلة المكتبة الإعلامية، دمشق 1990، ص 132

13- Les genres journalistiques, www. crdp. ac- creteil. fr/cddp93/ jour_scd/afairejournal/a132.htm
14- Alfred Jahnek. OP cité

15– كرم شبلي. الخبر الإذاعي، فنونه و خصائصه في الراديو و التلفزيون. دار الشروق للنشر والتوزيع و الطباعة 1985، جدة، ص 137

16– فاروق خورشيد. بين الأدب و الصحافة، منشورات أقرأ ص 82

17– فيليب غايار. مرجع سابق ص67

18– لعياضي نصر الدين، مساءلة الإعلام. المؤسسة الوطنية الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1991

19– حول الكتابة الصحفية، مرجع سابق

20 - Raphael Renolle : Gobo Reporter – le monde des livres 21mars, 1997

21– عندما نرجع إلى هذه الكتابات التي نشرقما جريدة " المبشر " في أعدادها

الصادرة في النصف الثاني من سنة 1852 وبداية 1853، نلاحظ إسقاط الأسلوب " الديني " على نصوصها. هذا ما تؤكده مقدمة بين الصيام و هو يصف رحلته إلى باريس: (نحمد الله معترفا بحقه، و نشكره على فضله و رفقه الذي جعل لنا الأرض ذلولا نمشي في مناكبها و نأكل من رزقها وسخر لنا الفلك لتجري في البحر بأمره ورفقه. و نتوهب للمقام السلطاني النابوليوني أعزه الله فخرا يتحلى بالغرب المعمور شرفا وبعد... " كم نلاحظ في نفس النص طغيان أسلوب السجع الذي كان مهيمنا في الكتابة الأدبية: " يقول العبد الفقير إلى ربه السلام سليمان صيام لما سبق علمه تعالى إني أمشي لرؤية أرض الشمال، ذات المحاسن العديدة و الكمال، أمرني من يجب على امتثال آمره و هو والي دائرة الجزائر وقطبه الرأي السديد، و الجود الذي لبس فوقه من مزيد، البطل الهمام و الأسد الضرغام سعادة الغفرنور (الوالي) زائدون مازال.

22- حول الكتابة الصحفية، مرجع سابق

23- Jean Michel Seguin : nouvelles á sensation – canards au XIX siècle, Ed Alain Colin 1959, France, p33

24- Michael Palmer B.Palmer : des petits journaux aux grands agences-naissance de la presse moderne, ed Aubier montagne 1983, p33

5-Ronald-registe Augustin: Le reportage, 9/10/20042 www.colir.net/programmes/arts_et_lettres/spip/auteurs.php3?id_auteur19, page consultée le 20/02/2006

26- Cité In http://presse.cyberscol.qc.ca/ijp/observer /genres/genres.html#rapporter, page consultée le 20/02/2006

27- Philippe Hanon : Qu'est-ce que la description ? 1972 Revue poétique, N 12-

28- IDEM

29- IDEM

30- في هذا الصدد يقول الصحافي "Jean Danniel " ، (كان الربورتاج بالنسبة لي وسيلة لإشباع نزوتي كروائي، التي كضمتها منذ أن هاجرت الأدب (...) لم أكن بحاجة إلى معلم أو مرجع . أعرف أن كبار الكتاب الأمريكيين: ص دوس داسوس، ستنيبك وهمنغوي، كانوا في بداية مشوارهم المهني صحافيين، وأن ثراء الواقع هو الذي قادهم إلى الرواية (...) كنت أخشى أن يفوتني وجه معبر و فصيح أو مشهد مثالي. أصل إلى موضوع ربورتاجي كغاز مدينة يجهلها، فأسعى للسيطرة عليها بدون مرشد أو دليل ، وبدون خريطة ، مفضلا الضياع فيها أتيه فيه ليالي

بأكملها ، ممتزجا بكل شيء فيها، حتى أتغلغل فيما هو يومي، وأقبض على الكلمات التي أريد أن أصنع منها رائحة وطعما لما أكتبه ، أزعم بعث الحياة التي يفرزها الحدث الدرامي وينضجها قبل طرح الأفكار التي تلخصه . حقيقة أقوم بجمع المواد التاريخية و الاقتصادية و السياسية مثلما يفعل أي عالم اجتماع الذي يعد دراسة منوغرافية لكن أمحي كل ما جاء فيها ولا أترك سوى ما يتعلق بالحركة والبرتريهات.

Jean Daniel :Le temps qui reste, essai autobiographique professionnel, ed, stock 1973,p76

31 – أ. بو ريتسكي : مرجع سابق، ص 135

32- Ronald-registe Augustin, op cite

33 – نفس المرجع، ص 146

34– هذه الحقيقة تنطبق على الوضع القائم حاليا، فبرنامج (envoyé special) الذي تبثه القناة الثانية من التلفزيون الفرنسي يتشكل من مجموعة من الربورتاجات التي أوكلت إلى مخرجين سينمائيين لإنجازها.

35 – لوي دي جانيتي: فهم السينما، الفيلم التسجيلي، ترجمة جعفر علي، دار النشر عيون المقالات – المغرب 1986 ص 20

36- Antoine Paulus, Langages médiatiques, Dossier pédagogique, Centre audiovisuel de Liège, Liège, 2000, p. 101

37- LA védéo, un nouveau circuit d'information, ed C.NR.S. PARIS , 1977 , P 90

38- Cite in:

http://www2.csduray.qc.ca/projetsrecit/eileen journalisme/lexical.htm#htm#genre1#genre1, page consultée le 20/02/2006

التحـقيـق الصحفـي

L'ENQUETE JOURNALISTIQUE

(بدأ التحقيق الصحفي من العبارة المشهورة : " الشر لم يختف من العالم . ويتعين الاقتراب من تحقيق الصحفي بمزيج من الإحساس بالغضب المسيطر عليه بالشعور بالعدل البشري الممكن)

Leonard ray Tell & Ron Taylor

يتضمن مصطلح التحقيق الصحفي" Enquête journalistique" الكثير من الإيحاءات والتي يمكن اختصارها في التحري، والاستقصاء، والدراسة، والفحص، والتأكد. رغم ثراء هذه الإيحاءات فإنها لم تسهم، كثيرا، في تقريب ما يعكسه هذا النوع الصحفي، والكشف عن مضمونه، وهذا ما يؤكده لنا التعريفان التاليان، اللذان يضيفان قدرا من الغموض على التحقيق الصحفي، أكثر من توضيحه.

❖ (يعرف البعض التحقيق الصحفي بأنه تقرير عن خبرة معينة، وذلك لأنه يحاول وصف الحادث بطريقة يطن القارئ معها أن كاتب التحقيق قد عاش تلك الأحداث) [1]

❖ (إن التحقيق الصحفي عبارة عن أخبار بمفهومها العام. لكنها لا تلتزم بقاعدة المثلث المقلوب، ولا بالأخوات الست. وقد تحتوي أحيانا على بعضها .

والشيء الأساسي في التحقيق هو الحقائق التي يحويها الموضوع ومقتضياها العامة) [2]

من التعاريف العديدة التي قدمت للتحقيق الصحفي، والتي تكشف عن ماهيته، نذكر ما يلي:

❖ (التحقيق هو استطلاع للوقائع والأحداث ولجميع الأشخاص الذين لهم صلة بهذه الوقائع والأحداث والعوامل المؤثرة فيها، والحكم فيها، وتقديم الحلول المناسبة للمشكلة أو الواقعة التي يتناولها التحقيق)[3]

❖ (هو تحليل واقعي للأحداث والمشكلات التي تواجه المجتمع، وتحليل نفسي للأشخاص الذين يتصلون بهذه الأحداث والمشكلات واستقصاء الأبعاد والظروف التي تحيط بها ومالها من امتدادات في الماضي وأثره في الحاضر، وما يكون لها من تأثير بالنسبة للمستقبل. ولا بد أن يكون هذا موضحا ومدعما بالأرقام والإحصائيات حتى تكون الحقائق مؤكدة). [4]

❖ (التحقيق الصحفي هو الشكل الأكثر صياغة و تبلورا في الصحافة، يدور حول محور مركزي (في الغالب أطروحة These) ويقدم أكبر قدر من الإعلام عن الحدث أو الوضعية. ويأخذ، في بعض الأحيان، من علم الاجتماع ومن التحقيق القضائي (اكتشاف الحقيقة). ويمكن أن يقدم التحقيق أو ينشر في شكل حلقات متسلسلة)[5]

❖ (هو مصطلح مأخوذ من اللغة القضائية، ويعني مادة أو مجموعة مواد صحفية "Articles" تتناول مواضيع سياسية، واقتصادية، واجتماعية، أنجزت انطلاقا من وثائق مكتوبة و في وسط الأشخاص المعنيين ذاهم .)

- (التحقيق الصحفي دراسة لمشكل اجتماعي بواسطة الاستبيان، وسبر الآراء الذي يجري على عينة ملائمة من الجمهور) (6)

- (ينطلق التحقيق الصحفي من الواقعة أو الحادث أو التطور الحاصل في الظاهرة، أو القضية العامة أو المشكلة، فيعرضها، ويقدمها، ويحلل معطياتها، ليشرح جوانبها المختلفة، ويشبعها بحثا وتفسيرا، وأخيرا يقدم الحلول لها. وهو نوع صحفي ذو طابع فكري، وإن كان يتسم، في كثير من الأحيان، بتوازن عنصري المعلومات والتعليق والتفسير. ويتمتع التحقيق بمقدرة عالية على التأثير، خاصة في أوساط القراء الذين يتمتعون بقدر من الجدية. ويتسم بالآنية والفاعلية والشمولية، و يتوجه إلى ذهن ومشاعر القارئ)(8)

- (التحقيق الصحفي هو نوع صحفي يبرهن. يتناول موضوعه مشكلة، وله بنية تشبه البحث العلمي: مشكلة، فرضية، التحري في صحتها، الخاتمة. يستخدم التحقيق الصحفي كل أنواع الكتابة الصحفية: الربورتاج، المقابلة الصحفية أو الحديث، البورتري، وحتى الافتتاحية) (9)

- (التحقيق الصحفي هو دراسة معمقة لمشكل تكون استتباعاته هامة بالنسبة للجمهور بصفة عامة) (10)

إن الاختلاف بين هذه التعاريف واضح، ويعود، في اعتقادنا، إلى انعدام الصرامة العلمية في تحديد بعضها، وسقوط بعضها الأخر في التعميم الطامس لخصائص التحقيق الصحفي. لكن رغم هذا الاختلاف فالكثير من هذه التعاريف يتفق على شيء جوهري ويتمثل في أن المعنى التحقيق الصحفي هو البحث و الفحص و التقصي والتحري

تشكل أية مادة صحفية من مجموعة من العناصر التي تتفاعل و تحدد القسمات الخاصة التي تمكنها من الانتماء لهذا النوع الصحفي أو ذاك. فإعادة إنتاج القسمات ذاتها في الكتابة الصحفية هو الذي يحدد خصائص النوع الصحفي. سنكتفي، في البداية، بتحديد العناصر المرتبطة بمضمون التحقيق الصحفي و هي:

1- الإعلام عن الظاهرة أو المشكلة وتقديمها للجمهور.

2- دراستها وتحليلها بشكل شامل و عميق.

3- الاستنتاج و الحلول أو ابتسار مجموعة من التطورات التي تعرفها الظاهرة. موضوع التحقيق الصحفي.

لم تتوصل الاجتهادات النظرية، مع الأسف، إلى توضيح معالم هذا النوع الصحفي حيث نجد بعضها يؤكد .على سبيل المثال، ما يلي: "يوجد في عالم صحافة نوعان رئيسيان من التحقيق، أولها يسمي التحقيق أو الربورتاج (eportage)وهو الضرب الشائع في صحافتنا العربية، والآخر ما يعرف بالتقرير الاستقصائي (Investigative reporting) وهو نوع عزيز في صحافتنا وقلما ظفر قارئها بقصة من هذا الضرب مكتملة الشروط واضحة الأسس. إن المفهوم الأول ، وهو المفهوم الشائع في صحافتنا العربية وهو مفهوم " الربورتاج " ويطلق عليه عندنا أيضا التحقيق، على أن هذا يظل أقرب إلى مفهوم التقرير منه إلى التحقيق الصحفي (11).

نرى العوامل التي أنتجت الغموض الذي يكتنف تعريف التحقيق الصحفي فيما يلي:

1- إن قلة المراجع العلمية التي تناولت فنيات التحرير الصحفي لا يفسر وحده، في تقديرنا، هذا الخلط الواضح.

حقيقة إن هذه المراجع في مجملها لم تبلور الأطروحات النظرية التي تفسر خصائص الأنواع الصحفية مجتمعة ومنفردة، وتزود الممارس أولا، ثم الدارس ثانيا، بمجموعة من المعارف التي تمكنه من التمييز بين الأنواع الصحفية، وتسمح له بالضبط النظري لسمات التحقيق الصحفي أو الربورتاج.

2- عدم تصلب الممارسة الإعلامية وثراءها. إن قلة تصلب التجربة الإعلامية في الدول العربية يساعدنا في تفسير عدم الحرص على كتابة الأنواع الصحفية وفق ما تقتضيه خصائصها. ويؤكد ما ذهب إليه الباحث "نبيل حداد "حيث يذكر أنه يتم تبديل تسمية الربورتاج بالتحقيق في الصحافة العربية، ويكشف عن قلة الانفتاح على كل الأنواع الصحفية، وتوظيفها خير توظيف للاستفادة من إمكانياتها.

3- يشترط تطور التحقيق الصحفي توفر حرية التعبير في الصحافة، لأن هذا النوع الصحفي "يعري" السلوكات والمواقف والممارسات. إنه يبحث وينقب ويكشف عن الحقائق والقضايا التي من الممكن ألا ترضي بعض الأشخاص أو المؤسسات. فإذا غابت خاصية البحث والتنقيب في التحقيق الصحفي يفقد الغاية من وجوده.

4- نظرا لخصوصية التلفزيون التي جعلته يميل إلى تقديم ما هو حركي وتفضيل ما هو بسيط عن ما هو معقد، وما هو ملموس عن ما هو تجريدي، والتشخيصي عن المفهومي. هذه الخصوصية لا تشجعه على استخدام التحقيق

الصحفي الذي يبدو ثقيلا نوعا ما في هذا الجهاز ، مقارنة بالربورتاج الصحفي الذي أصبح يحتل حصصا بأكملها في التلفزيونات المعاصرة .

لقد لاحظ مشاهدو قنوات التلفزيون الأجنبي الربورتاجات الطويلة التي (تفيض) ، نوعا ما عن حدودها إلى درجة أنها ولدت مصطلحا جديدا : الربورتاج التحليلي [12]

5- إن انتشار ظاهرة الصحافة المكتبية والتي تتمثل في إنجاز العمل الصحفي في المكاتب دون النزول إلى ميدان الأحداث أدى إلى إنتاج مادة (متأرجحة) بين الأنواع الصحفية المختلفة .

الفرق بين التحقيق الصحفي والأنواع الصحفية المختلفة :

بعد استعراض خصائص التحقيق الصحفي الأساسية نستطيع أن ندرك بسهولة أنه ينتمي إلى الأنواع الصحفية الفكرية، لأنه يقدم مجموعة من الآراء والأفكار والتصورات الناجمة عن التحليل و التفكير الملي في وضعية ملموسة أو حالة أو مشكلة.

فإذا كان التحقيق الصحفي يلتقي مع الأنواع الصحفية الإخبارية في نقطة خاصة بأشكال الإنجاز و هي الانتقال إلى عين المكان، فإنه يختلف عنها.

إن التحقيق الصحفي يختلف عن الخبر الصحفي في الحجم، وطريقة الانجاز والوظيفة. إنه يقوم على معلومة يسعى إليها الصحافي فيدرسها ويبدأ بالتنقيب عنها.

إذا أنه لا يصبو إلى تقديم أخبار و معلومات عن الوضعية أو المشكل، ولا يهدف إلى وصفها بنوع من التأني وبتفصيل، وإن فعل ذلك ، فيصهره في

إطار نظرة متماسكة و متكاملة تصب في اتجاه طرح المشكل أو تقديمه قصد (الدراسة) والتحليل مجيبا على سؤال واحد ومركزي: لماذا ؟ وتقديم الاقتراحات والحلول . فالخبر الصحفي و التقرير يقدم ما يطفو فوق السطح ، بينما يغوص التحقيق الصحفي في الأعماق .

لماذا وصل محصول الجزائر من الحبوب إلى حوالي 36 مليون ونصف قنطار؟ إن الخبر الصحفي يكتفي بإعلام الجمهور فقط بهذه الكمية من محصول القمح، بينما التحقيق الصحفي يجيب على سؤال لماذا كل هذه الوفرة في الإنتاج ؟

يؤكد لنا مثل هذا السؤال أن موضوع التحقيق الصحفي يختلف عن موضوع الأنواع الإخبارية المذكورة. فهو لا يخبر عن حادثة بسيطة، إنه يعالج واقعا أكثر اتساعا، تصنعه قضية أو مشكلة. فموضوع التحقيق الصحفي لا يكون بالضرورة، مرتبطا بالأحداث الآتية.

تنتمي بعض الأحداث الصحفية، كالتعليق والمقال إلى ما يسمى بالأنواع الفكرية ويمكن أن يتضمن التحقيق الصحفي بعض خصائص هذه الأنواع كعرض الحقائق والمعلومات. لكن مبرر وجوده يكمن في القضية المركزية وفي المشكل المحوري والأساسي فمهمة التحقيق الصحفي ليست إبراز وجهة النظر منها مثلما يفعل التعليق الصحفي. إن التحقيق الصحفي يستعين بوجهات النظر لتحليل الظاهر أو المشكلة، ودراستها.

ويمكن الاختلاف بين المقال الصحفي في أن النوع الأول ينطلق من موقف واضح، كدت أن أقول (جاهزا) ويسعى إلى اختيار بعض الوقائع وتقديمها كأمثلة وشواهد لخدمة الموقف المذكور ولتعزيزه أكثر. بينما يسعى

التحقيق الصحفي إلى البحث عن الأمثلة والشواهد حتى المتناقضة منها ، ليبني بها معماره و لحمته . إنه يقدمها كمادة للدراسة و التحليل التي تفض إلى اقتراح حلول أو رسم أفاق تطور القضية أو المشكلة التي يعالجها.

ينحصر الفرق بين التحقيق الصحفي و الربورتاج في جانبين أساسيين :

- الجانب الأول وهو عام ويتجسد في الاختلاف القائم بين الوظيفة التحليلية الفكرية التي يقوم بها التحقيق الصحفي والوظيفية التعبيرية التي يؤديها (الربورتاج) والتي يقول عنها الباحث "ماك بايي" ما يلي : "إن الوظيفة التعبيرية تزعزعها فظاظة الحدث، والترقب المقلق " le suspense " وعاطفة المخاطب، والبروز غير الملحم لذاتيته في وهج الربورتاج، إنها تتغير بقوة الصورة المبثوثة مباشرة و بدراميتها فغياب الابتعاد عن الموضوع لتحقيق هذه الوظيفة يزعزع محتوى الرسالة ".(13)

- الجانب الثاني وهو خاص ، ويتمثل في سمات كل نوع .إن الربورتاج يظهر"Montre " والتحقيق يبرهن " démontre " (14) أي أن الربورتاج يعرض مجموعة من السلوكات و التصرفات و الصور من الزاوية الذاتية التي يراها الصحافي، وهذا لا يعني خلو هذا النوع الصحفي من كل ما هو موضوعي بالإجابة على سؤال كيف ؟ بينما يحلل التحقيق الصحفي الحقائق والوقائع مجيبا على سؤال لماذا ؟

يكمن الاختلاف أيضا في طبيعة الموضوع الذي يتعرض له كلا النوعين الصحفيين. فموضوع الربورتاج هو استعراضي بينما موضوع التحقيق الصحفي هو إشكالي (15)

بعد كل ما سبق عرضه يتضح أن التحقيق نوع صحفي ثقيل، يستوعب مختلف خصائص الأنواع الصحفية الأخرى دون أن يفقد استقلاليته كنوع حيث نجد فيه عنصر الاستجواب، كمصدر للمعلومات أو كعنصر لتقويم تجربة أو عرضها ، و التعليق عن الحقائق والوقائع ، والإعلام أو الأخبار عن بعض الأحداث المنسية أو المستجدة ، والوصف والسرد لبعض المواقف والآراء . فالتحقيق الصحفي يسهم في تفسير الظواهر والمشاكل المعقدة وتبسيطها لتستوعب من طرف الجمهور العريض . إنه يرصد التطور الحاصل في المجتمع بشكل مرن فيبرز سلبياته وإيجابيته و يرفع من عزيمة الفرد ويحسسه بمكانته التي بفضلها يتم التغيير.

عوامل ظهور التحقيق الصحفي و تطوره:

من الصعوبة بمكان تحديد عوامل ظهور التحقيق الصحفي وتطوره، لانعدام البحث المؤرخ للأنواع الصحفية خاصة في الدول العربية، من جهة، ولقلة الفحص العلمي و التأكد من عوامل تطور التحقيق الصحفي المعروفة وبقائها كافتراضات فقط من جهة أخرى.

يمكن أن نصادف في بحثنا وتنقيبنا عن الأنواع الصحفية بعض المحاولات والشهادات عن ميلاد هذا النوع الصحفي أو ذاك ودخوله إلى هذا المجتمع أو ذاك، لكنها تبقى بين قوسين، لأنها تحتاج إلى التحري والتدقيق فيها. إن أنواع الصحفية المعروفة الآن، والتي يمكن أن تحمل أسماء مختلفة من مجتمع إلى آخر، تكون قد تعرضت هي الأخرى إلى تغيير في التسمية. ينسب الأستاذ " عبد اللطيف حمزة " التحقيق الصحفي إلى " ديفو " (Defoe) الذي اهتدى إلى التعبير في الصحافة الانجليزية، وإلى الصحافي " نور ثكليف "عام 1896، الذي جعل منه ركنا خاصا في صحيفته " دلي ميل " ويعتقد أن هذا

الصحفي توصل لتلبية حاجة و رغبة القراء أكثر من تلبيتها عن طريق القصص . ويرى أنه وجد مناخا ملائما لظهوره ساهمت في خلقه عدة عوامل منها : انتشـــار التعليـــم ، وانتصار الديمقراطية، وارتفاع الوعي ، وتقدم علم النفس وسعي الكتاب إلى إضفاء البعد النفسي على كتاباتهم .

إن التحقيق الصحفي لم يأخذ الشكل الذي هو عليه الآن في عدة دول عربية، حيث ظهر تحت أسماء عديدة متباينة منها: البحث ، والدراسة، والجولة، والمشاهدات ، والاستطلاع، وغيرها، وكانت كلها عبارة عن مخاض لولادة التحقيق الصحفي الذي ظهر لأول مرة، في 4 سبتمبر 1939 بجريدة المصور المصرية تحت عنوان (مملكة الريف و دولة الإقليم) و هو إنتاج جماعي اشترك فيه عدد من مندوبي الجريدة ، بالإضافة إلى أبحاث البارزين من حكم المديريات و أدبائها (16)

يمكن إدراج عوامل بروز و تطور التحقيق الصحفي ضمن التصنيف التالي:

عوامل كامنة في الجمهور:

إن ارتفاع المستوى الثقافي للجمهور غير الاهتمامات و الانشغالات، فزاد في التساؤل عن المشاكل والإشكاليات المطروحة التي تحتاج إلى قدر من التفكير والتأمل. فالتحقيق الصحفي يساعد على تلبية هذه الحاجة خاصة في هذا العصر الذي أصبح الناس يتبرمون من ضيق الوقت.

تجدر الإشارة إلى أن التحقيق الصحفي لا يتجه إلى كل شرائح الجمهور، بل يستهدف الفئات الوسطى، ومن يملكون الاستعداد لمتابعة الشروح و التحاليل ، ويتسمون بقدر من الجدية و المقدرة على التحليل.

عوامل كامنة في المجتمع :

إن تطور المجتمع لم يحدث دون طرح مجموعة من المشاكل والصعوبات في مختلف مناحي الحياة: الاقتصادية، الاجتماعية، العلمية، التكنولوجية والبيئية. فدفعت البشرية للتفكير في كيفية تذليل العقبات والتخفيف من حدة المشاكل الجديدة التي تعترضها. فالتحقيق الصحفي يستطيع أن يسهم في ذلك بالدراسة و التحليل و تقديم الحلول والاقتراحات.

تقترن كتابة التحقيق الصحفي بالإدارة الاجتماعية في التغيير المأمول ، والإصلاحات التي يجب أن تنجز [17] فهو يكشف عن فرص إصلاح وتقويم ومسار التطور.

لقد أكدت رئيسة مركز الصحافة الاستقصائية في الفلبين، شيلة كورونال، على أنه بفضل التحقيقات الصحفية التي تنشرها الصحف وبقية وسائل الإعلام الفلبينية أصبح يطلب من كل مرشح للانتخابات، على مختلف المستويات، أن يصرح بممتلكاته ومصادر دخله. إن مكانة التحقيق تتطلب ترسانة من القوانين التي تطبق في أرض الواقع، مثل حماية الصحافي وإعفائه من الحبس الاحتياطي، والإقرار بحقه في عدم الكشف عن مصادر أخباره، وضمان سرية التحريات القضائية، وغيرها من التشريعات القانونية.

عوامل تتعلق بالوسيلة الإعلامية:

إن المنافسة بين وسائل الإعلام خلقت ديناميكية في العمل الإعلامي، وجرت الكثير من المؤسسات الإعلامية إلى استغلال ما تملك من طاقات وقدرات فعلية أو كامنة. لم تعد هذه المنافسة محصورة في مجال السبق الإخباري، بل امتدت إلى مجال الغوص في أعماق المشاكل والظواهر، و إلى

تناول المواضيع المبتكرة والحساسة والتي تحتاج إلى مهارات ومعارف مختصة من خارج قاعات التحرير (أطباء، خبراء في الاقتصاد والقانون والإستراتيجية) . ففي سعي الصحافي " جون لويس سرفرن شرابير " " Jean Louis Servan SChreiber" لحصر النقائص التي تعاني منها الصحافة ، يذكر قلة الاعتماد على هذا النوع الصحفي، ويوضح ذلك قائل (إن الضعف الشائع في الصحافة يأتي من عدم استغلال قدراتها في التحري و التحقيق بالقدر الكافي . فجل المساحة التحريرية في الجريدة تحجز لسرد أحداث الليلة الماضية كما أوردتها وكالات الأنباء . إن الإبداع الإعلامي الأصيل بواسطة التحقيق الطوعي يشكل استثناء (18)

إن مسح الكثير من العناوين الصحفية يؤكد حجم الاهتمام بالتحقيق الصحفي في مطلع الثمانينات إلى غاية التسعينيات. ففي فرنسا، على سبيل المثال، أصبحت وسائل الإعلام تعتني بالتحقيقات النقدية التي تنشرها الصحيفة الساخرة "لو كنار أنشنيه" (Le canard (enchaîné، بينما لم تكن تلتفت إليها أي وسيلة إعلامية في الستينات من القرن الماضي.

وجد التحقيق الصحفي في المجالات الصحفية المتخصصة، والعامة، ركيزة أساسية للانتشار والتطور، وذلك لاعتبارين أساسيين:

❖ تشكل المجلة نوعا من القطيعة مع الممارسة الإعلامية السالفة، لأنها استغنت أو طلقت نشر الأخبار اليومية و المواليد، والوفيات، والإعلانات الصغيرة المبوبة لتقديم مادة إعلامية أعمق وأكثر ثقلا.

❖ للمجلة متسع من الوقت يسمح لها بإصدار التحقيقات الصحفية التي تحتاج إلى قدر هام من الوقت لإنجازها.

هكذا يتضح لنا كيف ساهمت العوامل الثلاثة المتفاعلة: مجتمع / مؤسسة إعلامية / جمهور، في تطور استخدام التحقيق الصحفي، وهي العوامل ذاتها، تقريبا، التي كانت وراء ميلاد ما أصبح يسمى بصحافة البحث والتقصي:" presse d'investigation " أو صحافة المجموعة " presse du groupe "؛ إي الصحافة التي تقوم على البحث و التحري في القضايا الشائكة و التي غيرت أساليب العمل الصحفي فأصبحت مجموعة من الصحافيين تتقاسم أعباء التحقيق الصحفي. فإذا أشار أحد مراسلي الجريدة إلى ظاهرة تزايد حريق الغابات، على سبيل المثال، واقترحه على هيئة التحرير كموضوع للتحقيق الصحفي فقبلته. فيتم تقسيم العمل على الشكل التقريبي التالي: يكلف المراسل بالانتقال إلى عين المكان للإيصال بالسكان المجاورين للغابات، وبالحماية المدنية، والسلطات الولائية المكلفة بقطاع الغابات . ويكلف صحافي آخر بالاتصال بوزارة الفلاحة والغابات، وجمعية حماية البيئة، وفرق البحث المكلفة بتنمية الثروة الغابية. ويوجه صحافي ثالث للعمل في قسم الأرشيف لتجميع المعلومات الورقية والإلكترونية الخاصة بالإنجازات في قطاع الغابات والخسائر التي تلحق به سنويا و مقارنتها بإحصائيات بعض الدول إذا كان ذلك ممكنا.

وفي الأخير يضع كل واحد ما جمعه من آراء و معلومات تحت تصرف صحافي قدير يتمتع برشاقة في الأسلوب وسلاسة في اللغة، فيهضم كل ما كتبه زملاؤه، ويحرر، على ضوئه، تحقيقا صحفيا .

إن هذا المنتج الصحفي يختلف اختلافا جذريا على ما أصطلح تسميته بـــ "الملف الصحفي" الذي يعني الكتابة عن موضوع واحد بقوالب صحفية متعددة : المقال، الحديث الصحفي، الربورتاج، الصورة الصحفية...) .

حقيقة، يوجد من يعارض هذه الطريقة لأنها تفصل الصحافي عن إنتاجه، ويقدم مادة إعلامية خالية من بصمات الذين اشتركوا في إعدادها ، وتجعل المنتج الصحافي كأي منتـــج صناعي عرضه العمل المسلســـل " Le travail de chaîne " لكن السعي لكسب الوقت، والغوص في أعماق القضايا المعقدة والمشكلات العويصة، و الرغبة في تقديم الأفضل ، هي من بين العوامل التي فرضت هذه الطريقة في العمل .

يلفت نظرنا الباحث (أيف دو لاهاي) " Yves de la haye " إلى زاوية أخرى لتقييم الانقلاب الذي أحدثه التحقيق في العمل الصحفي، موسعا مجال هذا الأخير من نقل الأخبار إلى المساءلة والتفكير، حيث يقول :" نعتقد أن معنى التحقيق الصحفي – يجب أن نسميه بهذا الاسم حتى و إن كان مستهلكا – يحدد القطب الحقيقي للتنافر الفكري في الإعلام المعاصر. إنه شكل من التحليل الذي يفكك القسمات المهيمنة في الصحافة، والذي يتطلب الكثير من الوقت. إنه النوع الذي يحدث انقلابا في التصنيف المزيف والفاصل بين الملموس والمجرد، الذي تستند إليه إيديولوجية الحدث المفصول عن التعليق. إنه يقدم الواقع كمادة يفكر فيها ضمن شبكة من العلاقات المتناقضة ولا يعرضه كتراص للمعطيات الفظة. إنه يعارض المفهوم السائد الذي بموجبه يكون الإعلام الصارم صادر عن وجهة نظر فوقية بعيدة عن العراك. إن التحقيق الصحفي يساعد في اكتساب المعرفة التي تتبنى موقف. أي المعرفة الملموسة التي تكشف عن الرهانات المؤثرة في هذه الوضعية أو تلك." (19)

بالإضافة إلى العوامل العامة التي سبق ذكرها، من المنتظر أن يساهم نضوج عاملين خاصين في تطور استخدام التحقيق الصحفي في وسائل الإعلام الجزائرية.

❖ كان الكثير من ممتهني الصحافة و دارسيها يعتقدون أن غياب حرية التعبير والإعلام تقف وراء ضعف وسائل الإعلام الجزائرية، ووهنها في استخدام الأنواع الصحفية، خاصة التحقيق. وباتوا ينتظرون من " الانفجار الديمقراطي "المساهمة بفاعلية في ميلاد ممارسة إعلامية نوعية تطلق التجريد والتعاليق الإمتثالية، وتتجه لدراسات المشاكل والظواهر الملموسة مهدمة جدار الطابوهات والمحرمات والممنوعات، مبشرة بعلاقات جديدة مع الجمهور. وستنكسر شوكة المنافسة بين الصحف إذا استمرت على ما هي عليه: التسابق في نشر برقيات وكالة الأنباء الجزائرية. فبعد " الغليان " الديمقراطي من المنطقي أن يسلك التنافس بين هذه الصحف، خاصة إذا حملت بوادر التخصص، مسلكا أخرا: البحث والتحاليل والتقصي.

❖ يعاني المجتمع الجزائري الذي يعيش مرحلة الانتقال إلى اقتصاد السوق من مشاكل وظواهر في غاية التعقيد، ويحتاج إلى الأنواع الصحفية التي تعمل على تلبية حاجة الجمهور إلى معرفة و فهم ما يجري حوله. ويمكن للتحقيق الصحفي أن يساهم بفاعلية في تلبيتها .

❖ إن سحر التحقيق الصحفي وبريقه لم يعد يغري الكثير من الصحافيين ووسائل الإعلام المعاصرة، وذلك لجملة من الأسباب، نذكر منها:

أ – حذر الصحافيين من استخدام التحقيقات الصحفية، وخشيتهم من الوقوع في الفخ الذي تحيكه مصادر الخبر التي تزودهم بملفات عن هذه القضية الشائكة أو تلك: فيحدث أن تكون نية مصادر الأخبار إثارة ضجة حول هذه القضية أو تلك للنيل أو الإساءة إلى بعض الأشخاص المرتبطين بها، وليس كشف الغطاء

عن المستور منها· وبهذا تسقط الصحافة في مزالق تصفية الحسابات لا غير· والدليل على ذلك أن الكثير من المواضيع التي تغري الصحافيين بإجراء تحقيق صحفي حولها، تتحول إلى مجرد سبق صحفي لا يستثمر بالمتابعة·

ب – لا تميل الكثير من المؤسسات الإعلامية إلى اللجوء إلى التحقيق الصحفي، لأنه مكلف جدا على الصعيدين المالي والزمني، إذ يستغرق إنجازه وقتا طويلا. ويتطلب تفريغ صحافي أو صحافيين لمدة قد تصل إلى فصل كامل لمتابعة قضية محددة، أو مشكلة معينة، من أجل نتائج قد تكون هزيلة جدا، قد تثني وسائل الإعلام عن بثها أو نشرها.

ج – تراجع استخدام التحقيق الصحفي بسبب تقلص رقعة الصحافة المناضلة أو الملتزمة، دون أن تترك بصماتها القوية على العمل الصحفي· ولتوضيح هذه الفكرة يمكن أن نسوق المثال التالي: تلقى صحافي ينتمي إلى طاقم تحرير الصحيفة الفرنسية " Ouest France" (وست فرنس) رسالة عبر البريد المسجل باسمه تتضمن خطابا يكشف صاحبه عن سوء إدارة موقع للنفايات النووية· فرفض نشرها، بينما قامت منظمة حكومية مناهضة للطاقة النووية بنشر الخطاب ذاته الذي تلقته! وقد برر هذا الصحافي موقفه قائلا: "لا أعتقد بأن نشر هذا الخطاب يندرج ضمن دوري· لقد قامت المنظمة المذكورة بنشره على أحسن وجه، فمن غير المجدي أن نسعى للتحري في بعض القضايا أو للتنديد ببعض الفضائح· إن دور الصحافيين يتمثل في إعلام الجمهور بما يقوم به الغير للتنديد بهذه الفضيحة أو ذاك السلوك· إن الحياة الديمقراطية مصانة بدون أن يقوم الصحافيون بدور الحاكم أو القاضي، ويضعون ثقلهم في كفة النزاعات الاجتماعية"

د – إن المتتبع لنشاط المؤسسات الإعلامية يكتشف، ربما بدهشة، وزن البرامج الحوارية "توك شو" talk show التي تستضيف الكثير من المسؤولين على دوائر سياسية وإدارية، وفي شركات اقتصادية للدردشة حول الكثير من القضايا التي ليست بالضرورة مهمة أو أساسية بالنسبة للجمهور. إن إغراءات هذه الدردشة توحي بأن ضيوف وسائل الإعلام صادقين فيما يقولون، حتى وهم يتحدثون عن كل المواضيع بما فيها خصوصيتهم الشخصية، بينما التحقيق ينمو في ظل الشك في مصداقية أحاديث الأشخاص الرسميين.

موضوع التحقيق الصحفي:

لا يتطلب من مواضيع التحقيقات الصحفية أن تكون دائما ذات صلة مباشرة بالأحداث الطارئة . فنشر بعض التحقيقات الصحفية يكون، في بعض الأحيان ،وراء ميلاد الأحداث الآنية . فمن المحتمل أن يؤدي إلى صدور ردة فعل معارض لما جاء في هذه التحقيقات الصحفية أو مؤيد له، وتستقطب اهتمام وسائل الإعلام فتنشرها في شكل خبر صحفي أو حديث صحفي أو مقال صحفي .

يشترط في موضوع التحقيق الصحفي أن يتضمن مسألة أو مشكلا هاما يتطلب التفكير والمعالجة. فلا يمكن أن ننجز تحقيقا صحفيا عن الدخول الجامعي والمدرسي اللهم إذا طرح مشكلا: لماذا تأخر الدخول المذكور عن موعده ؟ ولماذا ارتفعت أسعار الكتب المدرسية؟ ولماذا انخفضت نسبة النجاح في الفروع العلمية ؟

يرى البعض أن التحقيق الصحفي لا يختلف كثيرا عن التحقيق البوليسي، لذا يعتقد بضرورة توفر الشرطين الأساسيين الخاصين بالتحقيق البوليسي في التحقيق الصحفي، و هما: [20]

- وجود واقعة أو عمل غير شرعي أو غير سوى.
- وجود من يكتمون هذا العمل غير الشرعي لمصلحتهم و يقاومون كل من يريد أن ينبش فيه.

يختار وجود التحقيق البوليسي المواضيع التي تتعلق بالمخالفات، ويسعى للبحث عن الجاني أو المخالف. بينما لا يرتبط التحقيق الصحفي بموضوع محدد وخاص بالمخالفات والسلبيات في المجتمع ، بل يمكن أن يكون موضوعه إيجابي، يطرح للدراسة حتى يكشف الأسباب الكامنة وراء إيجابيته فتعمم و تتحول إلى " موديل " يحتذي به .

يأخذ إنجاز التحقيق الصحفي المسار التالي:

يحصل الصحافي، في إطار نشاطه اليومي، على "خيط" يوصله إلى خبر أو معلومة، أو يلفت نظره خبر صغير غريب منشور في مجلة أو جريدة مغمورة. الخبر يحث على التفكير، ويعيد النظر في فهمنا للأشياء أو يشكك في سبب قيام فعل أو ردة فعل، أو يكشف عن جانب من حقيقة دفينة. فيشرع الصحافي بالتنقيب والبحث والتحري في صحة الخبر والمعلومة.

ينصح الصحافي في إعداده للتحقيق الصحفي إتباع طريقة العنكبوت التي تنسج خيوط بيتها من الخارج؛ أي على الصحافي أن يدنو من موضوعه بالاستعانة بالمصادر المحيطة بالقضية أو الموضوع ويقترب رويدا، رويدا، من قلب الموضوع.[21] فينطلق في مقارنة الشهادات واستنطاق الإحصائيات

والأرقام وفحص التواريخ، والاستنتاج. فكل هذا يحتاج توظيف أدوات الكتابة الصحفية وأشكالها المختلفة: (المقابلة، الخبر، البروتري، وغيرها)

إن الشيء الأساسي الذي يحرص عليه الصحافي في كتابة التحقيق الصحفي هو الصدق والدقة والموثوقية في المعلومات والشهادات. ففي غياب هذه الدقة والمصداقية يتحول التحقيق الصحفي إلى جملة من الاتهامات والتنديدات. كما أن التحقيق الصحفي هو نوع صحفي نقدي يتطلب الشجاعة والإقدام من طرف الصحافي والمؤسسة الإعلامية التي تنشره أو تبثه. إنه يقلق المؤسسات التي تسعى إلى حجب بعض الحقائق، ويصطدم بالأفكار المكتسبة والجاهزة، ويزعزع القناعات التي تعمي بصيرة الجمهور فيشكك في بعض الحقائق أو يطعن فيها.

مصادر التحقيق الصحفي:

من الصعوبات بمكان حصر مصادر التحقيق الصحفي نظرا لتعددها وتنوعها، لكن يمكن ذكر أهمها فقط، وهي:

- ملاحظة الصحافي وحدسه في النظر للأشياء وللواقع، وكذا تجربته الاجتماعية .
- تعليمات و أوامر المسؤولين عن الهيئات التي تتبع لها الوسيلة الإعلامية .
- ما تنشره وسائل الإعلام المختلفة، وما تقدمه من أخبار عن الأحداث والوقائع التي تخفي وراءها قضايا شائكة.
- تقارير الهيئات الرسمية حول الإنتاج، والتوزيع، والنقل، والمواصلات، والسكن، والعمل، والبطالة، والتعليم والتكوين، والصحة والجرائم وغيرها.

- انشغالات واهتمامات جمهور وسائل الإعلام المعبر عنها في البريد أو في المكالمات الهاتفية أو في الحصص الإذاعية والتلفزيون.
- ما تنشره مراكز الدراسات والبحوث العلمية .

أنواع التحقيقات الصحفية:

تصنف الأنواع الصحفية حسب الموضوع، مع العلم أن تحديد الموضوع ليس بالشيء الهين ولم ينج التحقيق الصحفي من هذا التصنيف، فصنف إلى تحقيق سياسي،و اجتماعي، واقتصادي، وثقافي، ورياضي.

ويوجد تقسيم آخر يخضع لعاملين متداخلين، وهما المحتوى والحجم، فصنفت التحقيق الصحفي إلى : (22)

التحقيق القصير: يتعرض لمشكلة صغيرة ذات جانب واحد ويمكن نشره في صفحة واحدة أو جزء من الصفحة.

التحقيق الطويل: يتناول قضية كبرى متشبعة الجوانب تتطلب جهدا صحفيا كبيرا لتفسير مختلف جوانبها وللبحث عن مختلف أسباها وهذا يتطلب نشره في عدة حلقات.

ويقسم د/أديب خضور التحقيق إلى ما يلي (23)

التحقيق الإيجابي: وهو النوع الذي يبحث عن ظاهرة إيجابية في الواقع، يكشف عن الأسباب التي جعلتها إيجابية ويقدمها كنموذج يحتذى به. ويجب ألا يفهم أن هذا النوع ينصرف للمدح و الثناء على الظاهرة أو على

فاعلها كما عودتنا بعض الصحف التي لا تعرف من العمل الصحفي سوى التملق والانتفاع الشخصي.

التحقيق النقدي: وهو النوع الذي يرصد المظاهر السلبية فيحاول تفسيرها ويكشف عن سبب ظهورها بالصيغة التي ظهرت بها، وعلاقاتها بغيرها من الظواهر السلبية المماثلة أو المتشابهة.بالطبع إن التحقيق النقدي ليس ذاك الذي يستهدف التهجم على الأشخاص والمؤسسات لتصفية حسابات قديمة. بل يسعى إلى رسم أفاق للتغيير نحو الأحسن من خلال تجاوز السلبيات والقضاء عليها و تحسيس الجمهور، بهذا الشكل أو ذاك ، بمسؤوليته في ذلك .

التحقيق المختلط: وهو النوع الذي يركز على ما هو سلبي و إيجابي في آن واحد. و غالبا ما يتصف هذا النوع بالواقعية (أقرب إلى حقيقة المجتمع) ويستخدم في الموضوعات التي يكون فيها مجال المقارنة واسعا وضروريا.

بنية التحقيق الصحفي:

تنصهر في التحقيق الصحفي الكثير من الخصائص والسمات المرتبطة بالأنواع الصحفية الأخرى " الأخبار " والتعاليق " و" السرد " و" الحديث أو المقابلة " و" المقال". فعناصر المقال تعمق الجانب التحليلي في التحقيق وتقدم رأيا مغايرا لما يملكه الصحافي، والمقابلة، تسمح للغير بتقديم خبرتهم وشهادتهم على جدية وواقعية الحقائق التي يعرضها التحقيق. أما الأخبار فإنها تزود التحقيق الصحفي بالمعلومات الإضافية.(24)

على ضوء ما سبق يحتاج الصحافي، في صياغته، إلى قدرة كبيرة لبناء النص الصحفي المطلوب، كما أوضحنا ذلك أعلاه، و إلى هضم جيد لمعطيات المشكلة التي يعالجها.

تتكون بنية التحقيق من العناصر التالية :

المشكلة – الاحتمالات – التحري والمراجعة – الخاتمة. إن هذه العناصر مستوحاة كلها من طريقة البحث العلمي بما فيها الترتيب والتسلسل، وقد ترجمت عمليا وفق الصيغة التالية:

الوضعية – أسبابها – الحلول الممكنة – الحلول المتخذة.

بالفعل، تشكل هذه الصيغة العملية الهيكل العظمي للتحقيق الصحفي. وحتى يكسى هذا الهيكل اللحمة الصحفية المطلوبة من الأفضل أن يكون على الشكل التالي:

1- **المقدمة** : من الصعوبة بمكان تقديم موديل جاهز لمقدمة التحقيق الصحفي، لأنها تخضع لمجموعة من الاعتبارات: طبيعة الموضوع، وطبيعة الجمهور، والحجم والأسلوب: لكن هناك مجموعة من الشروط التي تخضع لنا المقدمة أهمها: طرح المشكل بشكل واضح وقوي و جذاب.

2- **العرض والتحليل:** هذا هو العنصر المركزي في التحقيق الصحفي الذي تعرض فيه الوقائع والأحداث و تحلل بشكل منهجي و منطقي لتوضح المشكلة للجمهور و تفسرها له.

3- **الحلول – النتائج – الأفاق:** يجسد هذا الجزء الغاية من القيام بالتحقيق الصحفي، لأنه يتضمن تصورا لحل المشكلة و رسما لأفاق تطورها. يجب على

كاتب التحقيق الصحفي ألا يظهر الآراء التي يتضمنها نصه على أنها آراءه الشخصية أو الذاتية أو أنها اعتباطية أو انطباعية، بل يجب أن يبرزها كخلاصة لتحليله أو كنتيجة منطقية لما ورد في الأجزاء السابقة ، حتى يتقبلها الجمهور أو يقتنع بها. وتعبر،عموما، عن وجهة نظر الجريدة.

4- **الخاتمة** : لا تضيف شيئا جديدا للتحقيق الصحفي ، بل تذكر بموضوعه فقط. وتثبت في ذهن الجمهور التصور الذي توصل إليه التحليل.

عنوان التحقيق الصحفي:

توجد عدة تصنيفات لعناوين التحقيق الصحفي ، نذكر منه مايلي:

العنوان الدال: يدل بوضوح على موضوع التحقيق الصحفي ويلخصه: " التكوين قصير المدى وقصير الأفاق "[(25)]

العنوان الانتقائي: ينتقي جانبا معينا من الموضوع ليجذب الجمهور و يغريه على القراءة ، لأنه يختار الجانب الملائم لذلك .

مثل : "موقف الطلبة الذي غير وجه معهد الإعلام ".

العنوان الاقتباسي: و هو عنوان مقتبس من وثيقة أو من حديث شخص.

مثل : " يجب مكافحة البطالة و ليس تبرير وجودها " .

العنوان التعليلي: وهو الذي يحاول أن يعلل سبب وجود ظاهرة ما.

مثل : " النزاع الدائم حول الملكية العقارية سبب ضعف الإنتاج الزراعي ".

يُوضع عنوان التحقيق الصحفي، عموما، بعد الانتهاء من الصياغة كما هو الشأن في العمـــل الروائي أو المسرحي. و يتطلب الكثير من العناية و يحتاج إلى عناوين فرعية تكسر رتابة نص التحقيق.

إن متانة بناء التحقيق الصحفي وفاعليته ترجعان أساسا إلى مدى تقيد الصحافي بالالتزامات التالية:

❖ يجب أن يكون موضوع التحقيق الصحفي مهما بالنسبة للجمهور، وناضجا في ذهن الصحافي بشكل يمكنه من تقديم تصور لحل المشكل المثار في الموضوع. ويعتقد أن عدم هضم الموضوع جيدا يجعل التحقيق الصحفي عبارة عن مادة عسيرة على الفهم أو حشوا لمعلومات معروفة و مجترة.

❖ استيعاب موضوع التحقيق الصحفي جيدا سيمكن الصحافي، لا محالة، من طرح السؤال المحوري الذي يحدد الإشكالية ، ويوجه الإجراءات النظرية لإنجاز هذا النوع الصحفي . إن انفلات هذا السؤال المحوري من بين يدي الصحافي يدفع هذا الأخير إلى القيام بعملية "مونتاج" بسيطة لما في حوزته من وثائق ومعلومات لا يضيف لها شيئا أو ينصرف للدفاع، بحماس فياض، عن أفكاره المسبقة المتخذة من الموضوع، دون فسح للتحري في صحتها وحكها على بعض الحقائق : المعلومات المتحصل عليها، أراء الغير في الإشكالية المطروحة.

❖ لوضع التحقيق الصحفي في عتبة " الراهنية " التي تجذب اهتمام الجمهور يجب تطعيمه بمعلومات جديدة و أنية حتى لا يعطى الانطباع بأن النتائج التي توصل إليها غير مناسبة و غير مجارية لتطور الوضع ، أو عفي عنها الدهر.

❖ إن تشعب المعلومات و المعطيات والحقائق والشواهد قد تربك الصحفي وتطرح عليه السؤال التالي: كيف تستعمل هذه المعلومات بشكل لا يوقع

التحقيق الصحفي في التكرار والإطناب ولا يثقل هذا النوع الصحفي إلى درجة إرباك الجمهور؟

أحسن إجابة عملية على هذا السؤال تتمثل في ترتيب المعطيات حسب سياق منطقي يأخذ بعين الاعتبار حدس الجمهور وعتبة فهمه للقضية المطروحة وفاعلية صياغة المشكلة و طرحها لتصب، تدريجيا، في الاقتراحات التي يتضمنها التحقيق الصحفي ، أو في الحلول التي يقترحها والأفاق التي يرسمها. وهذا يعني تحرر الصحافي من سطوة النرجسية والتعصب حتى لا يقدم و جهة نظر واحدة، والتي من الممكن أن تكون وجهة نظره، في بداية التحقيق، ويبرزها على أنها النظرة الوحيدة و الممكنة. إذا، على الصحافي مساءلة هذه النظرة على ضوء مجموعة الأفكار و الآراء ووجهات النظر المطروحة في الساحة والمتعلقة بموضوع التحقيق. بهذه المساءلة ، يكتسب التحقيق الصحفي الصفة المبحثية أو الدراسية .

❖ هناك بعض الأصناف من التحقيقات الصحفية تحتاج ، بهذا القدر أو ذاك، إلى السرد، خاصة تلك التي تتعرض لمسائل و"ألغاز" تاريخية. لكن في هذه الحالة، لا يطلب من الصحافي تقمص شخصية الراوي ليسرد لنا الوقائع، بل لابد من أحيائها بالتحاليل والمناقشة والجدل حتى تساهم في توصيل الجمهور إلى الخاتمة.

أسلوب التحقيق الصحفي:

للاقتراب أكثر من ملموسية أسلوب التحقيق يجب التنبيه إلى شيئين أساسين وهما:

1 – إن مقولة " الأسلوب هو الرجل " صحيحة إلى درجة كبيرة، لكن لا يجب أن تطمس إمكانية صب ما هو شخصي و مرتبط بالصحافة في قالب عام ينمط المنتج الصحفي وفق مواصفات الإنتاج و الاستهلاك الثقافي.

2 – إن مقولة أسلوب التحقيق الصحفي هو أسلوب صحفي صحيح كل الصحة. لكن لا يجب أن تتخذ كذريعة لكتابة التحقيق الصحافي وفق نزوة عابرة أو هاجس غير متبلور بحجة أن الصحافة شيء متجدد ومتطور بتطور المجتمع ، وحتى نحافظ على تجدد الأسلوب لا يجب أن نسجن العطاء الصحافي في قوالب معينة، وبهذا تنسى القاعدة الأساسية في الأنواع الصحفية التي تنص على مرونة هذه القوالب التعبيرية .

هناك معطيات تتحكم في أسلوب التحقيق الصحفي و هي كالتالي:

- شخصية الصحافي و تجربته .
- نوعية الموضوع الذي يعالجه التحقيق الصحفي .
- نوعية الجمهور الذي يوجه إليه التحقيق الصحفي: مستواه الثقافي، اهتماماته و انشغالاته، خلفيته الحضارية.
- نوعية الوسيلة الإعلامية : و تعني الفروق الواضحة بين مجلة متخصصة وجريدة يومية ، وبينهما وبين وسيلة سمعية أو سمعية بصرية ، التي تتدخل في اللغة غير اللفظية و بالتالي تؤثر في صقل أسلوب التحقيق الصحفي .
- نوع التحقيق الصحفي الذي يتوافق مع أسلوب ملائم.
- طبيعة النوع الصحفي في حد ذات ذاته التي تتطلب تقديم الحجج والأدلة وفق تراتبية تنازلية وقف الأهمية. ويمكن أن يتخللها وقفات أسلوبية مرحة لتجديد اهتمام الجمهور بالتحقيق الصحفي.

لخص أديب خضور أسلوب التحقيق الصحفي فيما يلي [26] :

أ – أسلوب العرض: و يحتوي على قدر كبير من المعلومات و الآراء والمواقف يعرضها بالتدريج حسب هندسة خاصة تخضع للهدف من إنجاز تحقيق صحفي.

ب – أسلوب القصصي: يستخدم في المواضيع التي تمتد خلال فترة طويلة و تتدخل فيها عدة عناصر لتقديم شهاداتها و يتصاعد تدريجيا أسلوب الكتابة عنها ليصل إلى الذروة.

ج– الأسلوب الوصفي: ينكب على الوصف الدقيق للأماكن والأشخاص ليكشف عن خصوصية المنطقة أو موضوع التحقيق الصحفي أو خصوصية الفئة التي يتعرض لها التحقيق .

يستعين التحقيق الصحفي بالوصف لتطعيم التحليل، ويستخدم هذا الأسلوب بكثرة في الكتابة للمجلات .

يمكن الإشارة إلى بعض المظاهر الإخراجية للتحقيق الصحفي المكتوب والتي ترفع من انقرائته، وتزيد في فاعلية مضمونه، نذكر منها ما يلي:

❖ العناوين الفرعية:

توضع العناوين الصحفية بين فقرات التحقيق ليستطيع أن يأخذ أنفاسه ويستريح قليلا، وليجدد اهتمامه. ويمكن الصحافي من توجيه القارئ. ويكون هذا العنوان بسيطا وينطبق على الفقرة، ويقتبس، في الغالب، من نص الفقرة، ويكون عبارة عن فكرة، أو جملة صادمة، أو اقتباس قوي، أو صورة مؤثرة.

❖ الاستشهاد:

يوضع بشكل مستقل عن نص التحقيق الصحفي في قالب هدفه لفت النظر، أو خطف البصر نحو مقولة أو ملفوظ أو رقم مهم وأساسي أو تلخيص فكرة مركزية

❖ الإطارات:

قد يجلب الصحافي مادة تفيض عن التحقيق الصحافي، ويحتار ماذا يفعل بها. هل يحشرها في النص فيصبح مكتظا، ومزدحما، ومتشعبا؟ هل يلغيها ويرمي بها في سلة المهملات؟ لقد برهنت التجربة أن الحلين المقترحين غير مناسبين. فالصحافي يثري تحقيقه بمجموعة من الإطارات التي يضع فيها ما يعتقد أنه زائد عن نص التحقيق أو يتناول المشكل المطروح من زاوية أخرى أو يقدم معلومات إضافية، مثل: السرد الكرونولوجي، ومختصر عن سيرة شخص مركزي في التحقيق الصحفي، أو معلومات مختصرة جدا عن المدينة التي يتناولها التحقيق الصحفي. لكي تغير هذه الإطارات إيقاع التحقيق الصحفي، وتقضي على رتابته يجب أن يكون الإطار مستقلا عن التحقيق الصحفي ويفهم بدون الرجوع إلى قراءة نص التحقيق الصحفي، بمعنى أن حذفه لا يحدث أي خلل في بنية التحقيق الصحفي.

المراجــع:

1 - عبد العزيز الغنام: مدخل إلى علم الصحافة، المكتبة الأنجلو مصرية 1977، ص 150
2 - نفس المرجع، ص 152
3 - إجلال خليفة: اتجاهات حديثة في فن التحرير الصحفي، ص 65
4 - المرجع نفسه ، والصفحة ذاتها
5 - Yves Agnes , Jean Croissandau: *Lire le journal*, Ed F.P. Labies, France,1979, p35.
6 - Bernard Voyenne :*Glossaire de presse* ,C.F.PJ,1967.
7 - Cristaine Leineine: op cité
8 - أديب خضور: أدبيات الصحافة ، ص36
9- cité in Les genres journalistiques : www.crdp.ac- creteil. fr/cddp93/jour_scd/afairejournal/a132.htm
10- cité in: www.forum-warez.com/forums
11- نبيل حداد : التحقيق الصحفي ، شروطه و تطبيقاته ، الفكر العربي، مارس 1988 .
12 – Daniel E.Garvey ET William L Rivers: L'information radio- télévisée, principes, exemples, application, ed nouveaux 1982, p208
13-Mac Paillet, op cité, p 114
14-Viriol, op cité
15-Idem
16- إبراهيم إمام: دراسات في فن التحرير الصحفي، مكتبة الأنجلو مصرية، 1973 ص 146
17- ألبرت ل هستر : و أي لان ج تو : دليل الصحافة في العالم الثالث، ص 112
18 - Jean Louis Servan SChreiber :Le pouvoir d'informer, ed Robert laffont, 1972, p171
19 - Yves de la hayes, p 165
20- نبيل حداد : مرجع سابق .
21- Cite in http://www2.csduray.qc.ca/projetsrecit/eileen/ journalisme/lexical. htm#htm#genre1#genre1
22- إجلال خليفة: مرجع سابق
23- أديب خضور: محاضرات في الأنواع الصحفية ، معهد علوم الإعلام ، السنة الجامعية 1982 ، غير مطبوعة.

24- Maxime Richard: L'enquête, 9 octobre 2004
www.colir.net/programmes/arts_et_lettres/spip/auteurs.php3?id auteur; page consultée le 20/02/2006

25- الخبر / يومية ، الجزائر: 23/24 سبتمبر 1991.

26- أديب خضور: محاضرات في الأنواع الصحفية ، مرجع سابق.

"البورتري" الصحفي

LE PORTRAIT JOURNALISTIQUE

(الوصف هو ذاكرة السرد أو الحكي)

Maurice Mouillard et François Tétu

يعود مفهوم البور تري « Le Portrait» إلى عالم الرسم الزيتي[1] ، دخل إلى الأدب في القرن 17 و تطور كشكل متميز في القرن 19 تحت عنوان " البورتري «Portrait Littéraire » و منها انتقال إلى مجال الصحافة ليصبح نوعا صحفيا مستقبلا و متميزا .

رغم توجه الصحافة إلى الاستخدام المتزايد لهذا النوع الصحفي إلا أنه يعاني من قلة الاهتمام به على الصعيد النظري. فالكتب المتخصصة في الأنواع الصحفية، على قلتها ، تتجاهله . هذا ما تكشفه بوضوح التعاريف القليلة المحددة لخصوصيته . يمكن القول أن ممتهني الصحافة في الدول العربية لا يميلون إلى استخدام هذا النوع الصحفي إلا في الحالات القليلة، لجملة من العوامل، يأتي في مقدمتها إغفال أهمية هذا النوع الصحفي، وعدم الدراية بخصوصيته ووظيفته في الصحافة المعاصرة. فأغلبية معاهد الصحافة في الدول العربية لا تدرس هذا النوع الصحفي ضمن مقررات مادة التحرير أو الكتابة الصحفية .

بعض التعاريف:

- « مادة صحفية متخصصة لشخصية مدعمة بصورة فتوغرافية» [2]

❖ «مادة صحفية ترسم شخصية ما بإبراز ملامحها (مميزاتها البيولوجية، تصريحاتها، طريقتها الخاصة في الحياة، مظهرها الجسدي ...) تحرر بأسلوب رائع، وتسمى تارة «Profil »[3]

❖ نوع صحفي يقوم أساسا على تقديم وقائع آنية من الحياة الشخصية لفرد معين يقف لسبب ما في دائرة الضوء. كيف تنمو شخصية هذا الفرد وتتطور و تكتمل؟ ما هو، وما هو سلوكه في بيئة معينة وشروط إنتاج معينة وإبان مرحلة تطور تاريخية معينة (...) إن الأسلوب هو العنصر البارز في هذا النوع الصحفي»[4]

❖ (البورتري الصحفي يرسم شخصية معروفة أو مجهولة من خلال استعراض خصائصها: (سيرتها الذاتية، نشاطاتها، تصريحاتها، طريقة حياتها، مظهرها البدني) [5]

الفرق بين البورتري و الحديث الصحفي:

يقع الكثير من الصحافيين ضحية الخلط بين البورتري والحديث الصحفي أو المقابلة الصحفية. إن السبب الموضوعي في ذلك يعود في تقديرنا إلى أن البروتري يستطيع أن يستعين بما يمكن أن يجمعه من معلومات وأراء وانطباعات أثناء مقابلة الشخصية التي تشكل موضوع البورتري. فالحديث الصحفي يعتبر أداة لجمع مواد كتابة البورتري وليست غاية.

إن نقاط الاختلاف بين الحديث الصحفي و"البورتري" تبدو واضحة، وتتجلى أكثر في النقاط التالية :

1 - تسعى الأحاديث الصحفية إلى استجواب الشخصيات قصد تسليط الأضواء الكاشفة عليها أو على موضوع معين يدخل في دائرة خبرتها أو مجال مسؤولياتها. بينما لا يكتفي" البورتري " بمقابلة الشخصية فقط، بل يلتقي مع معارف هذه الشخصية وزملائها وأهلها للتزود بالآراء والمعلومات والانطباعات والذكريات وكل ما من شأنه أن يبرز الشخصية المختارة من منظور يختلف عن منظور الحديث الصحفي.

2- يعتمد الحديث الصحفي على أقوال الشخصية، أي على ما تصرح به فقط. فكاتب الحديث الصحفي يكتفي بما دونه من أقوال الشخصية المستجوبة ولا يحيد عنه قيد أنملة. لا يعدله أو يبدله ساعة نشره أو بثه. لذا يمكن القول أن الحديث الصحفي يملك " قيمة وثائقية " فهو أشبه بالنقل " الرسمي " أو "الموضوعي " لأقوال الشخصية المستجوبة. إن الحديث الصحفي، بعبارة أخرى، رؤية الشخص لذاته أو شكل من التدوين الذاتي للأفكار والآراء والتجارب والطباع ... بينما " البورتري " هو الرسم المتقن لملامح الشخصية انطلاقا من رؤية الصحافي الخاصة لها ، وهي الرؤية المشحونة بقدر من الذاتية.

3- لا يأخذ كاتب " البورتري " كل أقوال الشخصية توخيا للأمانة، وبشكل متسلسل، بل ينتقي بعض الأفكار والعبارات فقط، محتفظا تارة بطريقة نطقها، ويصوغها على ضوء المعلومات المتعلقة بالشخصية المذكورة ، ويمزجها بنظرته الخاصة لها.

4- يقوم الحديث الصحفي على الحوار والنقاش . أنه أخذ ورد بين الصحافي و المستجوب. بينما لا يرتكز " البورتري « Le portrait » على الأسئلة. أنه يتشكل من المعلومات التي تم الحصول عليها عن طريق اللقاء المباشر، أو غير المباشر بالشخصية: الاحتكاك المباشر بها، أو الإطلاع على ما

يروى عنها. ويتشكل " البورتري " من رؤية ذاتية لتفاصيل حياة الشخصية و لأعمالها و إبداعاقما ، ولكل ما يدخل في فضائها الخاص و المتميز والذي تم الوصول إليه من خلال شهادات المقربين وذكرياقم، ومن الملفات والوثائق الشخصية.

5- ينقل الحديث الصحفي أقوال الشخصية وشهادهّا بنفسها، بينما " البورتري "يحكي عنها ويصفها. فالحكي والوصف هي من خصائص هذا النوع الصحفي.

6 - يتطلب البرورتري، مثل الخبر الصحفي، عناصر الأخبار ومصادر متنوعة، لكن بنيته تناسب الربورتاج أكثر من الحديث الصحفي. (6)

7- دأبت وسائل الإعلام السمعية و السمعية البصرية على استخدام ما يطلق علية تسمية: (Interview-portrait) والذي يوحي، عن خطأ بأنه مزيج من الحديث و"البورتري " الصحفي . يدل مضمون هذه التسمية أنه شكل من أشكال معالجة الأحداث والوقائع الآتية « L’actualité » من خلال شخصية عايشها أو كان له الفضل في وقوعها: كاتب أصدر آخر إنتاجه، مخرج سينمائي أصدر فيلما جديدا، رياضي انتزع رقما قياسيا، وغيرهم.

ويقوم هذا الحديث برصد ردة فعل هذه الشخصية التلقائي إزاء ما يعرض عليه من صور تتعلق بما حققه ، أو إزاء ما يقدم عبر الشاشة الصغيرة أو عبر أمواج الإذاعة ، ويتضمن ما يقوله الآخرون عنه وعن ما حققه (7)

الفرق بين " البورتري " و الربورتاج " الصحفي:

يعرف البعض " البورتري بأنه ربورتاج حول شخصية ما. لعل هذا التعريف يثير الكثير من الغموض لدى الدارسين بين الربورتاج والبورتري. لذا تبدو الحاجة ماسة للكشف عن بعض الفروق التي تساهم في صنع الاختلاف

بين هذين النوعين الصحفيين، خاصة وأهما ينتميان إلى الأنواع التعبيرية. . وللمساهمة في ذلك نذكر ما يلي :

1- إن مركز ثقل الربورتاج الصحفي هو الحدث أو الموضوع ، بينما تمثل الشخصية مركز ثقل " البورتري " الصحفي.

2 - يتناول الربورتاج الصحفي حدثا أو موضوعا ما من خلال تفاعل الأشخاص معه (فاعلوه أو ضحاياه) مبينا كيف يتعايشون معه ، بينما يعد " البورتري " من أكثر الأنواع الصحفية التصاقا بحالة الفرد الخاصة والمنفردة والتي ليست، بالضرورة، مرتبطة بحدث ما.

3 - يكون الأشخاص في الربورتاج غير متميزين كل التمايز، يملكون خصائص و سمات مشتركة مع من يعيشون نفس ظروفهم. فلو قام صحافي بتغيير اسم الأشخاص أو استبدلهم بآخرين، فبنية ربورتاجه ومضمونه لا يتأثران كثيرا . بينما يملك الشخص في "البورتري " الصحفي مكانة هامة، ولا يمكن استبداله بشخص آخر، لأنه هو المقصود بذاته: باسمه، وملامحه، وطباعه، ومزاجه، وتجاربه الناجحة والفاشلة، وعلاقاته في عمله وفي وسطه الاجتماعي .وتصعب كتابة بورتري عن أي شخص بدون هذه الخصائص التي تميزه.

خصائص البورتري:

تتجلى خصائص هذا النوع الصحفي من خلال تحديد بعض نقاط الاختلاف بينه وبين بقية الأنواع الصحفية، التي يمكن أن نذكر أهمها:

أ - يهدف " البورتري " إلى رسم صورة لشخصية ما بإبراز ملامحها الظاهرة أو الدفينة و الاهتمام ببعض التفاصيل . يقول الناقد الفني " برنار فريس

" « Bernard Fraisse» (يقتصر البورتري في بعض الأحيان على أحد التفاصيل المتميزة) [8]

ب - لا يستهدف البورتري الصحفي « Le portrait» إخبار الجمهور، بل يعمل على غرس صورة الشخصية المختارة في ذهنه، لأسباب موضوعية أو ذاتية تراها الوسيلة الإعلامية والصحافي. ويسعى في بعض الأحيان ، إلى تحويلها إلى "موديل" يمكن تقمصه، أو رمز يؤطر طموحات وانشغالات الجمهور أو يتعاطف معه .فـ" البورتري" الصحفي مادة إبداعيه تخرج الشخص إلى الفضاء العمومي، وتحوله من فرد نكرة إلى شخصية حميمية وقريبة من جمهور وسائل الإعلام.

ج- ليس " البورتري " Le portrait " بيوغرافيا محررة بشكل مقتضب و إداري[9] ، إنه نوع إبداعي ينفرد بطريقته في توظيف المعلومات والانطباعات عن الشخصية ، وبقالبه الفني و بأسلوبه المتين و الرشيق .

د- يسمح " البورتري" للجمهور بمعرفة الكثير عن الشخصية المختارة: نمط معيشته، مزاجه، شخصيته، خبراته، مسار حياته، وليس شرطا أن يجمع الصحافي المعلومات عن هذه الشخصية من خلال الحديث الصحفي الذي يجرى معها. فلصحافي حرية الاختيار بين أخذ مقتبسات من مقولات هذه الشخصية التي استقاها من لقائه المباشر معها، ويدرجها في نص البورتري أو أنه يعتمد على المعلومات التي يدلي بها معارفها وأصدقاؤها وعائلتها عنها، وعن أفكارها.

هـ- يستفيد البورتري من العديد من الأنواع الصحفية. ويأخذ، أكثر، من تقنياتها على وجه الخصوص. فمن الربورتاج يأخذ تقنية الانتقال إلى عين المكان حيث يوجد الشخص ويعيش ويسجل ملاحظاته. ويستفيد من

مهارات التحقيق والتقصي والبحث والتنقيب عن المعلومات الدفينة أو المتسترة. ويأخذ من الحديث الصحفي مهارات طرح الأسئلة، وتوجيه دفة الحديث وتدوين المعلومات.

عوامل استخدام هذا النوع الصحفي وتطوره:

لم يأت هذا النوع الصحفي ليحل محل بعض الأشكال التعبيرية الأخرى، بل جاء ليكملها ، ويثري نظرتنا للوقائع ، و ليرفع من مقدرة وسائل الإعلام في التعبير عنها. فعلا، هناك مجموعة من العوامل التي أسهمت في تشكيل هذا النوع الصحفي، و طورت استخدامه، نذكر منها ما يلي:

1 - حاجة وسائل الإعلام إلى تنويع مادتها الإعلامية بحثا عن الانفراد والتمايز.

2 - الرغبة في تسليط المزيد من الأضواء على بعض الزوايا في حياة الشخصيات التي لا يفلح الحديث الصحفي في إبرازها. إن بعض الشخصيات لا تجيد الحديث عن تجاربها، وعلاقاتها، لجملة من الاعتبارات، نذكر منها: التواضع المفرط، والخجل، والتخوف من وسائل الإعلام، والمزاج الشخصي. فهناك شخصيات قليلة الحديث تتكلم باقتضاب (مثل رجال العلم) ، أو تضطر لفعل ذلك لضعف مستواها التعليمي والثقافي. إن الحديث الصحفي يعجز عن إظهار أبعاد عمل بعض الموهوبين والبارعين في النحت أو الرسم أو الرقص الذين لا يستطيعون التعبير عن إبداعهم لقلة زادهم الثقافي أو لعدم امتلاكهم خلفية نظرية عن نشاطهم. بينما يستطيع البورتري « Le portrait أن يفعل ذلك، لأنه يتحدث، بفاعلية، نيابة عن الأشخاص عملا بالمقولة التي تؤكد على أن الناس يتحدثون عن غيرهم بطريقة أفضل مما لو تحدثوا هم عن أنفسهم.

3 - تنجز بعض الأحاديث الصحفية وفق مقتضيات الأحداث ومتطلبات الآنية. وتحدد، على ضوئها، المواضيع ونوعية الأسئلة التي تطرح على المستجوبين، الأمر الذي يدفع الكثير من الشخصيات إلى تقديم الإجابات ذاتها في الأحاديث الصحفية التي يدلون بها لوسائل الإعلام رغم اختلاف الأسئلة.

4 - بعض الشخصيات تتحدث بدون انقطاع إلى حد الإطناب والثرثرة مما يؤدي بها إلى التعميم والتسطيح وطمس بعض الجوانب الجوهرية والأساسية والأصلية."فالبورتري " «Le portrait» يتجنب التعميم والكيلشيهات، و يبحث عن ما هو أصيل و فردي وخاص، فيرسمه بنوع من الدقة والتحديد اللذين يكشفان، بنوع من العاطفة والتأثر، الجوهر الإنساني في هذه الشخصية .

5- عندما يترل الصحافي إلى الميدان لإنجاز تحقيق صحفي أو روبورتاج يحدث أن يلتقي ببعض الأشخاص الذين يلفتون انتباهه لخصالهم الحميدة ولتضحيتهم بوقتهم و بمالهم في سبيل الآخرين ، أو لما أنجزوه من ابتكار علمي أو تكنولوجي، أو لما يتميزون به عن بقية المواطنين في طريقة الحديث أو التفكير أو النشاط، فيتفاعل معهم. و يصعب عليه الكتابة عنهم في نص يدمج في النوع الصحفي الذي عزم إنجازه: (ربورتاج ، تحقيق صحفي) و لو فعل ذلك لأضطر إلى تبديل الموضوع . أو النوع الصحفي أو لجأ إلى الحشو الذي يقضي على خصائص النوع الصحفي المرغوب. لذا يخصص لهم " بورتري " « Le portrait » وينشره في شكل مستقل عن الربورتاج أو التحقيق. وبهذا يكون هذا النوع جزءا أساسيا مما يسمى (خارج النص (hors texte) [10]

يلاحظ كل متتبع لنشاط وسائل الإعلام العربية أنها لا تستخدم هذا النوع الصحفي إلا في الحالات النادرة، فبعض البورتريهات تنشر بمحض الصدفة، وليس من باب الدراية والتخطيط . وهذا يعود في اعتقادنا إلى جملة من العوامل، نكتفي بذكر تلك المرتبطة بتاريخ الصحافة العربية والمتعلقة بالخصوصية الثقافية في بعض المجتمعات العربية:

6- لم يستخدم "البورتري" « Le portrait » كنوع أدبي في الثقافة العربية . فالأدب العربي يعتمد كثيرا على الشعر و السيرة الذاتية إلى حد ما.

7 - تهتم الصحافة العربية بما هو سياسي وتجنيدي بحكم خصوصيتها التاريخية، وتميل إلى استخدام الأنواع الصحفية الفكرية والعامة (المقال والتعليق) . فلا تهتم كثيرا بالأنواع الملموسة والميدانية مثل: " البورتري " « Le portrait » التحقيق الصحفي« L'enquête »

8 - لم يرتق الفرد في المجتمعات العربية ليكون المرجع المنظم للعلاقات الاجتماعية والسياسية كما هو الشأن في الدول التي برز فيها المجتمع المدني الذي فرض مفهوم المواطنة " «La citoyenneté» فما زالت العائلة و القبيلة والعشيرة والمنطقة، حاضرة في العلاقات بين الناس وتتوسط صلتهم بالمؤسسات الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية والثقافية. ربما لا تشجع هذه الحقيقة السوسيو – ثقافية وسائل الإعلام على استخدام البــورتري « Leportrait » الذي يهتم بسمات الفرد / الشخص الخاصة ويثمنها.

هذا إضافة إلى ما نعتقد أنه خاصية تميز شعوبنا والتي تتمثل في قلة تقبلنا لثقافة الاعتراف المنتشرة في الديانة المسيحية. ليس هذا فحسب، إنها أكثر

شعوب الأرض كتمانا وصمتا، وإذا أردنا أن نقول شيئا من دواخلنا قلناه مواربة تيمنا ببيت الشاعر.

إذا جئت فأمنح طرف عينك غيرنا كي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر.

إن غياب ثقافة الاختلاف والتمايز في العديد من المجتمعات العربية لم يسهم في استخدام هذا النوع الصحفي. فطالما أن الأشخاص متماثلين ومتشابهين في الوعي الجماعي، أو من المفروض أن يكونوا كذلك ، فما الجدوى من استخدام هذا النوع الصحفي الذي يؤكد بقوة على الاختلاف والتمايز بينهم ؟

أنواع البورتري:

يقع البورتري في نقطة تقاطع البعدين: الذاتي والموضوعي، ويأخذ عدة أشكال بالنظر إلى حجم حضور هذين البعدين. وقد صنفت هذه الأشكال إلى ما يلي:) [11]

- ❖ البورتري الكلاسيكي: وهو النوع الذي يسجل المراحل الأساسية في المسار المهني لشخصية ما. وينتج عادة عندما تتم ترقيتها شخص ما إلى منصب، أو بمناسبة نجاحها أو حصولها على جائزة أو تكريم كبير.

- ❖ البورتري الحميمي أو النفسي: وهو النوع الذي يكتب بحميمة وعاطفة جياشة، تكون العلاقة بين موضوعه (الشخصية) والصحافي قوية وموغلة في ذاتيتها.

- ❖ البورتري– روبرتاج: وهو النوع الذي يرسم الشخصية ونشاطها بطريقة غير مألوفة وغير تعاقدية (نكت، صورها، أقوالها). وأحسن مثال على

هذا النوع من البورتري ما دأبت صحيفة " ليبراسيون" (Libération) الفرنسية على نشره في صفحتها الأخيرة. (12)

كيفية إنجاز هذا النوع الصحفي:

يتميز هذا النوع الصحفي ببنية جد معقدة تعود، في اعتقادنا، لمجموعة من العوامل، نذكر منها ما يلي :

- تختلف كتابة " البورتري " « Le portrait » من شخص لأخر ، ومن وضع لأخر : فحالة الانفعال التي تحيط بفعل الكتابة و المعالجة تؤثر على مضمون " البورتري " بشكل يختلف عن تأثير حالة الإحباط و السأم.

- لا تمثل الشخصيات "موديلا" واحد قابلا للتجنيس « l'homogénéisation» والاستنساخ . إنها عالم من الثراء و التنوع و الاختلاف حتى في أبسط الأشياء.لذا تكون الكتابة عن هذا الثراء شديدة التلوين و التعقيد.

- تتطلب كتابة " البورتري " «Le portrait» التحكم في تقنيتين متداخلتين ومتفاعلتين، وهما: الوصف والحكي عن الشخصية ... فالوصف يشمل المرئي واللامرئي . والحكي يتغير، ويتبدل بمدى قرب الصحافي من الشخصية، و مقدار ما يملك من معلومات عنها.

- يتضمن " البورتري " « Le portrait » عناصر عقلانية و عناصر ذاتية لا تدرج في النص وفق شكل واحد من البناء ، بل تتغير و تتبدل باستمرار. هذا مع الإشارة إلى أن العناصر الذاتية تتطلب نوعا من التفاعل مع الشخصية، وهامشا من الآلفة و التعاطف معها أو الإعجاب بها. فإذا غاب هذا الهامش أو هذا التفاعل أصبحت الصورة الصحفية حشوا لمعلومات رسمية تكتب بشكل جاف ومحايد.

❖ تتطلب كتابة " البورتري " «Le portrait» جمع المعلومات عن الشخصية من خلال المقابلات مع أصدقائها في العمل أو خارجه، ومعارفها، و أيضا من خلال ما كتب عنها أو عبر ما تتيحه معاشرتها لبعض الوقت و ملاحظات تصرفاتها التلقائية، والاستماع إلى ما تدلى به من معلومات عن تجاربها، وحيرتها إزاء هذه القضية أو ذاك الموقف .

❖ يحاول الصحافي أن ينحت صورة لهذه الشخصية من المعلومات الموضوعية والذاتية، فيجمع شتاتها ليشكل منه لوحة لها. إنها اللوحة التي تنقل المشاعر والأمزجة، وتكشف عن الاندهاش و تدعو للتعاطف مع الشخصية أو الإحساس بالقرب منها.

❖ تختلف كتابة "البورتري " « Le portrait» باختلاف الصحافيين، ولتباين مستويات تفاعلهم ودرجة هضم ما جمعوه من معلومات و لمقدرتهم الإبداعية. فالمنتج النهائي يلخص رؤية الصحافي للشخصية. هكذا يتضح لنا أن كتابة " البورتري " الصحفي تتمتع بقدر كبير من التفرد و التمايز.

بعض الجوانب الإجرائية في كتابة البورتري:

رسخت الممارسة الصحفية بعض التقاليد الإجرائية والعملية لإنجاز هذا النوع الصحفي، والتي تصقل المهارات المهنية، و تفيد كل صحافي يقف في بداية مشواره المهني. ويمكن إدراجها وفق الترتيب التالي:

1 – إذا كانت هناك ضرورة للقاء الشخصية لقاءًا مباشرا، فيجب أن يتم بعد أن يكون الصحافي قد جمع كمًا من المعلومات عن موضوع البورتري؛ أي روايات وشهادات من المقربين منه، ثم يختار بين إجراء لقاء معها موجهًا (أسئلة معدة سلفا وفق ترتيب واضح) أو مقابلة حرة؛ أي ترك الفرصة

للشخصية للحديث بحرية مطلقة فيما تحبذ أن تتحدث عنه طالما أن الصحافي غير مجبر على نقل ونشر كل ما تصرح به. إن الاختيار تفرضه بعض الاعتبارات: مدى حجم المعلومات التي تم تجميعها على الشخص، درجة علاقة الصحافي بالشخصية موضوع البورتري. لكن الفصل في هذا الاختيار ينتج عن عاملين: الزاوية التي يريد أن ينطلق منها الصحافي في رسم الشخصية، وطبيعة هذه الأخيرة ومزاجها. مهما كان الاختيار فيجب أن تكون أسئلة الصحافي مرتبة وفق ثلاثة أصناف: أسئلة تحديدية (معلومات عن تاريخ الميلاد، و الحالة الاجتماعية، والمستوى التعليمي، والنشاط المهني) وأسئلة ذات طابع إنساني؛ أي تلك التي تكشف عن البعد الإنساني في الشخصية عبر تجربتها الاجتماعية والعاطفية. وأسئلة ذات طابع فكري تطرح إذا فرضتها الضرورة فقط.

2 - يجب ألا نغفل الجوانب الذاتية والحميمة في حياة الشخصية في كتابة البورتري، سواء تلك التي تعبر عنها هي بالذات فتقتبس بصوتها الحي أو من خلال وضعها بين قوسين. أو التي يستنبطها الصحافي. لذا لابد من تسجيل الانطباعات التي يولدها اللقاء بالشخصية المختارة، وترصد حركاتها وسكناتها، وشكل تفاعلها مع الغير وطريقة ضحكها وشربها وأكلها. إن هذه الجوانب تبعث الحياة في "اعترافات " الشخصية وشهاداتها.

3 - لا تجادل الشخصية في أفكارها أو أرائها، لأن الهدف من الالتقاء بها ليس التحري في صحة المعلومات وصواب الآراء، بل إبراز الجوانب المختلفة في مسارها المهني والاجتماعي.(13)

4 - يجب على الصحافي أن يتحرر من تجربته الشخصية وميولاته الثقافية والترفيهية، ويحاول أن يهتم بشغف الشخصية واهتماماتها وميولاتها الخاصة.

5 – بعض الشخصيات تحبذ الانصراف للحديث عن الأنا أكثر مما تهتم بالجوانب الموضوعية في الحديث، وبعضها الأخر يلجأ، من باب التواضع، إلى طمس هذه الأنا، وإبعادها عن مسار الحديث الموضوعي عن مشاور حياته. فالمطلوب من الصحافي أن يوازن بين البعدين في حياة الشخصية[14]

6 – إن الصحافي الذي يعد بورتري لشخصية ما يشبه إلى حد كبير المخرج السينمائي الذي يعمل على تصوير أكثر من حاجته. يصور لعدة أيام متتالية ليأخذ ما يتطلبه فيلم طويل لا يتعدى 90 دقيقة. لذا على الصحافي أن يدون كل التفاصيل، حديث الشخصية، ملاحظاته على المكان الذي نشأ فيه، والمكان الذي أجرى فيه الحديث معه. و لا يجب أن يغفل أي شيء. وعندما يشرع في التحرير فإنه بكل تأكيد يستغني عن الكثير من الأشياء التي دونها لأن زاوية البورتري وشكل معماره ومدته أو حجمه تفرض هذا الأمر.

7 – يستغل الصحافي لقاءه بالشخصية التي يريد أن تكون موضوعا للبورتري الذي ينوي إنجازه ليتأكد من بعض المحطات في حياته التي أثارت خلافا أو مواقفه التي أثارت ضجة لدى بعض الأوساط. ويتأكد فيما نسب إليه من أقوال ساخرة أو نكت.

8 – إن الصحافي ليس قاضيا يحكم على مواقف وأراء الشخصية التي تتحول إلى موضوع بورتري. فإذا لاحظ أن هناك تناقضا في أرائه ومواقفه [15]، ولم يوفق في الكشف عن أسباب هذا التناقض من طرف الشخصية المعنية أو أصدقائه أو عائلته، فليتركها كما هي لأنها ربما تشكل جزءا من شخصيته. فالجمهور هو الحكم في أخر المطاف.

أخيرا يمكن الإشارة إلى تجنب استخدام هذا النوع الصحفي لتصفية حسابات قديمة مع شخصية ما من خلال إعداد بورتري عنها يجمع كل السلبيات والنقائص في مسيرتها ونقاط الضعف في شخصيتها، أو العكس الانصراف إلى تفخيم مسارها وتجميله إلى درجة أنه يخرجه من صنف البشر ليضعه في مقام الملائكة مما يضعف مصداقية ما يكتبها عنها.

المراجـــع:

1 -كان الرســام الروســي الشهــر « Valentin Alexand Drovith Serov » (1865-1911) من أبرز رسام البورتري الروس المغمورين. لقد رسم لوحة رائعة للفنانة الكبيرة « Marie Nicolaevna Ermolova» الفنانة التراجيدية التي تشتغل في مسرح مالي « Maly » الشعبي ، وهي تؤدي دورها في مسرحية: (Les brigeants) " لشيلر . لقد ظلت هذه اللوحة خالدة في روسيا ، ومنها استلهم المخرج المسرحي الروسي« Stanislavski » في كتابة " بورتري " هذه الفنانة، جاء فيه على الخصوص : « إن "ماري نيكالونوفا أرمالوفا " عهد بأكمله من المسرح الروسي . إنها رمز الجمال، والأنوثة و القوة والتواضع و البساطة لجيلنا . كانت ذات مواهب نادرة: رشاقة ، إلهام، إحساس وعمق إنساني لا ينضب ... تعيش يوميا، تقريبا، فوق الخشبة ، لتعطي الروح دائما لأبطال جدد . يعيش أبطالها في الذاكرة حياة خاصة ، ومن خلالهم تنبعث شخصيتها الروحية»

C.S Stanislavski : Ma vie dans l'art, cité par S.M Einstein, Cinématisme, peinture et cinéma, éd complexe, 1980, p 222

2 - Pierre Algery (sous la direction) : Lexique de la presse, éd Dalloz –Paris 1985.

3 - C.F.P.J :Lexique des termes de presse, 1991

4 - أديب خضور: أدبيات الصحافة: كلية الآداب و العلوم الإنسانية جامعة دمشق 1986 ص 36-37

5 - Martin-Lagardette : Le guide de l'écriture journalistique, Paris, Syros, 2000

6 - L'information sur l'actualité et les genres journalistiques www2.csduroy.qc.ca/projectsrecits/eileen/journalisme/lexical/htm#genres1#genre1, page consultée le 20/02/2006

7- C.F.P.J : Guide du correspondant local, Paris 1990

8 - Bernard Fraise : Picasso et le portrait, Revue des deux mondes, décembre 1996

9 - Yves choron : L'interview , ed C.F.P.J 1989.P 31

10- نظرا لكون " البورتري " متأثرا بالرسم و الفنون الزيتية ، يستحسن الاسترشاد بما قيل عن البورتريهات " التي رسمها الفنان الفذ " بيكاسو " :(وضع بيكاسو في سنة 1935، ما أصبح يميز اسمه : رسم عينين في خد واحد. الشيء الذي كان يعد بدعة وقدحا في ذلك الوقت . لكن في القرن

العشرين، الذي خطت فيه العلوم إلى ما هو ابعد من المظهر المرئي، أصبح من الأحسن إدراك أن الصورة الذهنية التي نملكها على أي شخص ليست صورة جانبية و ليست صورة وجهه الأمامي، لكنها صورة كاملة)

Bernard Fraisse: Picasso et le portrait, Revue des deux monde, décembre 1999

11-Yves choron : l'interview, éd CFPJ 1989, p31

12- MARTIN-LAGARDETTE Jean-Luc. Le guide de l'écriture journalistique, Paris, Syros, 2000

13- Anne Dhoquois : L'écriture de presse, http://www.cndp.fr/revueTDC/809-41540.htm , page consultée le 20/02/2006

14- idem

15- idem



"معرض" الصحف REVUE DE PRESSE

«إن كل ما لدي من معرفة ... هو نتج قراءاتي في الصحف»

ويل روجـــر

ارتأينا أن تتجنب الترجمة الحرفية لاسم هذا النوع الصحفي حتى لا نسميه مجلة الصحف. فهذه التسمية توحي بأن هذا النوع يقدم مادة دسمة وضخمة وشاملة لكل ما تكتبه الصحف المختلفة، بينا حقيقة هذا النوع الصحفي تدل على غير ذلك كما تبين التجربة الصحفية وتكشفه التعارف التالية:

تعاريــف :

«هي مقتطفات من الصحف تصاغ وفق شكل معين وتتمحور حول موضوع معين»(1)

❖ «هو تركيب لمجموعة من مقتطفات الصحف وبعض المقالات الصحفية التي يعاد إنتاجها كاملة»(2)

❖ « إن معرض الصحافة هو مقارنة بين ما تنشره الصحف. يأخذ مقتطفات من المقالات والافتتاحيات. تجمعها وتقوم بتركيب " مقتبسات" منها وترتب وفق زاوية خاصة حول موضوع معين. » (3)

❖ «إن معرض الصحافة هو استكشاف لما تنشره الصحف من اجل فهم وجهات النظر والأطروحات التي تلتقي أو تتعارض في الصحيفة حول موضوع أو حدث ما. ويقدم من خلاله توجهات ورأي كل صحيفة »(4)

❖ « يمكن أن يأخذ معرض الصحافة صيغتين: عرض مجمل ما تكتبه الصحف حول موضوع معين أو عن قطاع معين من النشاط، وهذا ما يقوم به الملحقون الصحافيون لمؤسساتهم . أو عرض لمقتطفات ما تنشره الصحف حول المواضيع المختلفة. وهكذا يشكل معرض الصحافة بانوراما لتنوع الأحداث في اليوم. وهذا ما تنجزه عادة الإذاعات والتلفزيونات، ويطلقون عليه معرض الصحافة، وهو نوع من أنواع الكتابة الصحفية »(5)

يطرح إنجاز هذا " النوع الصحفي " سؤالين أساسين: ما هي الغاية من إعادة نشر أو بث ما تكتبه الصحف بالشكل الذي ورد به؟ ولماذا يختار كاتب معرض الصحافة قالبا من التحرير يتمتع بنوع من الحرية في انتقاء بعض ما تكتبه الصحف، ويعيد قراءته وحكه على أقوال أخرى من صحف أخرى ، أو على ضوء أحداث غير معلنة ومواقف معروفة لتيارات سياسية أو لأحزاب أو لرجال المال و الأعمال ؟

الإجابة على هاذين السؤالين هي التي تحدد شكل ومحتوى "معرض الصحف" «La revue de presse» وتوضح أكثر وظيفة هذا النوع الصحفي في وسائل الإعلام المعاصرة: هل نخبر الجمهور بما تضمنته الصحف ؟ يفترض هنا أن الجمهور المستهدف لا يملك الوقت أو المال أو المزاج لقراءة كل الصحف من جهة، و لفحص كل ما جاء فيها من جهة أخرى.

هل نقدم " معرض الصحف " في الوسائل السمعية البصرية لشريحة من الجمهور لا تملك ناصية القراءة ؟

هل ننجز "معرض الصحافة" للكشف عن اتجاهات الصحف إزاء مشكل أو حدث معين أو قضية، ونقدم مواقفها ؟ هل نسعى من خلال " معرض الصحافة " لمساعدة قراء الصحف وتوجيههم ؟

لم يظهر " معرض" أقوال الصحف" كنوع صحفي بدافع إعلامي وإخباري، بل جاء ليساير ميلاد صحافة الرأي الشغوفة بمعرفة مواقف الخصم السياسي و الرد عليها. قبل أن تتعدد الغاية من استخدامه، حيث أصبحت وسائل الإعلام تنتجه و تنشره كنص إبداعي .

أهمية " معرض الصحافة":

تكمن أهمية هذا النوع الصحفي فيما يلي :

1 - يقدم مادة لإعلام الجمهور ومسؤولي المؤسسات المختلفة، تسمح لهم بمتابعة التطورات الخاصة في الداخل والخارج، وفي معرفة المستجدات في قطاعاتهم .

2 - إن " معرض الصحف " المتخصصة « revue de presse spécialisée » هو أداة عمل ضمن بقية أدوات العمل الأخرى، تمكن المسؤولين من النشاط والحركة و التدخل في الوقت المناسب.

3 - يسمح هذا النوع الصحفي للجمهور بمعرفة الصحافة أكثر من خلال الكشف عن مواقفها وتقديم صحافييها.

4 – يساعد "معرض الصحافة " القارئ ويوجهه في قراءته اليومية" الروتينية " للصحف، فيوفر له الكثير من الوقت و الجهد.

5 – إن " معرض الصحف "أداة إضافية بيد الصحف ووسائل الإعلام الأخرى لجذب الجمهور من خلال إحداث نوع من الألفة والتعود لديه عبر تقديم منتظم " لنفس المادة " في وقت محدد أو زاوية معينة.

أنواع " معارض الصحـف":

ينقسم "معرض الصحف "حسب طبيعة المتلقي، وطرق العمل لإنجازه (6) ويمكن تصنيفه كالتالي:

❖ شكل يقوم على تصوير المقالات أو المادة الصحفية المنتقاة. ويتميز هذا الشكل بأنه سريع الإنجاز وسهل لكنه مكلف في المال وفي الوقت الذي يستغرق في قراءته وعسير على الفهم. وبهذا يخل بإحدى الأهداف من إعداد " معرض الصحافة " والمتمثلة في تسهيل قراءة الصحف بشكل انتقائي. يستخدم هذا الصنف بشكل خاص في المؤسسات, ولا يوجه للجمهور العريض: جمهور وسائل الإعلام .

❖ شكل يجمع بين الطريقتين المذكورتين، يحاول أن يستفيد من مزاياهما، إذ يلخص ما تنشره بعض العناوين، و يضيف له صورا مستنسخة عن ما يهم المتلقي. هذا الشكل يهم، أيضا، المؤسسات الإدارية و الاقتصادية.

❖ يمكن أن نضيف لهذه الأشكال شكلا آخر تستخدمه بكثرة وسائل الإعلام المعاصرة. إنه الشكل الذي يمنح للصحافيين حرية أكثر، و ويوفر لهم مرونة في التعامل مع ما نشرته الصحف. ويتيح لهم الفرصة الكاملة للإبداع من خلال

اختيار الموضوع أو الأسلوب المعالجة . يعتمد هذا الشكل على ما جاءت به الصحف ، ويأخذ صيغة التعليق أو المقال الصحفي أو العمود الصحفي. فيخبر القارئ بشكل انتقائي بما ورد في الصحف، ويعقب عليه، وينتقده، ويبحث عن خلفيات ما نشرته الصحف و ما اقتبسه. و يقوم، تارة، بالمقارنة بين ما تنشره الصحف حول موضوع واحد للكشف عن اختلاف مواقفها أو تعارضها.

يوظف هذا الشكل لإبراز شخصية الصحفية المتميزة، خاصة صحافة الرأي. و يكون مركز ثقله الموضوع المختار أو الفكرة المركزية.فيجوب كاتب هذا النوع الصحفي بالقارئ الصحف المختلفة بحثا عن ما يميزها في تناول هذا الموضوع أو ذاك. وهكذا يجد القارئ أمامه نصا صحفيا إبداعيا يأخذ خصائص التعليق .

كانت جريدة «Algérie -actualité» الجزائرية تنشر في سنتي 1987-1988 هذا النوع من " معارض الصحافة " تحت عنوان « Kiosque arabe » يكتبه نفس الصحفي كل أسبوع. و يقدم ما كتبته الصحافة الصادرة باللغة العربية (الصحف المشرقية) للقارئ الجزائري سواء ذاك الذي لا يعثر عليها في الأسواق الجزائرية أو الذي لا يتقن هذه اللغة. و بدأت جريدة « Le monde» الفرنسية، في أواخر سنة 1996 ، في نشر هذا النوع من معارض الصحافة تحت عنوان « Kiosque» يكتبه كل يوم صحافي، يتناول فيه حدثا وقع في فرنسا بعيون أجنبية، مثل الانتخابات التشريعية الفرنسية المبكرة من خلال الصحف البريطانية، أو يعرض فيه حدثا وقع في دول ما بعيون صحافتها المحلية . أما الجريدة « La tribune» الجزائرية، فإنها تصدر في كل أسبوع " معرض للصحافة " تحت عنوان ثابت « سوق الكلام» الذي ظل يكتبه صحافي واحد ينقد فيه ما تكتبه الصحف في شتى المواضيع. فيصوغ نصه

انطلاقا من فكرة أو موضوع معين محاولا إعطاء معنى لتشتت اهتمامات الصحف في الوقت الذي كان من المنتظر أن تتوحد. أو يفسر معنى إجماعها على رأي واحد في ظرف كان من المتوقع أن تتنوع.

لا توجد طريقة واحدة لتحرير "معرض الصحافة" و إنجازه في وسائل الإعلام. فالأمر يختلف باختلاف الوسيلة الإعلامية : صحافة مكتوبة ، إذاعة، تلفزة و دورية صدورها أو بثها، و أيضا باختلاف صنف معرض الصحافة المستهدف .لذا نكتفي بتقديم بعض التوصيات التي يمكن أن نتقيد بها في إعداد " معرض الصحافة " :

- معرفة الصحف جيدا: عدد سحبها و طبيعة جمهورها، ونفوذها، وموقفها السياسي و الإيديولوجي و ارتباطاتها المالية و الثقافية.

- معرفة مصادرها الإخبارية الدائمة أو الظرفية.

- معرفة الصحافيين الذين يكتبون ويوقعون أسمائهم الصريحة أو المستعارة، الأمر الذي يساعد كثيرا في فهم ما تتضمنه الكتابة الصحفية وفي معرفة طريقة المعالجة و الأسلوب.

- مقدرة فائقة في التمييز بين ما هو خبر ومعلومة وبين التعليق عليها. والالتزام بعدم الخلط بين ما تقوله الصحف وبين ما يريد قوله معد معرض الصحافة. فمثل هذا الخلط يثير الارتباك، ولا يساعد المتلقي في فهم مضمون الصحف.

- الوقوف عند عناوين بعض المواد الصحفية، لأنها تكشف عن خط الصحف و توجه القراءة.

- قراءة افتتاحيات الصحف التي لازالت ملتزمة بمبادئ صحافة الرأي، وظلت مداومة على نشر الافتتاحيات بشكل مستمر و منتظم.
- عدم تكرار نفس المعلومات التي تضمنتها كل الصحف لأنها تثير السأم وتغذي الملل لدى الجمهور .

فالمفروض من معرض الصحافة ألا يقدم "سجل" (répertoire) لكل ما تضمنته الصحف . فإذا اشتركت صحيفة ما مع غيرها في نشر مادة صحفية معينة لا يجب أن نذكر بأن هذه الصحيفة كتبت، ثم نضيف و من جهتها كتبت تلك الصحيفة عن ذات الموضوع قائلة، ونورد نفس المعلومات التي ذكرها آنفا ، كما يفعل " معرض الصحف " الذي يقدمه التلفزيون الجزائري صباح كل يوم أو الذي تقدمه القناة الأولى في الإذاعة الوطنية.

- عدم تبديل الصحافيين الذين تعودوا على إعداد هذه المادة الصحفية والذين اكتسبوا طريقة في القراءة، و الكتابة و تعرفوا على الكثير من الصحافيين عبر كتاباتهم، واكتنزوا تجربة الكشف، بأبسط السبل، عن الاختلافات بين الصحف

يجب أن يدرك الصحافي جيدا أن غاية العديد من " معارض الصحافة " يتمثل في مساعدة الجمهور على القراءة، خاصة ذاك الذي لا يملك الوقت ولا الإمكانيات المادية و الثقافية للقيام بذلك. وتوجيهه نحو ما يجب أن يقرأ من خلال تقديم بعض المواقف التي تضمنتها كتابات الصحف المختلفة، والتي من الممكن ألا ينتبه إليها لو اتجه مباشرة إلى قراءتها بمفرده.

لذا، لا ينصح بتقديم التحاليل الواردة في كل الصحف وملأ الصفحات بالاقتباسات الطويلة والفقرات المسترسلة التي تبعث الملل لدى الجمهور، بل يجب العمل على اختيار الأفكار الجديدة والمبتكرة و المواقف الفريدة أو المغايرة

مع الحفاظ على أصالتها ، و التحرير من الرقابة الذاتية في نقل أفكار الغير وأقوالهم بمعنى أن لا تمارس رقابة على أفكارهم .

إن أحسن "معرض الصحافة" هو ذاك الذي لا يأخذ شكل مستودع للاقتباسات المتلاصقة والمتراصفة التي يغرق فيها الآني وسط سيل القديم، ويدفن فيها الخاص والمنفرد في ثنايا ما هو مشترك وعام.

إن " معرض الصحافة " هو نص يخضع لضوابط الكتابة الصارمة المعبرة بدقة عن الأفكار والمعلومات. ويوحي للجمهور أنه لا يقدم ما هو مكتوب وباستطاعة أي كان قراءته، بل يكتشف له عن المختبئ في ثنايا الأسطر[7] والمتلبد في ظلال الجمل، بأسلوب متميز يظهر فيه التحيز والخصوصية والمزاج الذي يطبع العمود الصحفي.[8]

مواعيد تقديم " معرض الصحف":

يجب أن يرتبط "معرض الصحف "بـــموعد واحد، وهو عادة في الصباح بالنسبة لمن يتلقى أخبار الصحف الصباحية، والمساء بالنسبة للصحف المسائية. و يمكن أن يصدر أسبوعيا بالنسبة للصحف الأسبوعية.

تبث الإذاعة " معرض الصحافة " في الصباح الباكر، قبل خروج الناس للعمل، أو أثناء توجههم إليه. و يقدمه التلفزيون في برامجه الصباحية لكن ، أمام المنافسة و المقاومة الشديدتين اللتان أبدتهما الإذاعة للاحتفاظ بجمهورها الذي يستمع إلى برامجها الصباحية ، قامت بعض القنوات التلفزيونية ، مثل القناة الثالثة بالتلفزيون الفرنسي " FR3 " ببثه في ساعة متأخرة من الليل، أي في الساعات الأولى من خروج الصحف من المطابع .

يتم تقديم " معرض الصحف في التلفزيون من خلال " Voix off " ، باستخدام الصورة التي تشدد على العناوين أو المقاطع و الفقرات المقتبسة أو تكبرها ، بعد أن يكون الصحافي و المخرج قد لونها أو وضع سطر تحتها لتبرز بشكل أفضل. و يمكن أن تأخذ صيغة بسيطة تتمثل في إبراز متحدث على الشاشة الصغيرة و في يده " رزمة " من الصحف يتكلم عنها باقتضاب ودقة.

المراجـــع:

1- Yves Agnes, Jean Michel Croissendeau , OP cite , P 35

2 - C.F.P.J. : *Lexique des termes de presse*, 1991

3 - cite in http://www2.csduray.qc.ca/projetsrecit/eileen/journalisme/lexical.htm#htm#genre1#genre1, page Consultée le 20/02/2006

4 - idem

5 - Multiplex: *La revue de presse a la radio, un genre fertile*, Juillet 1984

8 - Christain darroy & autre : *Pour mieux communiquer avec la presse*, ed CFPJ, Paris, 1988, p 74

7- Multiplex , op cité

▮ - cite par: http://www2.csduray.qc.ca/projetsrecit/eileen/journalisme/lexical.htm#htm#genre1#genre1, page Consultée le 20/02/2006

المراجع باللغة العربية :

1- الكتب:

- إبراهيم إمام : دراسات في فن التحرير الصحفي، مكتبة الأنجلو مصرية، 1973
- أبو سكي: الصحافة التلفزيونية، ترجمة أديب خضور، سلسلة المكتبة الإعلامية، دمشق، 1990
- إجلال خليفة: اتجاهات حديثة في فن التحرير الصحفي، مكتبة الأنجلو مصرية، 1979
- أديب خضور: أدبيات الصحافة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة دمشق 1986
- أديب خضور: محاضرات في الأنواع الصحفية، معهد العلوم السياسية و الإعلام، السنة الجامعية 1982 /1983، غير مطبوعة.
- أديب خضور: محاضرات عن المقال الصحفي، ، معهد العوم السياسية و الإعلام، السنة الجامعية 1983/1982، مطبوعة غير منشورة
- أديب مروة: الصحافة العربية، المكتبة الأنجلو مصرية، 1979
- ألبرت ل هستر: و أي لان ج تو: دليل الصحافة في العالم الثالث- 1985

- المنظمة العالمية للصحافيين: مجموعة نصوص حول الأنواع الصحفية، ترجمها نصر الدين لعياضي، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1988
- عبد العزيز الغنام: مدخل في علم الصحافة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة الثانية 1977
- فاروق أبوزيد في كتابة؛ فن الكتابة الصحفية: ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1985
- فاروق خورشيد. بين الأدب و الصحافة، منشورات أقرأ، (بدون تاريخ)
- فيليب غيار: تقنية الصحافة، منشورات عويدات، لبنان، 1973
- كرم شلبي: الخبر الإذاعي، فنونه، خصائصه في الراديو والتلفزيون، دار الشروق 1985
- لطفي ناصف: الأخبار الصحفية، صناعة، سياسة، فن، مطبعة التيسير، القاهرة 1988،
- لوي دي جانيتي: فهم السينما، الفيلم التسجيلي- ترجمة جعفر علي، دار النشر عيون المقالات، المغرب 1986
- نصر الدين لعياضي: مساءلة الإعلام. المؤسسة الوطنية الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1991

2- الصحف والمجلات:

- أخبار اليوم" (يومية)- مصر- الصادرة في 1981/11/21
- الاتحاد (يومية) — الإمارات العربية المتحدة- الثلاثاء، 6 ديسمبر 2005
- الخبر (يومية)، الجزائر: 24/23 سبتمبر 1991
- الفكر العربي (مجلة)- مصر- مارس 1988 .

المراجع باللغة الفرنسية:

1- الكتـب:

- Alfred Jahnke : *le fait rapporte dans le journal*, institut de journalisme a Berlin (O.I.J) sans date d'édition
- Anne-Claire Orban: *Je blogue, tu blogues, nous bloguons,* édition CLEMI Janvier - mars 2005
- Antoine Paulus, *Langages médiatiques*, Dossier pédagogique, Centre audiovisuel de Liège, Liège, 2000.
- Bernard Voyenne : *Glossaire de presse.* C.F.P.J.1967
- Burgelin Olivier: *Communication de Masse*, SGPP 1990
- CFPJ : *Guide du correspondent local*, Paris, 1990
- CFPJ : *Lexique des termes de presse*, Paris, sans date d'édition

- Christain Darroy & autre : *Pour mieux communiquer avec la presse*, édition CFPJ, Paris, 1988
- Christine Lenteinturier : *Dictionnaire Multimédia, Presse, Radio, T.V, Publicité*, édition, Eryelles Paris 1900
- Claude Gault *: poings d'exclamation ; le bloc notes de monsieur t.c* ; édition t.c, paris 1975
- Cristain Sauvage *: journaliste, une passion, des métiers*, c.f.p.g 1988
- Daniel E.Garvey ET William L Rivers: *L'information radio- télévisée, principes, exemples, application*, édition, nouveaux 1982
- Jean Daneil : *Le temps qui reste, essai d'autobiographique professionnel, stok 1973*
- Jean-Paul ACHARD : *La vidéo comme outil de formation à l'information*, éd APTE, 1994
- Jean Paul Haghe : *Histoire du journal télévisé en France*, Clemi -Paris, février 1999
- Jean Louis Servan SChreiber : Le pouvoir d'informer, édition, Robert Laffont, 1972
- Jean Michel Seguin : *nouvelles á sensation – canards au XIX siècle*, Ed Alain Colin 1959
- Manuel Castels : *L'Ère de l'information 1 : La société en réseau*, Paris, Flammarion, 1998
- Martin-Lagardette : *Le guide de l'écriture journalistique,* Paris, Syros, 2000

- Maurice Mouillard et Jean Francois Tetu : *le gournal quotidien*, presse universitaire de Lyon, 1983
- Michael Palmer B. Palmer : *des petits journaux aux grands agences, naissance de la presse moderne,* édition, Aubier montagne 1983
- Pierre Albert : *Glossaire de presse*, edition, CFPJ, Paris, 1967
- Pierre Algery (sous la direction) : *Lexique de la presse*, éd Dalloz –Paris 1985.
- Roland Barthes, *Le Bruissement de la langue*. Essais critiques IV (Paris, 1984)
- S.M Einstein, *Cinématisme, peinture et cinéma*, édition, complexe, 1980.
- Voirol Michel: *Guide de la rédaction*, édition CFPJ, Paris 1984
- Yves Agnès, Jean Michel Croissadeau: *Lire le journal*, ed, FP Labies 1979
- Yves choron : *L'interview* , ed C.F.P.J 1989
- Yves de la haye: *Journalisme mode d'emploi des manières d'écrire l'actualité*, 1985

2- الصحف والمجلات :

- Algerie – actualité, (hebdomadaire), Algerie, n 1302
- Journaliste Démocratique, Prague n 3-1973
- Le monde, supplément des livres, 21-mars, 1997

- Les cahiers du journalisme, N 7, Lille ; France 2000
- Libération, quotidien – France, le 11 octobre 2005
- Multiplex, France, Juillet 1984
- presse actualité, Mensuel, France, août 1978
- récit et Société, France, n° 20 juin 2000.
- Réseaux, France n° 81 CNET – 1997
- Revue des deux mondes, décembre 1996
- Revue poétique, France, N 12- 1972

مواقع في شبكة الانترنيت:

http://www.colir.net

http ://www.text-e.org/

http://www.redaction.be

http ://*www.presse- ecole.com*

http ://www.ac-rennes.fr/

http ://*www.expert.infini.fr*

http://presse.cyberscol.qc.ca /

http://www.cndp.fr/

http:// www.crdp.ac-creteil.fr/

http://www2.csduray.qc.ca

http://www.forum-warez.com/

الفهرس

الموضوع	الصفحة



أنجز طبعه على مطابع
ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية - بن عكنون
الجزائر

